الجامعة الإسلامية – غزة
عمـــادة الـــدراسات العليا
كـــلـــيـــــة الآداب
قسـم الـلـغـة الـعربيـة

ظاهرة خروج الكلام عن مقتضى الظاهر في القصص القرآني - دراسة بلاغية -

إعداد الباحثة

سهير مدحت حمدان

إشراف

الأستاذ الدكتور / محمد شعبان علوان

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في البلاغة العربية من كلية الآداب بالجامعة الإسلامية- غزة

1435هـ - 2013م

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قَالَ تَعَالَى :

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾

(طه : 114)

صدق الله العظيم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإهـــداء

* إلـى صـاحب اللـواء المعقـود والحـوض المـورود والمقـام المحمـود، الرسـول الأعظم، والمعلم الأكرم... نبينا محمد ﷺ.

* إلى من ألبساني ثوب رعايتهما، وأغدقا علي بأفضالهما... والدي الكريمين.

* إلى من طوق فؤادي... وحل بسهلي بين الوهاد... وجال بفسحي في كل واد... إلى شريك عمري... أهدي عصارة فكري... إلى شريك دربي في رحلة العمر الفانية إلى رحلة الخلد الباقية، ذلك الرجل الذي ساندي قلباً وقالباً، ومنحني هذه الفرصة... زوجي الحبيب زكي.

* إلى من أشغلتني عنهم صفحات هذا البحث... وأشاع علي حياتي النور، والسعادة، والبهجة، ولدي يارا ومحمود.

* إلى القلوب التي لا نشبع من رؤيتها، ولا نمل من سماعها... إخوتي وأخواتي.

* إلى من أعيش بجوارهم وتحت ظلهم... تلك القلوب الطيبة... أهل زوجي.

* إلى من احتضنت أبنائي أثناء انشغالي عنهم بالدراسة...عمتي (أم زوجي).

* إلى كل من شجع العلم وأخذه نبراساً في حياته...

أهدي ثمرة جهدي المتواضع سائلة المولى عز وجل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم.

الباحثة

سهير مدحت حمدان

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين، أحمد ربي الله ملء السموات وملء الأرض، وملء ما بينهما، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك، وعظيم سلطانك، وأصلي وأسلم على نبيه المختار محمد صلى الله عليه وسلم، أمرنا بالاعتراف للآخرين بفضلهم، وإنزال الناس منازلهم، وعلمنا أن نشكر الناس على معروفهم .

ولست إذ أشكر من قدموا لي العون، وذللوا لي الصعاب بمستوفيهم حقهم، بل هو أدنى واجب لهم علي.

وأستهل الشكر لأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور/ محمد شعبان علوان الذي تكرم بقبول الإشراف على الرسالة، وعلى ما قدمه لي من العون والنصح والتقبل، بما لا أستطيع وصفه، وحسبي أن أمدحه أنه قدوتي ومثلي الأعلى في التدين والأخلاق والاحترام، ولا أنسى أنه كان متفانياً في النصح والإرشاد وكان خير الناصح الأمين، ولم يدخر جهداً في مساعدتي لإتمام هذا البحث، حيث أفاض علي بعلمه، وشملني بعطفه وسماحته وأحسن التعامل معي من وحي تدينه والتزامه، أبقاه الله ذخراً لطلبة العلم، وأسأل الله أن يفتح أمامه دروب النور وطريق العلم والمعرفة ليشع بما تعلمه لأجيالنا، جعل ذلك في ميزان حسناته، فهو نعم الأستاذ والمربي.

وكذلك الشكر موصول إلى عضوي لجنة المناقشة كلٍ من:

الدكتور الفاضل/ محمد شحادة تيم (مناقشاً داخلياً) **حفظه الله**

والأستاذ الدكتور/ نعمان شعبان علوان (مناقشاً خارجياً) **حفظه الله**

لتفضلهما بمناقشة هذه الرسالة التي سيزيدها ثراً بملاحظاتهما القيمة، فجزاهما الله كل خير.

كما أتقدم بالشكر الجزيل والتقدير للصرح الشامخ، والبناء العظيم الجامعة الإسلامية – بغزة التي يسرت لي فرصة إتمام دراسة الماجستير، وأخص بالذكر قسم اللغة العربية في كلية الآداب بكل أساتذتها والذي تلقيت على أيديهم حب اللغة العربية والولوج في رحابها.

وشكر إلى العاملين في مكتبة الجامعة الإسلامية الذين يبذلون قصارى جهدهم لخدمة طلبة العلم.

وشكر خاص إلى من قضى بجانبي طيلة فترة الدراسة، وتحمل انشغالي عنه/ زوجي الغالي زكي القرعة حفظه الله ، ولا أستثني من الشكر زميلاتي في الدراسات العليا جميعاً، وأسأل الله أن يسهل لهن طريق العلم.

والشكر موصول للأخ/ هاني الصوص (أبو خليل) الذي قام بتنسيق الرسالة حتى خرجت بصورتها البهية.

وفي النهاية فإني أقدم شكري لكل من اشترك أو أسهم، ولو بشطر كلمة في إنجاز هذا العمل المتواضع ... جزاهم الله جميعاً خير الجزاء.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ملخص الدراسة باللغة العربية

ظاهرة خروج الكلام عن مقتضى الظاهر في القصص القرآني

– دراسة بلاغية –

الحمد لله معلم الإنسان البيان، ميسر الذكر لمن أراد، ومسخر العلم لمن ارتاد، والصلاة والسلام على من أفصح من نطق الضاد، من آتاه الله جوامع الكلم، وأرسله للبشرية بخير كتاب – محمد صلى الله عليه وسلم – وعلى من اتبع هديه، واستن سنته، وسار على دربه إلى يوم الدين، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (1) .

أما بعــد :

يقوم هذا البحث بالنظر في بعض صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر في القصص القرآني – دراسة بلاغية – وما تضمنه هذا القصص من نظم قرآني بديع، وتناسق فني عجيب .

وقد تناول هذا البحث دراسة نظرية للقصة في القرآن الكريم، ثم تحدث عن ظاهرة خروج الكلام عن مقتضى الظاهر دراسة تحليلية لكل صوره، والوقوف على الأسرار البلاغية التي جاءت من أجله، ومن هذه الصور الالتفات بكل صوره، الالتفات من التكلم إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى التكلم، ومن الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى الخطاب، ومن التكلم إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى التكلم، وكذلك التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل، والتعبير بلفظ المستقبل عن الماضي، وكما تناول البحث أيضاً التعبير عن المفرد بصيغة الجمع، والتعبير عن الجمع بصيغة المفرد، والأسرار البلاغية التي جاءت من أجلها، وكذلك التغليب أيضاً، حتى وصل في النهاية إلى الأسلوب الحكيم.

وفي نهاية البحث توصلت الباحثة إلى مجموعة من النتائج لعل أهمها أن : دراستي لهذه الظاهرة كشفت عن بعض الأسرار الفنية التي من أجلها جاء الالتفات، وكذلك كل صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر من تغليب، وأسلوب حكيم ....، وأن أسلوب الالتفات أخذ حيزاً كبيراً في القصص القرآني عن باقي الصور الأخرى لظاهرة خروج الكلام عن مقتضى الظاهر، لأنه من أجل علوم البلاغة، ومن الأساليب البلاغية المهمة التي تناولها علماء التفسير والبلاغة، وما يملكه في إيصال تلك المعاني العظيمة بأوضح صورة إلى ذهن السامع والقارئ .

---

(1) الإسراء : (88) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما رصد البحث عدداً من التوصيات لعل أهمها؛ توجيه عناية الطلبة والباحثين إلى دراسة البلاغة العربية والتخصص فيها لما في ذلك من إحياء للتراث وحفظ للغة، بالإضافة إلى أن هذا العلم من أشرف العلوم وأجلها، لارتباطها بكتاب الله سبحانه وتعالى، وتوجيه الدراسات نحو بلاغة القرآن، فإنه جامع لكثير من الأساليب البيانية .

وأختم فأقول إن هذا البحث جاء لإثبات ما تفرد به القرآن من صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر في القصص القرآني، وترسيخ جذور قوية للبلاغة القرآنية في الدراسات العربية، وكذلك إثبات أن القرآن معجزة خالدة على مدى الأزمان والدهور، والدراسات البلاغية القرآنية تعكس هذا الإعجاز على مدى الأيام والعصور، وتصب جلّ الاهتمام لإثبات هذا الإعجاز.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

Abstract

Phenomenon of speech deviation from appropriate norms in Quranic stories- a rhetorical study-

Thanks to god who the man communiqué , make the cite easy to whome he wants and knowing, prayers peace be upon of the most eloquent of pronunciation of Arabic conciseness of speech and send him to the best mankind with the best book, Mohamed peace be upon of him and upon those who follow his route to the day Resurrection Allah said " tell while the making and jinn work together to get like this Koran they can't even if they are hinterland " .

Then..

This research partake all the images of going away from the appropriate apparent in the study of Quranic narratives – rhetorical study – including all of the creative Quranic rhyming and wonderful artistically coordinating.

This research also talks about theoretic study for the narratives in Al Quran and then about the phenomenon of going away from the appropriate of speech analytic study of every images and stand on the rhetorical secrets which came from it.

From these images pay attention in all its forms, pay attention from speak to speech and from speech to speak, from speech to gossip and from gossip to speech and from speak to gossip and from gossip to speak, and as well as also touched on the expression of singular by plural and expression of plural by singular and rhetorical secrets which came from it to reach finally to sage style.

At the end of the research, the researcher reach to a groups of results perhaps the most important is that may study the phenomenon revealed the artistic secrets which came the pay attention come from also all images of exit talk from its meaning from a wise style, and the pay attention take a big place in the Quranic narratives from the rest of images the phenomenon of talk about the appropriate exit apparent that in order to science and rhetoric rhetorical tactics task addressed by scientists and rhetoric and

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

interpretation own in delivering those great meanings in the clearest from the listener and leader's mind.

This research fund number of recommendations perhaps the most important one is guiding the signifying students and researchers to study Arabic rhetoric and the specialization in it to activate heritage and conserve language besides that is the most honorable science because its relationship of Al Quran, and guiding the studies towards the rhetoric of Al Quran because it has many of diagrammatic styles and colors.

Finally, this research comes to prove that only Quran has the images of going away speech from its meaning in the Quranic narratives and engraining a powerful roots for the rhetoric of Al Quran in Arabic studies and to prove that Al Quran is immortal miracle across days and ages and give all the importing to prove this crocking.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المقدمة

الحمد لله بديع السموات والأرض، الحمد لله يا حي يا قيوم، حفظت كتابك من التحريف والتبديل، وجعلت هذا الكون حجتك على خلقك إلى يوم الدين، ونصلي ونسلم على سيد الخلق نبينا محمد بن عبد الله خاتم المرسلين، وإمام المتقين، وأفصح الناطقين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، وعلى من اتبع سنته واهتدى بهديه إلى يوم الدين، اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً، فأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا .

الحمد لله الذي اختار محمداً صلى الله عليه وسلم من خير أمة أخرجت للعالمين، وأنزل عليه الذكر الحكيم بلغة العرب، فهو معجز وأعلى كلام، وأنه لا يمكن مجاراته، وإن الخلق أجمعين لو اجتمعوا على أن يأتوا بمثله ما استطاعوا، فهو معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم الخالدة، وحجته البالغة، ودلالته القاطعة على صدق رسالته، وبيان دعوته، تحدى به العرب، وقارع أئمة البلغاء، يقول تعالى : ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[1] .

أما بعد :

تعتبر البلاغة من الأسس المهمة لفهم كتاب الله، إذ لا بد لكل مسلم أن يلم ولو بالشيء اليسير منها لفهم معاني القرآن الكريم، وقد نال القرآن الكريم حظاً وافراً من اهتمام العلماء الذين تناولوه بالدراسة من كل جانب، في البلاغة، والصرف، والإعراب ... وكان لعلماء البلاغة باعٌ طويل في دراسته دراسة بلاغية، فعلم البلاغة – حقيقة – من أسمى العلوم مكانة، وأعلى الدراسات قدراً، لأنها تتعلق بأصدق الكلام، كتاب الله سبحانه وتعالى، حيث إنها تبين جمال أسلوب القرآن وتكشف عن درره ومعانيه، كما يعتبر من أهم العلوم التي قامت خدمة للغة العربية،

وكانت دراستي البلاغية في القصص القرآني لما يمتاز بواقعيته ومصداقيته من دون تزيد ولا استطراد وأخيلة عن الذهن والتصور، والهدف منه الإصلاح والتوجيه والتربية، وشد الانتباه نحو الغاية النفعية لكل إنسان، وتحذيره من أخطار المستقبل، ومفاجآت الحياة في الدنيا والآخرة، ليسعد السعداء أهل الإيمان، ويتعظ الأشقياء ذوو الكفر والجحود والظلم والطغيان .

فتكون القصة القرآنية السبيل النير لتصحيح العقيدة والإيمان بالله واليوم الآخر، ومواساة الضعفاء، ومجاهدة الطغاة والظلمة، والثبات على المبدأ مهما تكن الصعاب .

---

(1) الإسراء : (88).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لذلك كانت دراستي البلاغية في القصص القرآني، وقد كثرت المصنفات التي رسمت لنا السبيل، وأضاءت لنا الطريق مثل كتاب (مفتاح العلوم للسكاكي)، و(الإيضاح للقزويني)، و(الطراز المتضمن لأسرار البلاغة ليحيى بن حمزة اليمني)، و(المثل السائر لابن الأثير الموصلي)، وكذلك معظم التفاسير لعل أهمها (فتح القدير للإمام الشوكاني)، و(روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي)، و(البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي)، و(الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري)، وكذلك (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود) ....

أولاً : أهمية البحث :

لعلَّ البلاغة القرآنية من العلوم التي تشرف البلاغة العربية بدراستها، وقد تناول كثير من العلماء البلاغة القرآنية، بينما أهملها آخرون طمعاً في صيت زائل، أو شهرةٍ زائفة، فالتعمق في الفكر الديني والإسلامي ودراسته دراسة واعية ذلك ليبرهن أن الإسلام يتميز بمنهج علمي وتطبيقي يواكب تطورات الحياة، وتبدلات الزمان، والقصة القرآنية من أهم الوسائل التي استخدمها الإسلام على الرغم من تطورات الحياة لتغذية العقول وتهذيب النفوس، والترويح المنشود، فهي تفتح في النفس البشرية مغالق الإلهام، عندما تعايش أنبياء الله ورسله في رحلتهم مع أقوامهم ... لنتعلم على أيديهم، فالقصة في القرآن في حد ذاتها باب من أبواب البيان القرآني العظيم، ومن هنا عنيت في هذا البحث أن تكون دراستي في القصص القرآني بتطبيق ظاهرة خروج الكلام عن مقتضى الظاهر دراسة بلاغية تحليلية .

وتكمن الأهمية العلمية لهذه الدراسة في كونها تقود إلى إبراز الإبداع القصصي القرآني بما تمثلت فيه من صور بيانية، ولذلك جاء البحث بعنوان :

" **ظاهرة خروج الكلام عن مقتضى الظاهر في القصص القرآني – دراسة بلاغية** "

ثانياً: أسباب اختيار البحث :

- لقد رغبت في دراسة بلاغة القرآن الكريم للحصول على الأجر من الله، ووجدت أن القصص القرآني منبعاً للبلاغة، فرغبت في دراسة ظاهرة خروج الكلام عن مقتضى الظاهر دراسة – بلاغية – في القصص القرآني .
- كما أن دراسة علوم البلاغة من خلال القصص القرآني لا يمكن أن تنفصل عن القرآن الكريم، ويكون ذلك عوناً وسلاحاً لنا في ديننا ودنيانا، فنتعلم ونعلم من حولنا، حتى يصبح حصناً منيعاً يرد سهام المشككين وأشباههم إلى نحورهم، من يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، والله متمم نوره ولو كره الكافرون .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- إثراء المكتبة العربية بدراسة خاصة بظاهرة خروج الكلام عن مقتضى الظاهر في القصص القرآني .
- اهتمام عدد من الباحثين بدراسات صورة من صور هذه الظاهرة فقط، وهو الالتفات، فرغبت أن أجمع صور هذه الظاهرة في دراسة واحدة .

ثالثاً : أهداف الدراسة:

- ترسيخ جذور قوية للبلاغة القرآنية في الدراسات العربية.
- إثبات ما تفرد به القرآن من صور ظاهرة خروج الكلام عن مقتضى الظاهر في جوانبها البلاغية، ودلالتها في القصص القرآني .
- القرآن معجزة خالدة على مدى الأزمان والدهور، والدراسات البلاغية القرآنية تعكس هذا الإعجاز على مدى الأيام والعصور، وتصب جلّ الاهتمام لإثبات هذا الإعجاز.
- التركيز على الدراسات المتعلقة بالبلاغة القرآنية.
- إثراء المكتبة العربية بدراسة بلاغية مستقلة عن ظاهرة خروج الكلام عن مقتضى الظاهر في القصص القرآني .

رابعاً : الصعوبات التي واجهت الباحث :

لا يخلو أي عمل من بعض الصعوبات، فقد واجهت الباحث صعوبات عدة، ولكن منة الله الواسعة ورحمته كانت العون الأول لي في تذليل هذه الصعوبات، ناهيك عن توجيه أستاذي الفاضل أ. د محمد علوان المشرف على هذه الرسالة، جعل الجنة مأواه .

وأهم هذه الصعوبات :

- اتساع موضوع الدراسة، وذلك لأن ظاهرة خروج الكلام عن مقتضى الظاهر لها صور متعددة .
- ندرة الدراسات والبحوث على ظاهرة خروج الكلام عن مقتضى الظاهر في القرآن الكريم سوى الالتفات .

خامساً : الدراسات السابقة :

لعل الدراسات التي تناولت جوانب البلاغة في القرآن الكريم غنية ووافرة، خاصة البلاغة في القرآن الكريم، حيث لم أجد أي دراسة عن صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر – دراسة بلاغية – في القرآن الكريم في دراسة واحدة، إلا عن صورة فقط من صورها وهو الالتفات وهي :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الالتفات في القرآن الكريم إلى آخر سورة الكهف : خديجة محمد البناني، رسالة أعدت لنيل شهادة الماجستير في البلاغة العربية والنقد، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، 1413 هـ، 1414هـ، حيث تناولت هذه الدراسة تحليلاً لصور الالتفات من سورة الفاتحة إلى سورة الكهف .

سادساً: خطة البحث :

اقتضت طبيعة البحث إلى أن ينقسم إلى مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة على النحو الآتي :

المقدمة : وتم الحديث فيها عن أهمية الموضوع، وسبب اختياره، وأهداف الدراسة، والصعوبات التي واجهت الباحث، وخطة البحث، ومنهج الدراسة .

التمهيد : وتناول فيه الباحث تعريف القصة لغة واصطلاحاً، وتعريف القصة الفنية، وبداية القصة في الحياة العربية، والقصص القرآني في اصطلاح العلماء .

الفصل الأول

القصص القرآني

وينقسم إلى ستة مباحث :

المبحث الأول: بين القصة القرآنية، والقصة الأدبية.

المبحث الثاني: عناصر القصص القرآني.

المبحث الثالث: أنواع القصص القرآني.

المبحث الرابع: أهداف القصص القرآني.

المبحث الخامس: خصائص القصص القرآني، وينقسم إلى مطلبين:

المطلب الأول: الخصائص الذاتية للقصص القرآني.

المطلب الثاني: الخصائص الفنية للقصص القرآني.

المطلب الثالث : التكرار في القصص القرآني .

المبحث السادس :التربية بالقصص القرآني.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني

ظاهرة خروج الكلام عن مقتضى الظاهر في القصص القرآني – دراسة بلاغية

وينقسم إلى سبعة مباحث :

المبحث الأول : الالتفات وينقسم إلى ستة مطالب:

المطلب الأول: الالتفات من التكلم إلى الخطاب.

المطلب الثاني: الالتفات من الخطاب إلى التكلم.

المطلب الثالث: الالتفات من الخطاب إلى الغيبة.

المطلب الرابع: الالتفات من الغيبة إلى الخطاب.

المطلب الخامس: الالتفات من التكلم إلى الغيبة.

المطلب السادس: الالتفات الغيبة إلى التكلم.

المبحث الثاني: التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي.

المبحث الثالث: التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل.

المبحث الرابع: التعبير عن المفرد بصيغة الجمع.

المبحث الخامس: التعبير عن الجمع بصيغة المفرد.

المبحث السادس: التغليب.

المبحث السابع: الأسلوب الحكيم.

سابعاً : منهج البحث :

تبعاً لطبيعة البحث فإن الباحث سيتبع المنهج (الاستقرائي الوصفي التحليلي) لمناسبته لموضوع الدراسة، حيث قمت بحصر الآيات التي تحتوي على صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر في القصص القرآني، ثم عمدت إلى تصنيفها؛ وفق صور هذه الظاهرة، بحيث أعطي كل آية تفسيراً بلاغياً من كتب البلاغة والتفاسير .

وأخيراً فهذا جهد متواضع أقدمه للمكتبة العربية، وكلي أمل أن يحظى بالقبول، أسألك اللهم بهذا الجهد المتواضع أن أنفع به، وأن يُنفع به أمة المسلمين .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التمهيد

تعريف القصة وبدايتها في الحياة العربية

وفيه:

أولاً: تعريف القصة لغة واصطلاحاً.

ثانياً: تعريف القصة الفنية.

ثالثاً: بداية القصة في الحياة العربية.

رابعاً: القَصَص القرآني في اصطلاح العلماء.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التمهيد

تعريف القصة وبدايتها في الحياة العربية

أولاً: تعريف القصة لغةً واصطلاحاً

القصة فن من فنون الأدب الجليلة، يقصد منها الترويح عن النفس باللهو المباح، وتثقيف العقل بالحكمة، وهذا الفن من الفنون التي احتلت مكاناً مرموقاً في النفوس، للمتعة التي يحس بها القارئ، ويتذوقها السامع، باختلاف العصور، وتنوع الأعمال، وتباين البيئات، كما أنه يعد شكلاً من أشكال التعبير، وسيلته النثر، ويعتبر من أعرق ألوان الأدب تاريخاً ووجوداً، لأن دافع السرد القصصي خاصية إنسانية يشترك فيها جميع الناس، إذ يستطيع كل إنسان أن يحكي حادثة مرت له، أو موقفاً تعرض له، ومعنى هذا أن القصة ولدت مع الإنسان، طالما أن الحكاية – وهي العنصر الأساسي في القصة – قاسم مشترك بين الناس، فملا زال الطفل يميل لسماع حكايات جدته، وما زال الناس يتبادلون الحكايات في مجالسهم للسمر والسهر والترويح عن النفس. وعلى هذا نرى أن فن القصة من أقرب الفنون الأدبية إلى النفس البشرية، لأنه فن يستقي مادته من الحياة اليومية الجارية بحلوها ومرها، وينقل التجارب والخبرات من واقع تلك الحياة.

أ- **القصة لغةً:** مأخوذة من الجذر الثلاثي (قَ صَ ص) الذي انتظمت اشتقاقاته معانِ عدة في القرآن الكريم، فقد وردت هذه اللفظة بالمعاني التالية[1]:

1- المتابعة وتتبع الأثر:

وردت بمعنى الاقتفاء وتتبع الأثر[2]، كما في قول الله تعالى: ﴿**وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾[3]، أي قصي أثر موسى، اتبعي أثره[4]، "ومن هذا قولهم:

---

(1) انظر: لسان العرب: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري الرويفعي الإفريقي، ج 4، ص3650- 3652، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة – مصر.

(2) انظر: المصباح المنير- معجم عربي عربي: أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، ص300-301، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1421هـ - 2001م، والمفردات في غريب القرآن: الأصفهاني، ج4، ص671، راجعه وائل عبد الرحمن، المكتبة التوقيفية، القاهرة، 2003م، ومقاييس اللغة: ابن فارس، ج5، ص11، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفك، بيروت، ط2، 1979م.

(3) القصص: (11).

(4) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ابن جرير الطبري، ج2، ص38،قدم له الشيخ خليل الميس، ضبط وتحقيق وتخريج: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، القاهرة، ط 1، 1420هـ -2000م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قصَ الأثر نظر فيه، واقتفى آثاره، " ويقال قصصت أثره واقتصصته، وخرجت في أثر فلان قصصا..." [1].

" والمتابعة لا تكون إلا عن طريق البيان، وسرد الأحداث بصدق، والقطع بصحته، فحينما نقص الحديث نقطع بصحته ولا نزيد فيه ولا ننقص"[2].

" فالقص للأثر أشبه بما يعرف في عصرنا هذا بتصوير " البصمات " أو رفع الآثار وتصويرها، ليستدل منها على ما ورائها من أحداث مضت، وليمسك بما يقدر على إمساكه فيها[3].

وذلك لقوله تعالى: ﴿ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾[4]، أي رجعا يقصان الأثر الذي جاء به[5]، ولهذا يقال يقص القصص قصاصًا، لأنه يتتبع أحداث القصة خبرًا خبرًا.

ويبدو مما سبق أن التتبع والقص لا بد فيه من أمرين:

الأول: تتبع الشيء أو الخبر كما هو، وعلى وجهه الصحيح الذي حدث له.

الثاني: التساوي عند التتبع، والحرص على المساواة عند المتابعة، بأن يكون الخبر مرويا ومقصوصا كما هو، لا يزيد القاص شيئا من الأحداث والإضافات على الأصل، وهذين الأمرين يعودان لمعنى واحد وشيء واحد، فإن تتبع الشيء أو الخبر على وجهه الصحيح الذي حدث عليه كما هو يقتضي التساوي وعدم الزيادة أو النقصان.

2- البيان والإعلام:

فالقص فعل القاص إذا قص القصص، ويقال في رأسه قصة يعني الجملة من الكلام[6].

---

(1) لسان العرب: ج4، ص536.

(2) القصص القرآني: إبراهيم محمد بلبول عبده، ص114، أطروحة أعدت لنيل درجة الدكتوراه في التفسير، جامعة الأزهر الشريف، نشرت، القاهرة- مصر.

(3) القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم، ويوسف: عبد الكريم الخطيب، ص 36، دار الفكر العربي، القاهرة.

(4) الكهف: (64).

(5) انظر:تفسير ابن كثير: إسماعيل ابن كثير، ج1، ص 15،دار القرآن الكريم، بيروت، ط 7، 1402هـ.

(6) انظر: لسان العرب: ج4، ص3651، ومعجم البستان - معجم لغوي مطول: عبد الله البستاني، ص186/ ق ص ر، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح، بيروت، لبنان، ط1، 1920م، والمعجم الوسيط: لجنة من العلماء: إبراهيم أنيس- عبد الحكيم، ج2، ص 740 مادة قصص، دار الفكر، بيروت 1415هـ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ونحوه قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾[1]، "أي نبين لك أحسن البيان"[2].

3- الأمر والحديث والخبر المتبع:

" والقصة الخبر"[3]، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾[4].

و ﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾[5]، و ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[6]، و ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾[7]، وقد اقتصصت الحديث رويته على وجهه[8]، لأن راوي الحديث يحكيه شيئاً فشيئاً، ويتتبع تفاصيله جزءاً فجزءاً.

4- الحفظ:

تقصصت الكلام إذاً حفظته[9].

يظهر مما سبق أن كلمة " القصص "هي: الاسم من الفعل " قصَ " وهي مصدره، وتعني لغةً الأخبار المتتابعة المروية، وأن مادة " قصَصَ " تقوم على التتبع، ولقد أكد القرآن الكريم هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾[10]، سواء أكان التتبع معنوياً، كقص الأخبار وقص الكلام، فهذه المتابعة لا تكون إلا عن طريق البيان وسرد الأحداث بصدق وروايتها

---

(1) يوسف: (3).

(2) المصباح المنير: كتاب القاف، ص 300-301، المحكم والمحيط الأعظم: ابن سيده علي بن إسماعيل "أبو الحسن ":، ج6، مادة قصصص65، تحقيق عبد الستار أحمد فرج: ط 1، 1377هـ -1958 م، والمعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى - أحمد الزيات وآخرون، ج2، ص746، أشرف على طبعه: عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، ط1، والواضح في علوم القرآن: مصطفى ديب البغا - محيي ديب مستو، ج 1، ص181، دار الكلم الطيب العلوم الإنسانية،دمشق، ط2، 1488هـ، 1988م.

(3) لسان العرب: ج4، ص3651، والواضح في علوم القرآن: ج 1، ص181.

(4) آل عمران: (62).

(5) القصص: (25).

(6) الأعراف: (176).

(7) الأعراف: (7).

(8) انظر: صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، ج 2، ص724، دار القرآن الكريم، بيروت، ط4، 1401هـ، والمعجم الوسيط: ج 2، ص740، مادة قصص.

(9) لسان العرب: ابن منظور، ج4،ص365.

(10) الكهف: (64).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على وجهها، "ويؤيد ذلك أن القصص بمعنى القطع"[1]، فنحن حينما نقص الحديث بمعنى نقطعه، دون زيادة أو نقصان، وبهذا أصل إلى أن القصة لا تكون قصة في أصل وضعها إلا إذا قطع بصحتها، فليس فيها مجال للكذب أو الخيال، وهكذا تكون القصة في اللغة العربية حقيقة واقعة، لأن القاص تتبع الأثر، وأتى به مستوعبا كل وجوه الصحة والصدق فيه.

إن هذه السمات لا تنطبق إلا على القصص القرآني وليس على القصة الفنية، وستوضح هذه النقطة بشكل مفصل في تعريف القصص القرآني.

"والقاص: اسم فاعل من يأتي بالقصة"[2]، "ويقال قاصاً لإتباعه خبراً بعد خبر، وسوقه الكلام سوقا "[3].

من خلال تتبعي للتعريفات السابقة فإن القاص هو: من يأتي بالقصة على وجهها كأنه يتتبع معانيها وألفاظها، حيث أطلق معنى القص على الحديث وروايته.

"وجمع القصة قِصص بكسر القاف، وأما القَصَص بفتح القاف، فاسم خبر المقصوص، وهو مصدر سمي المفعول به، ويقال قص عليه فلان إذا أخبره بخبر "[4]، " والقصص: الخبر المقصوص بالفتح، وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه... والقصص: بكسر القاف جمع القِصة التي تكتب"[5].

" فالفرق إذن بين القِصص-بكسر القاف – والقَصَصَ بفتحها – هو أن الأولى: جمع قِصة، فنقول فلان يكتب القِصص ويرويها، والثانية: الأخبار والروايات التي يتتبعها القاص ويرويها "[6].

وفيما يبدو أن القِصة مفردة، والقِصص: جمع وهي مصدر، والقص اسم فاعل، وهو الذي يقوم بفعل القَص، والقَصَاص صيغة مبالغة، أي كأن القيام بفعل القص هو الإتيان على القِصة من جميع جوانبها، والإلمام بأطرافها كافة.

---

(1) مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ج 3، ص538، طبعة منقحة وكاملة، إخراج دائرة المعاجم في مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح، بيروت، 1989م.

(2) معجم البستان: ص886/ ق ص ص.

(3) مختار الصحاح: 3/ 1051.

(4) تفسير التحرير والتنوير: محمد الطاهر ابن عاشور، ج1، ص 64، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.

(5) لسان العرب: 4ج، ص3651.

(6) المرجع السابق: ج4، ص3651.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولقد وردت مادة " قصص " في القرآن الكريم ثلاثين مرة باشتقاقات متعددة، وذلك على النحو التالي:

- في صورة الفعل الماضي: أربع مرات.
- في صورة الفعل المضارع: أربع عشرة مرة.
- في صورة الفعل الأمر: وردت مرتين.
- في صيغة " القِصص": ست مرات.
- في صيغة " القِصاص": أربع مرات[1].

" والقرآن الكريم استعمل لفظ [لفظة] "القصص" بالفتح، ولعل في ذلك إشارة تميز القرآن وأسلوبه في عرض هذه الأحداث والوقائع التي تضمنها قصصه، كما تميز من قبل بذكر الأحداث والأخبار الصحيحة التي لا خيال فيها [2].

ب- القصة اصطلاحا: تطلق كلمة القصة ويراد بها اصطلاحا: " الإخبار عن قضية ذات مراحل يتبع بعضها بعضا"[3].

"وهي الخبر الطويل الذي يتبع بعضه بعضاً، حتى يتناول الأمر من جميع جوانبه "[4] وقصص القرآن أصدق القَصص، وذلك لتمام مطابقتها للواقع، لاشتمالها على أعلى درجات البلاغة وجلال المعنى، وهي أنفع القصص للاعتبار لقوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾[5]، وذلك لقوة تأثيرها في إصلاح القلوب والأعمال والأخلاق[6].

---

(1) اتجاهات التأليف ومناهجه في القصص القرآني: سليمان محمد علي الدقور، رسالة أعدت لنيل شهادة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، ص 28، كلية الشريعة، جامعة اليرموك، الأردن، نشرت، 1426هـ -2005م.

(2) انظر: المرجع السابق: ص6.

(3) الفروق اللغوية: أبي هلال العسكري، أحد أعلام القرن الرابع هجري، ص430، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، وأصول التفسير: محمد بن صالح بن عثيمين، ص 52-53، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، دار الفكر، بيروت ،1980م.

(4) لسان العرب: ابن منظور، 4ج، ص 3660.

(5) يوسف: (111).

(6) قصص القرآن: لجنة المؤلفين: محمد أحمد جادولي - السيد علي محمد البجاوي، ص 35، دار الفكر، بيروت.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيا: مفهوم القصة الفنية

" القصة الفنية هي حكاية نثرية طويلة تستمد من الخيال أو الواقع، أو منهما معاً، وتبنى على عرض لفكرة مرت بخاطر الكاتب، أو تسجيل لصورة تأثر بها مختلفة أو بسط لعاطفة اختلجت في صدره وأراد أن يعبر عنها بالكلام ليصل إلى أذهان القراء، محاولاً أن يكون أثرها في نفوسهم، مثل أثرها في نفسه "[1].

وبهذا المعنى تصبح القصة عبارة عن صورة ذهنية أو واقعية أثرت في نفس الفنان، فحاول نقل هذا الأثر إلى الآخرين[2].

" والقصة الفنية سلسلة أو سلاسل من الوقائع، سلاسل تلتقي لتكون عملاً قصصياً طويلاً، لا يكتفي فيه بجزء من الأجزاء، فهي ليست نبذة، إنما هي كل كبير، إنها نهر زاخر فياض بالحياة، واسع الرحاب والآفاق، يتدفق القاص فيه كما يريد من غير انقطاع، حتى يصل إلى نهاية قصته وتتجلى وحدة الأحداث بنية واضحة "[3].

وهي: " قالب تعبيري، يعتمد فيه الكاتب على سرد أحداث معينة تجري بين شخصية وأخرى أو شخصيات متعددة، يستند في قصتها وسردها على الوصف مع عنصر التشويق حتى يصل القارئ أو السامع إلى نقطة معينة تتأزم فيها الأحداث وتسمى العقدة، ويتطلع المرء إلى الحل حتى يأتي في النهاية، ويرى بعض النقاد أن العقدة والحل غير لازمين لفن القصة "[4].

أي أنها تبدأ وتنتهي عند حدود زمنية معينة، وتتناول حادثة أو طائفة من الحوادث بين دفتي هذه الحدود، ولا بد أن تنسق هذه الأحداث بتدبير مبدعها – القصاص– لتسير إلى الغاية التي يحددها القصاص[5].

---

(1) المعجم الوسيط: 2ج، ص 746.

(2) انظر: الصورة الفنية في القصة القرآنية– قصة سيدنا يوسف عليه السلام نموذجا: بلحسيني نصيرة، ص92، رسالة أعدت لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي، نظرية الأدب وعلم الجمال، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، لم تنشر، 1426هـ – 1427هـ، 2002–2006م.

(3) في النقد الأدبي: شوقي ضيف، ص 225، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط1، وأسرار القصة القرآنية: فهد خليل زايد، ص11، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، عمان،الأردن، ط1، 2007م.

(4) التحرير الأدبي: حسين علي محمد حسين، ص 291، مكتبة العبيكان، ط5، 1425هـ – 2004م.

(5) انظر: النقد الأدبي، أصوله ومناهجه: سيد قطب، ص 86، دار الشروق، وفي النقد الأدبي: محمد السمرة، ص17، الدار المتحدة للنشر، ط1، 1974م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" والقصة وسيلة للتعبير عن الحياة، أو قطاع معين من الحياة يتناول حادثة واحدة، أو عددًا من الحوادث بينها ترابط سردي، ويجب أن يكون لها بداية ونهاية "[1].

ولعل جل هذه التعريفات ترمي إلى تعريف القصة الفنية باعتبارها إبداعاً بشرياً ينسجه الفنان، وقد يكون من واقع الحياة، وقد يكون متخيل، تتعلق بشخصية أو مجموعة من الشخصيات، تحمل فكرة معينة يراد إبرازها وتصويرها تصويراً دقيقاً عن طريق أحداث تجري في زمان أو أزمنة محددة، يقصد من خلالها إثارة الاهتمام والإقناع والتثقيف للسامع أو القارئ.

أما فيما لفت انتباهي هو مفهوم الشعراوي[2] للقصة الفنية وكأنه متأثر بالتعريف اللغوي للقصة والذي دعاني أن أقف عنده، حيث يقول: إن القصة يجب ألا تقال أبدا في أمرٍ خيالي، ولا في أمر متوهم، ولا في أمرٍ لا واقع له، ويجب أن تطلق على واقع لا يتعداه القص بخيال أو بغيره أبداً[3].

ولعل مفهوم القصة عند الشعراوي أنها يجب أن تدور حول حادث حقيقي واقعي أو خبر حقيقي أو كليهما، وأنه لا خلاف مع الشعراوي فيما قاله إن القصة يجب أن تكون حول حادث حقيقي، وهنا إشارة إلى قصر كلمة قصة وقصص إلى موضوعات حقيقية، وهو في الحقيقة غير متوفر إلا في القَصص القرآني وذلك لقوله تعالى: ﴿ **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ** ﴾[4]، وسيتم مناقشته بشكل مفصل فيما بعد، والقصة عند الشعراوي تعني تتبع الحدث الحقيقي، ولو أطلقنا على القصص القرآني لفظة قصة، فماذا سنطلق على القصة الفنية التي قد تكون مرة خيالية من

(1) قصص القرآن الكريم " صدق حدث– وسمو هدف – وإرهاف حِس وتهذيب نفس ": فضل حسن عباس، ص22، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2، 1427هـ – 2007م.

(2) الشيخ محمد متولي الشعراوي، ولد بقرية" قادوس"، محافظة الدقهلية، 15– إبريل1911م، ولم يكن الشيخ الشعراوي مجرد مفسر للقرآن الكريم فحسب، بل كان له نشاط ملحوظ في مجال الدعوة إلى الله، ومن أهم كتبه: تفسير القرآن الكريم، والذي أسماه خواطر الشعراوي، هذا هو الإسلام/ انظر: محمد متولي الشعراوي: شاهد على العصر. حوار عمر بطيشه، الجيزة، مصر، دار الفاروق للاستثمارات الثقافية، ط2، 2012م، ص6.

(3) انظر: قصص القرآن وقصص القصاص: أحمد علي المجدوب: مجلة الوعي الإسلامي:مجلة إسلامية – ثقافية، العدد 123، ص 67، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية –الكويت الشركة للتوزيع، بيروت، لبنان، (رمضان 1402، يوليو 1982م).

(4) الكهف: (13).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نسج خيال الكاتب، وأخرى من الحياة الواقعية، وأظن بعد ذلك أنه من الصعب أو الاستحالة المفارقة بين القصة الفنية والقصة القرآنية.

إن التعريفات السابقة للقصة الفنية في رأيي هي الأكثر توافقاً في تحديد مفهوم وسمات القصة الفنية بشكل مناسب، يميز القصة القرآنية عنها.

ثالثا: بداية القصة في الحياة العربية

القصة فن قديم جديد، محبب إلى النفوس، قريب من القلوب، مؤنس للأرواح، متميز للأداء المطلوب، يفعل فعله ويترك أثره، ويضفي على القارئ والسامع رونقه، لهذا السبب وغيره شغلت القصة حيزاً كبيرًا من كتاب الله– سبحانه – لأنها شغلت حيزًا كبيرًا من حياة الناس، فكان في ذلك الكتاب – كتاب الحياة والتشريع –تلبية لحاجات أولئك الناس، وإشباع لرغباتهم، وفي ذلك سر من أسرار نجاح هذاالكتاب للتشريع والحكم في كل الأزمنة والأمكنة، ولو أردنا إقناع شخص أو جماعة بفكرة ؛ لكانت القصة الطريق الأقصر والأكثر سلامة، والأبلغ حجةً، والأنجح وسيلة.

لم يخل أدبنا القديم من القصة بمفهومها البسيط، ففي الأدب الجاهلي قصص تدورحول أيام العرب وحروبهم يروونها في الحل والترحال، وتحت الخيام في ليالي السمر.

" فالقصة في الأدب العربي القديم، بدأت منذ العصر الجاهلي في قصص قصيرة ترويها مصادر الأدب العربي كالأمالي والأغاني والفرج بعد الشدة وغيرها، وكان طابع القصة العربية في أغلب الأمر أخلاقياً، ونعلم أنه كان للعرب قصص وأساطير وأسمار تعبر عن حياتهم تعبيراً صادقاً، منذ العصر الجاهلي، وفي الجاهلية كان النضر بن الحارث يقص قصص الفرس وأساطيرهم، وكذلك كان أبو زيد الطائي وهو من الشعراء المخضرمين وتوفى عام 39 هـ عن نحو مائة وخمسين عاماً "[1].

" ولم يكن عن مبالغة إذا قلنا أن القصة كانت أول من صحب الإنسان في هذه الحياة، وأنها كانت أقدم ما عرف من تصورات عقله، وصيد خواطره وطوارق أحلامه، وهواجس رؤاه... ولسنا بالمبالغين إذا قلنا إن أحداث القصة وخيالاتها وتصوراتها كانت أقوى قوة دفعت الإنسان إلى تحريك لسانه وإلى إيقاظ ملكاته، وإطلاق جميع القوى الكامنة فيه...ليصور بها هذه الأهوال التي

(1) دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه: محمد عبد المنعم خفاجي، ص 435، دار الجيل للنشر والوزيع.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تضطرب فيأعماقه، وتملأ مسارب تفكيره، والتي تولد منها ما عرف فيما بعد باسم " القصة " أو الحكاية، والتي نراها فيما تركه اليونان والفراعنة... "[1].

ويبدو أن القصة كانت أول رفيق للإنسان منذ خطواته الأولى على هذا الكوكب الأرضي، فمنذ التقى الإنسان بالحياة وهو في صراع عنيف مرير متصل مع كل شيء فيها...وما يتولد من صورها في أوهامه وخيالاته، ولهذا كانت خطوات الإنسان الأولى في الحياة تتحرك على قصص مثيرة.

" خاصة أن الأمة العربية حظها وافر بالأحداث والفواجع، فحياتها في أقسى أحوالها... جدب، جوع، حروب، وعواصف... ولهذا فإن حياة الأمة العربية كانت قصة طويلة مثيرة، في صراعها العنيف المرير مع مطالب العيش من جهة وبين أفرادها وجماعاتها من جهة أخرى، فهذه الحياة الصلدة القاسية التي كان يعيشها الناس... كان لا بد أن تلتقي في أفكار الناس وفي تصوراتهم وخيالاتهم بكثير من ألوانها وظلالها، حيث ينظرون من خلالها إلى الحياة نظرة الواقعية أقرب إلى التشاؤم منها إلى التفاؤل " [2].

" فقد عرف العرب القصة منذ زمان طويل، والأدب العربي حافل بكثير من الأنواع القصصية الدالة على أن العرب كغيرهم من الأجناس البشرية ذو فطرة خلاقة.. والإنسان العربي كغيره من البشر، خاض الصراع، ومع الصراع تحدث القصة وتتحقق المآسي، وتحل النكبات، بل إن الصراع بين القبائل العربية في الجاهلية أكثر هولاً مما نقرأه في أدب الإغريق من ملاحم وبطولات ومآس، فلقد دامت الحروب في العصر الجاهلي أكثر من أربعين عاماً كحرب البسوس مثلاً [3]. " ولا شك أن وراء ووسط وخلال هذه الحروب قصص وحكايات تروى..."[4].

يتضح مما سبق أن حياة العرب الجاهليين في موطنهم الأول كانت عبارة عن قصة طويلة مثيرة. "ومن هنا كانت حياة الإنسان سلسلة متصلة من القصص، كما يطرقه من أحداث تهز كيانه، وكذلك مواقف مزعجة مثيرة تروى وتحكى"[5].

---

(1) القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه: عبد الكريم الخطيب، ص4.

(2) القصة في القرآن – مقاصد الدين وقيم الفن: محمد قطب، ص143، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مدينة العاشر من رمضان، المنطقة الصناعية، 2001م ، والقصص القرآني في مفهومه ومنطوقه: عبد الكريم الخطيب ،ص15.

(3) القصة في القرآن– مقاصد الدين وقيم الفن: محمد قطب، ص143.

(4) المرجع السابق: ص 144.

(5) القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه: عبد الكريم الخطيب، ص 14.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" وإذا نظرنا نظرة واحدة إلى ألفاظ اللغة، اتضح لنا وجود الفن القصصي كأحد وسائل التعبير... فوجود كلمة [يروى، يحكى] وكذلك وجود كلمة حكاية تدل على ثمة شيئاً قد وضع، وبدأ الراوي يحكيه، أو يحاكيه، أو يضاهيه... أو يحكي عنه... وكلها دلالات تتفرغ وتصب في نفس المصطلح " حكاية "[1].

" ومن يقرأ الأمثال[2] العربية المركزة، الموجزة، ذات الإيقاع الحاد والحاسم فسيدرك أن ثمة قصة وراء هذا المثل، ولأن العربي قادر على التركيز والإيجاز، فلقد صاغ هذه القصة وجردها في قليل من اللفظ حتى يتضمن لها الثبات والمداومة، والتسجيل"[3].

" والقصة من أقدم الأنواع الأدبية، وربّما سبقت الشعر ؛ فالإنسان منذ كان، كان شغوفاً متطلعاً إلى معرفة الأحداث الإنسانية... وأدرك الكتاب هذه الحقيقة منذ القدم، فحكوا الحكايات ثمّ كتبوها وربّما أضافوا إليها شيئاً من خيالهم أو رووا أحداثاً من صنع الخيال وحده، فأطفئوا بذلك عطشاً كان في الصدور "[4].

لقد كان الشعر متربعاً على عرش الأدب قروناً طويلة كما اعتبره الأدباء والكتاب، ولكن أغلب الظن كما دالت عروش الملوك في عالم السياسة، دالت كذلك في دولة الشعر الذي تخلى عن عرشه مختاراً أو مجبراً، كذلك النظم الديمقراطية والاشتراكية التي تسود الآن قضت على حكم الأفراد والطبقات وجعلت الحكم للشعب، كذلك الشعر الذي كان الغذاء الوجداني للطبقات العليا وخاصة المثقفين... فقد اضطر هو الآخر للتنازل عن السيادة الأدبية للون آخر من ألوان الفن القولي... وهو الفن القصصي[5].

---

(1) الحكاية هي: تحكي واقعة من الوقائع الحقيقية أو الخيالية الأسطورية أو الخرافية، دون التزام بقواعد الفن القصصي، ويمكن أن تمثل لها بالنوادر والحكايات التي ترويها كتب الأدب مثل الأغاني. انظر التحرير الأدبي: حسين علي محمد حسين، ص 291.

(2) المثل هو: قول محكي سائر يقصد به تشبيه حال الذي حُكِي فيه بحال الذي قيل لأجله، أي يشبه مضربه بمورده، مثل: " رُب رمية من غير رام " أي رُب رمية مصيبة حصلت من رام شأنه أن يخطئ، وأول من قال هذا الحكم بن يغوث النقري، يضرب للمخطئ يصيب أحيانًا، وعلى هذا فلا بد له من مورد يشبه مضربه به. ويطلق المثل على الحال والقصة العجيبة الشأن/ انظر: ومباحث في علوم القرآن: مناع القطان، ص219، مكتبة المعرف للنشر والتوزيع، الرياض.

(3) القصة في القرآن– مقاصد الدين وقيم الفن: محمد قطب، ص 145.

(4) دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه: محمد عبد المنعم خفاجي، ص 36 .

(5) انظر: تذوق الأدب طرقه ووسائله محمود هني، ص127، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر هترمة للطبع والنشر.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ليس معنى هذا أن الفن القصصي حديث في الأدب العربي كما يقول بعض المستشرقين، أو أنه منقول عن الأدب الغربي الحديث نقل ترجمة واحتذاء، فالفن القصصي موجودٌ في الأزمان التي كان الشعر فيها متربعاً على عرش الأدب، وهذا يعني أن الفن القصصي كان موجوداً قبل وجود الشعر، لأن الحاجة الوجدانية إليه تسبق الحاجة الوجدانية إلى الشعر من حيث الترتيب الزمني ومن حيث الأهمية والعرض[1].

" وكان الشعر العربي كله واقعياً ملحاً في الواقعية، مغرقاً فيها، بعيدا عن الرؤى والخيالات... وكانت الأحداث التي تسجل فيه – والتي كان من الممكن أن تكون مركز انطلاق لملحمة، أو مأساة، أو قصة يؤدي فيها الخيال دورا بطوليا – كانت هذه الأحداث تبرز في شعر الشاعر كأنها صورة مكررة للواقع الذي حدث رواها مشاهد أمين، أو التقطها مصور مهم"[2].

" فمثلا عنترة فهو بطل الحروب، وفارس الفرسان... كان من الممكن أن يكون بطلاً أسطورياً، وأن يصور أفعاله ومعاركه بما تصور الأساطير عن الأمم الأخرى، لكنه ظل بطلاً إنسانياً في بطولته، لم يخرق الأرض، ولم يبلغ الجبال"[3].

فعنترة قد يَغلب وقد يُغلب، وإن يكن قد ذاق حلاوة النصر في جميع معاركه، فلقد أذاقته الحياة كئوساً مريرة من يديها... وفي النهاية طعن بطعنة واحدةٍ فيخر صريعاً، ولا يجرؤ أحد على الدنو منه لمواراته التراب، فيترك طعاماً للسباع والنسور[4].

وهكذا تجيء كل الصور التي جاء بها عنترة شعره عن صولاته في الحرب... كأنها تحكي الواقع في قصد واعتدال... وهكذا تجيء جميع الصور التي تحكي قصص البطولة في الأدب العربي...ولكنها بعيدة عن المبالغة والخيال[5].

إن الشعر احتضن بذور القصة العربية، واشتمل على خمائرها، ليس الشعر وحده، بل كان هناك إلى جانبه " الأمثال " أيضاً. حيث يضم المثل في كلمات قليلة، قصة كاملة، بأشخاصها وأحداثها [6].

---

(1) انظر المرجع السابق: ص127-128.
(2) القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه :عبد الكريم الخطيب، ص17.
(3) المرجع السابق: ص 17.
(4) انظر المرجع السابق: ص 18-20.
(5) انظر المرجع السابق: ص 20.
(6) القصة في القرآن- مقاصد الدين وقيم الفن: محمد قطب، ص145، والقصص القرآني في مفهومه ومنطوقه: عبد الكريم الخطيب، ص 6.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن الفن القصصي لم يكن موجوداً في الأزمان التي كان الشعر فيها متربعاً على عرش الأدب، ولكن الحقيقة أن الفن القصصي موجود قبل الشعر أصلاً.

فلما جاء الإسلام حدث تغير في العقيدة، والقيم الأخلاقية، وانقلب المجتمع الوثني إلى إسلامي، ولقد أثر الانقلاب أيضاً في القصة، فاستحدثت موضوعات لم يتطرق إليها رواة قبل الإسلام، مثل الموضوعات التي جاءت بها قصص القرآن، والتي تناولت أحداثاً جديدة تبرز البطولة الإسلامية، وتعلي من الإيمان وحسن الخلق.

فالقصة تعد أقدر الآثار الأدبية على تمثيل الأخلاق وتصوير العادات ورسم خلجات النفوس، خاصة إذا شرف عرضها، ونبل قصدها[1].

رابعاً: القصص القرآني في اصطلاح العلماء

" والأدب العربي بفطرته الأولى، أدب عرف للقصة القرآنية الصدق الذي تميزت به، مع إدراك الهدف الذي ينثال عبر القصة، وذلك قبل أن يتجه الأدب العربي إلى الأخذ من الآداب الغربية ووسائله في القصة، ووسائطها التعبيرية "[2].

إن القصة القرآنية ركيزة قوية من ركائز الدعوة الإسلامية القائمة على الإقناع العقلي والاطمئنان القلبي بما تدعو إليه من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وبما تحمله من مثل عليا في مجال الجهاد والتضحية والصبر في سبيل الدعوة إلى الحق، والتوجيه إلى الخير والتنكر الباطل والصمود في وجه الظلم والطغيان، كما أنها ميدان خصب للتوجيهات الهادفة والإرشادات النافعة لإقامة مجتمع إنساني متحرر من ربقة التقليد والانحلال، وذلك بما يشمل عليه من بيان أسباب قوة الأمم وضعفها وتماسكها وانحلالها وانحطاطها.

فما وجدته أن القرآن الكريم قد عني بذكر القصص بعناية فائقة، وأولاه اهتماما خاصا وذلك لأغراض وأهداف سامية قال تعالى: ﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[3]، لقد امتن الله على رسوله محمد ﷺ بما أوحي إليه هذا القرآن، وقص عليه القصص.

(1) انظر: المرجع السابق، ص 165.
(2) القصة في القرآن– مقاصد الدين وقيم الفن: محمد قطب، ص 165.
(3) الأعراف: (176).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"فالقصص القرآني لم يساق مساق التسلية وتجديد النشاط، وليس ما يحصل من استغراب تبلغ تلك الحوادث من خير أو شر، إنما غرض القرآن أسمى من كل هذا وهو جدير بالتفضيل على كل جنس القصص"[1].

القصة القرآنية:

هي: " الخبر عن حادثة غائبة عن المخبر بها، فليس ما في القرآن من ذكر الأحوال الحاضرة في زمن نزوله قصصاً مثل ذكر وقائع المسلمين مع عدوهم "[2].

ويظهر من التعريف السابق أن القصص القرآني يجب حصره في الأخبار الماضية، وقت نزول القرآن الكريم، وهي إخبار الله عما حدث للأمم السابقة مع رسلهم، وما حدث بينهم وبين بعضهم، أو بينهم وبين غيرهم أفرادا وجماعات من كائنات بشرية، أو غير بشرية، بهدف الهداية والعبرة [3].

" والقصة القرآنية تتبع لآثار وأخبار الأمم الماضية وإيراد مواقفهم، وأعمالهم وبخاصة مع رسل الله إليهم مع إظهار آثار الدعوات فيهم، وذلك بأسلوب حسن جميل مع التركيز على مواطن العبرة والعظة "[4]. " ومن هنا ندرك أن قصص القرآن ليس حصراً في أخبار الأنبياء عليهم السلام، بل تتعدى ذلك لتشمل ما جاء من القصص كقصة أهل الكهف، وأصحاب الجنة وأصحاب الأخدود..."[5].

ويبدو أن التعريف الثاني للقصة القرآنية تعريف ملائم وهو التعريف الذي أرجحه على سائر التعريفات السابقة وذلك لسببين:

الأول: أنه يشترك مع التعريفات السابقة فيكون القصص حديثاً عن الأمم الماضية كما وقعت، وكذلك النبوات السابقة ووصف أخبار السابقين وأعمالهم.

---

(1) التحرير والتنوير: 4ج، ص64.

(2) المرجع السابق: 1ج، ص 64.

(3) انظر القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه: عبد الكريم الخطيب، ص39، والقصص القرآني: إبراهيم بلبول عبده، ص 36، والقصة في القرآن- مقاصد الدين وقيم الفن: محمد قطب، ص21، ومباحث في علوم القرآن: مناع القطان، ص316- 317، والقصة في القرآن الكريم(معالم وتحليل): محمد خير محمود العدوي، ص 7، دار الفرقان للنشر، عمان، الأردن، 2009م.

(4) القصة في القرآن الكريم: مريم عبد القادر السباعي، ص30، مكتبة مكة لتوزيع المطبوعات، ط1، 1407هـ - 1987م، والقصة في القرآن الكريم(معالم وتحليل): ص 33.

(5) انظر: اتجاهات التأليف ومناهجه في القصص القرآني، سليمان محمد علي الدقور، ص34 والمدخل لدراسة التفسير وعلوم القرآن: أحمد أبو الحاج، ص151، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1433هـ - 2012م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الثاني: أنه يركز على مواطن العبرة والعظة، وهو الهدف الرئيس من سوق القَصص القرآني وذلك للاستفادة من تلك الأخبار في الحاضر في مجال التسلية والمواساة واستشراف الأمل في المستقبل على اعتبار أن مايجري اليوم بين الباطل والحق إنما هو سنة من سنن الله ماضية في الآخرين كما مضت في الأولين، وأن العاقبة ستكون هلاك الكافرين وتمكين المؤمنين الموحدين.

ويتضح مما سبق أن التعريفات السابقة للقصة القرآنية تتضمن ما يلي:

- تتبع الآثار والأخبار الماضية كما وقعت.
- إيراد ما حدث للدعوات والرسل مع هؤلاء الأقوام.
- إظهار النتائج التي ظهرت في إطار أسلوب حسن جميل كشأن أسلوب القرآن الكريم كله.
- ارتباط القصة بهدف إيرادها وهو الاعتبار والاتعاظ والتذكر.

" فالقصة وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى أغراضه الدينية، والقرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شيء، والقصة إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدعوة وتثبيتها، شأنها في ذلك شأن الصور التي يرسمها للقيامة وللنعيم والعذاب، وشأن الأدلة التي يسوقها على البعث وعلى قدرة الله..." [1].

" والقصة القرآنية لا تقدم من الأحداث إلا ما قد مضى، أما الحاضر والمستقبل فله فيه وسائله البيانية غير القصة من وصف وتصوير، لأن القصة القرآنية أو القصص كله يقوم على تتبع الأحداث الماضية، أو السابقة، وعرض آثار السابقين، إذ هو الذي يحقق العبرة والعظة مقصود القصة القرآنية "[2].

وفيما يبدو أن القصص النبوي الذي كان يقصه النبي ﷺعلى أصحابه لا يدخل في هذا التعريف، بالإضافة إلى ذلك كل الحوادث التي وقعت للمسلمين مع أعدائهم، سواء أكان في حياة الرسول، أم بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، فإنها لا تدخل في التعريف، لأنها ليست من الماضي، ولا هي من آيات القرآن الكريم الواردة بين دفتيه.

والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾[3]، أي نقص عليك يا محمد " أحسن القصص "، فيخبر فيه النبي محمد ﷺعن الأخبار الماضية، وأنبياء الأمم

---

(1) التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، ص 143، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الشرعية16، 1423هـ – 2002م.

(2) البيان القصصي في القرآن الكريم: إبراهيم عوضين، ص14، ط1، 1397هـ – 1977م، واتجاهات التأليف ومناهجه في القصص القرآني: سليمان محمد علي الدقور: ص 34.

(3) يوسف: (3)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السابقة والكتب التي أنزلها في العصور الخالية، ذلك ويدل عليه قوله تعالي:﴿ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ ﴾[1]."ومن هنا يتم استبعاد الأحداث المعاصرة للنبي من مفهوم القصص القرآني"[2].

يظهر مما سبق أن القرآن الكريم أطلق لفظ القصص علي ما حدث به من أخبار الأمم السابقة والقرون الأولي في مجالات الرسالات السماوية وما كان يقع في محيطها من صراع بين الخير والشر والحق والباطل.

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَـذَا لَهُـوَ الْقَصَـصُ الْحَـقُّ ﴾[3]، ويظهر من تفسير الآية السابقة أن القصص هنا مجموع الكلام المشتمل على ما يهدي إليه الدين، ويرشد إليه الحق، ويأمر بطلب النجاة، فالقرآن قد سمى الأحداث والوقائع قصصاً، وهو ما يسمى بالقصص القرآني، ولعل هذه التسمية تتلاقى مع المفهوم اللغوي والاصطلاحي ومع المحتوى الفني للقصة أيضا.

وأظن أن القصة كما تحدثت عنها سابقاً[4] مشتقة من القص، وهو تتبع الأثر.... ويقال قصصت أثره واقتصصته وخرجت في أثر فلان قصصاً، وقص عليه الرؤيا والحديث[5]، حيث قال تعالى: ﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ﴾[6].

إن القصة في القرآن الكريم إنما تتبع أحداثا ماضية واقعة، وتعرض منها ما ترى عرضه، ومن هنا كانت تسمية الأخبار التي جاء بها القرآن الكريم قصصاً مما يدخل في المعنى العام لكلمة " خبر" أو " نبأ "، وقد فرق بينهما في المجال الذي استعملا فيه، وهذا إن دل فإنما يدل على ما قام عليه نظمه من دقة وإحكام وإعجاز.

فاستعمل سبحانه النبأ والأنباء في الإخبار عن الأحداث البعيدة زمناً أو مكاناً على حين استعمل الخبر والأخبار في الكشف عن الوقائع القريبة العهد بالوقوع أو التي لا تزال مشاهدها قائمة ماثلة للبيان، يقول سبحانه فيما يقص على نبيه محمد ﷺ من قصص الأولين:﴿ تِلْكَ مِنْ

---

(1) طه: (99).
(2) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج7، ص147.
(3) آل عمران: (62).
(4) انظر ص: 4 _ 8 .
(5) القصة في القرآن الكريم(معالم وتحليل): محمد خير محمود العدوي، ص32.
(6) يوسف: (5).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾[1]، وفي الخبر والأخبار يقول سبحانه: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾[2].

" إن الاشتقاق اللغوي للقصة يفيد أنها كشف عن آثار مضت، عن أحداث نسيها غفلوا عنها، وغاية ما يراد من ذلك، هو إعادة عرضها من جديد لتذكير الناس بها، ولفتهم إليها لتكون العبرة والعظة..."[3].

ويرى الباحث أن مدلول القصة في القرآن هو مدلولها اللغوي، لكن مضاف إليه تلك الخصائص والسمات التي تميز بها القصص القرآني على غيره.

(1) هود: (49).
(2) الزلزلة: (4).
(3) القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه: عبد الكريم الخطيب، ص45.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأول
القصص القرآني

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: بين القصة القرآنية والقصة الأدبية

المبحث الثاني: عناصر القصص القرآني

المبحث الثالث: أنواع القصص القرآني

المبحث الرابع: أهداف القَصَص القرآني

المبحث الخامس: خصائص القصص القرآني

المبحث السادس: التربية بالقصص القرآني

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول
بين القصة القرآنية والقصة الأدبية

﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَـذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1].

القصة القرآنية هي القصة التي جاءت في القرآن، ونزل بها الوحي الأمين، ليخبر بها الله سبحانه وتعالى، عما حدث للأمم السابقة، وعما دار بين هذه الأمم والرسل من مواقف وأحداث، وما جرى بين هذه الأمم وغيرها من الأمم الأخرى.

وقَصَص القرآن – وهو قصَصٌ لأمورٍ واقعة – يساق للعبر وإعطاء العظات وبيان مكانة الضالين والمكذبين، ومنزلة المؤمنين المهتدين إلى الحق، فهو قَصَص للعبرة من المواقع والأحداث، وليس لمجرد المتعة، وقضاء الوقت في قراءة القصة والاستماع إليها.

لقد قصَ الله علينا من أنباء الرسل والسالفين، ما به تتبين الحقائق، وتقوم البراهين المتنوعة على التوحيد، عكس القص الأدبي الذي مقصده إظهار القدرات الأدبية التي لا تعني إلا بطبقتها، دون أن تراعي شرائح القدرات الذهنية كافة.

ولو نظرنا إلى تعريفات القصة [2] التي ذكرتها آنفا كما تواضع عليها كثير من الكتاب والأدباء لوجدنا أنها لا تنطبق كل الانطباق على مفهوم القصة القرآنية فهي ليست لونا من ألوان الأقصوصة [3]، أو القصة، أو الرواية [4]، بالمعنى المتواضع عليه.

---

(1) هود: آية (120).

(2) تم تعريفها سابقا في التمهيد، ص 12.

(3) الأقصوصة هي: قصة قصيرة تصور جانبا من الحياة، يحلل فيها الكاتب جانبا من جوانب الفن القصصي، كالحدث أو الشخصية، وقد لا يعنى فيها بالتفاصيل، ولا يلتزم ببداية ونهاية.../ انظر: (2) التحرير الأدبي: حسين علي محمد حسين، ص 291، مكتبة العبيكان، ط5، 1425هـ – 2004م.

(4) الرواية هي: أوسع من القصة في أحداثها، وشخصياتها، عدا أنها تشغل حيزا أكبر، وزمنا أطول، وتتعدد مضامينها كما هي في القصة، فيكون فيها الروايات العاطفية والفلسفية والاجتماعية والتاريخية / انظر: التحرير الأدبي: حسين علي محمد حسين، ص292.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولا تحمل من العناصر الفنية ما حمله نقاد العصر الحديث لهذه الألوان، ومن الممكن أن يكون هناك اتفاق بين القصة القرآنية في جملتها أو بعض أجزائها مع ما جاء به الأدباء، وذلك لا يعني أن هذه القصة، أو هذا الجزء، هو القسم الناجح، وما عداه يقع دونه (أقل) مرتبة، وفنية [1].

" القصة في القرآن الكريم لها طبيعتها الخاصة، وبناؤها المتميز الذي يفرقها عن غيرها من القصص البشرية، انطلاقها من أن القرآن الكريم هو في المقام الأول كتاب دعوة دينية، أخرج الناس من الظلمات إلى النور، هو كتاب عقيدة وشريعة، ودستور كامل متكامل للحياة البشرية في مختلف جوانبها الروحية والمادية " [2].

فالقصة ليست عملا فنيا مستقلا في موضوعه وطريقة عرضه، وإدارة حوادثه، بل هي وسيلة من وسائل القرآن الكريم الكثيرة إلى تحقيق هدفه الأصيل، والقرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شيء، والقصة إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدعوة وتثبيتها، وقد خضعت القصة القرآنية في موضوعها لمقتضى الأغراض الدينية، ومع هذا الخضوع الكامل للغرض الديني لم يمنع بروز الخصائص الفنية في عرضها [3].

لعلنا نلاحظ فروقاً كثيرة بين القصة القرآنية والقصة الأدبية، وإذا كان كلا النوعين فناً قولياً يتخذ من اللغة أداة تعبيرية، ومن الحكي وسيلة للكشف عن الشخصية، ومن السرد طريقاً إلى التصوير، فإنهما يختلفان اختلافاً جوهرياً في الغاية والهدف .

ومن الفوارق بين القصة القرآنية والقصة الأدبية:

1- المصدر والأصالة:

لا ريب أن هناك فرقاً بين القصة القرآنية والقصة الأدبية، التي مصدرها البشر كفرق بين القرآن الكريم كلام الله تعالى وكلام البشر، لأن كلام الله تعالى: ﴿ **لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا**

(1) انظر: القصة في القرآن الكريم (معالم وتحليل): محمد خير محمود العدوي، ص 36.
(2) القصة في القرآن- مقاصد الدين وقيم الفن: محمد قطب، ص109، التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، ص 143، البيان القصصي في القرآن الكريم: إبراهيم عوضين، ص13.
(3) انظر: التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، ص 171، والقصة في القرآن- مقاصد الدين وقيم الفن: محمد قطب، ص164، وأنبياء الله: أحمد بهجت، ص 21، دار الشروق، القاهرة، شارع الهرم، ط15، 1407هـ - 1987م، وسياحة الوجدان في رحاب القرآن: إبراهيم أحمد، ج 2، ص 179، دار دون للنشر بلا اشتراك مع دار الكتب والتوثيق، القاهرة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾[2].

" تخبر الآية أن الله بذاته العلية – سبحانه – هو الذي تولى القص على رسوله ﷺ، وهذا كرم منه وفضل، وهذا يدل على أهمية القَصَص في التوجيه والدعوة، وهذا يدعو إلى الثقة بكل ما قصَه الله علينا وتصديقه، والجزم بأنه وقع كما أخبر الله، والاكتفاء بما ذكره الله، وعدم خلطه بما لم يصح في الإسرائيليات والأساطير " [3].

" أما كلام البشر فهو عرضة للنقائض التي تعتريهم، فكلام الباري منزه من كل العيوب والنقائض" [4].

" ومن المعلوم بداهة أن القصص البشري حين يعرض من الناحية البشرية، يعرض من الزاوية التي ينظر منها البشر للأحداث، أو التي توصلوا إليها نتيجة العلم والتجارب المكتسبة، وإذا ما أراد القاص من البشر أن يعرض لنا شيئا غير مألوف أو يذكر بعض الخوارق فهو يعرضها كذلك من نسجه الشخصي ومن وحي مكونات شخصيته التي غالبا ما تكون متأثرة بالأفكار التي يحملها أو الثقافة التي اكتسبها وتصوراته عن الكون والحياة وما فيها من أشياء" [5].

والقصة البشرية مصدرها البشر، يعبرون فيها عن حوادث تاريخية وقعت، أو يتخيلون أشياء خيالية على حسب حالهم ومشاكلهم دون أن يلتزموا الصدق والواقعية دائما.

أما أصالة العمل الفني في القصة القرآنية التي تضفي الخلود على هذا العمل وتقيمه في الحياة مقام الأحياء.... لن يكون أصيلا إلا إذا كان من منبعه إلى مصبه ملتزماً الحق، جارياً معه... أو بمعنى أدق لأن أصالته لا تقبل الزيف، ولا تلتئم مع الباطل... أبداً، وما خلد من أعمال

---

(1) فصلت: (42).

(2) يوسف: (3).

(3) القصة في القرآن الكريم (معالم وتحليل): محمد خير محمود العدوي، ص145.، والقصص القرآني (عرض – وقائع – تحليل الأحداث): صلاح الخالدي. ج 1، ص 29، الدار الشامية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ – 1998م.

(4) الآفاق الفنية في القصة القرآنية " رؤية تربوية لإعداد الدعاة ": محمد ناجي مشرح، ص 13– 14، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، ميدان الجامعة، ط1، 1992م.

(5) القصة في القرآن الكريم (معالم وتحليل): محمد خير محمود العدوي، ص116.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فنية إلا لما تحمل من قوى الحق، الذي كتب له وحده البقاء والخلود في ذاته، وفي كل ما تلبس به"[1].

والفن مهما يبلغ من الأصالة لا يمكن أن يجمع الحق من جميع أطرافه، وإنما يحسبه من الأصالة أن يلم ببعض من أطراف الحق، وإذا كان ذلك هو غاية مستطاع الفن في أعلى منازله، إذن القصة القرآنية هي القادرة قدرة مطلقة على أن تحمل الحق كله لا يلتبس بها إلا الحق،ولا يحمل عليها إلا ما هو حق... [2].

يتبين مما سبق ذكره أن العمل الفني الأصيل يخرج في ضمان هذه الأصالة معافى من الزيف، سليماً من التمويه والكذب.

2- اتساع المدى والعمق:

" القصة القرآنية تتناول الأبعاد طولاً وعرضاً وعمقاً كافة، سواء أكان في ذكرها لأحوال النفس الإنسانية أم لآفاق الكون " [3].

والقصة القرآنية " تأخذ الواقع الأكبر للإنسانية بصورته الشاملة وبما فيه من خير وشر، وما فيه من مادة وروح، وبما ينطوي عليه من جوانب عليا، وأنها هي الجوانب الأصيلة فيه، الجديرة بتسليط الأضواء عليها " [4].

وفيما أظن أن القصة البشرية تعجز عن ذلك، لعدم المعرفة بتلك الأبعاد بنفس العمق، والإحاطة بمحدودية الإمكانات والطاقات.

إن معظم القصص القرآني لا تنطبق عليه الحدود التي رسمها النقاد المحدثون للقصة الأدبية، فالبناء غير البناء، والنسب والأبعاد غير النسب والأبعاد، إلا في نواح محددة، وأبرز خطوط التقاطع بينهما هو إيراد مغزى القصة القرآنية، فإننا نجد أن القصة القرآنية تشيع فيها التعليقات التي تلخص مغزى القصة، فنرى هذه التعليقات تسبق سرد أحداث القصة، أو تلحق السرد، أو تأتي في أثنائه... ومن أمثلة التعليقات التي تلخص مغزى القصة مثلاً ما جاء في سورة يوسف، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ﴾[5][6].

---

(1) القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه: عبد الكريم الخطيب، ص10.

(2) انظر: المرجع السابق، ص10.

(3) في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي. ج 5، ص 2835، دار الشروق، بيروت، ط9، 1400هـ.

(4) القصة في القرآن- مقاصد الدين وقيم الفن: محمد قطب، ص32.

(5) يوسف: (7).

(6) انظر: دراسة أدبية في القصة القرآنية: سليمان الطراونة. ص 16، ط1، 1413هـ - 1992م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد يرى البعض أن مثل هذه التعليقات تبعد القصص القرآني عن صياغات القصص الفني، وهذا صحيح، فهي سمة تميز بها القصص القرآني ليدلل على ما أراده من غرض ديني أولاً، مثل هذه الإخلالات بالنواحي الفنية المقصودة في القصة القرآنية تخرجها من إطار القصة الفنية كما تواضع عليها النقاد في العالم[1].

3- الهدف:

" الهدف في القصة القرآنية العظة والعبرة والهداية " [2]، وفي القصة الأدبية يختلف باختلاف الأشخاص والأفكار والنوايا، ويهدف غالبا للإثارة والتشويق وقد يكون " التشويق "[3].

يتبين مما سبق أن القصص القرآني يختلف عن غيره من القصص في ناحية أساسية وهي ناحية الهدف والغرض الذي جاء من أجله، ذلك أن القرآن الكريم لم يعرض القصة لأنها عمل فني مستقل في موضوعه وطريقة التعبير فيه، كما أنه لم يأت بالقصة من أجل التحدث عن أخبار الماضين وتسجيل حياتهم وشؤونها كما يفعل المؤرخون وإنما كان عرض القصة في القرآن الكريم مساهمة في الأساليب العديدة التي سلكها لتحقيق أهدافه وأغراضه الدينية التي جاء الكتاب الكريم من أجلها.

إن القصة القرآنية تهدف إلى تقديم النموذج المثالي للسلوك والأخلاق، للقدوة المتعالية عن الدنايا وأخطاء البشر، بينما القصة الأدبية تعالج أنماط السلوك البشري فقط [4].

إن القصة القرآنية تهدف إلى غايات دينية بحتة تحددها الأغراض الدينية التي تدور القصة في فلكها.

4- العناصر الفنية:

القصة القرآنية لا تحمل في كلياتها كل العناصر الفنية، ليس معنى ذلك أنها خالية من العناصر الفنية، فبعض القصص القرآني إن لم تتفق في جملتها مع ما تواضع عليه جل النقاد، فإن أجزاءً منها تملك من الشرائط الفنية، ما يبرر في استعمال نهج أدبية الأدب في تحليلها [5].

---

(1) انظر: المرجع السابق، ص 16.

(2) مباحث في علوم القرآن: مناع القطان، ص93.

(3) القصة في القرآن الكريم(معالم وتحليل): محمد خير محمود العدوي، ص143، الآفاق الفنية في القصة القرآنية " رؤية تربوية لإعداد الدعاة ": محمد ناجي مشرح، ص 24.

(4) انظر القصة في القرآن- مقاصد الدين وقيم الفن: محمد قطب، ص24.

(5) انظر: القصة في القرآن- مقاصد الدين وقيم الفن: محمد قطب، ص20.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والقصة القرآنية لا يشترط فيها توافر كل العناصر، فقد يتوفر البعض منها حسب السياق والهدف القرآني، أما القصة الأدبية فلا بد فيها من توفر كل العناصر، مثل الشخصيات والحدث والزمان والمكان، وكلها تعمل مجتمعة لإبراز الفكرة التي من أجلها وضعت القصة.

" المعروف أن القصة القرآنية منزهة عما يريدون من فن في القصة الأدبية، فشروطها – القصة الفنية – أن يكون لها وحدة فنية، وأن يراعى في عرضها جانب التلميح ما أمكن، وألا تخلو من عنصر التشويق، وأن يكون أسلوبها طبيعيا... لكن القصة القرآنية لا تخضع لهذا المفهوم ولا لهذه الأسس، فالقصة القرآنية لا تخضع للمقاييس البشرية " [1].

" والقصة في القرآن الكريم من الناحية الفنية تتمثل في الصدق والواقعية وجمال العرض، وتنسيق الأداء وبراعة الإفراج، وقوة الإحياء " [2].

وإذا التقت قصص البشر، في نواحيها الفنية مع القصة القرآنية، فهذا الأمر من حسن حظ القصة البشرية وجزء من توفيقها.

يستنتج مما سبق أن القصة الفنية لها عناصر رئيسة هي: الموضوع، الشخصيات، الحوار...ومن ضوابطها: أن تكون القصة في قالب الفن، و التلميح يكون جانباً مرجحاً في عرضها قدر الإمكان، وأن يرسم كاتبها شخصية، و أن لا تظهر الموعظة أو العبرة مباشرةً في صورة التلميح، وتوفر عنصر التشويق فيها...

5- الصدق والواقعية:

"القصة القرآنية بنيت بناء محكماً من لبنات الحقيقة المطلقة التي لا يطوف بحماها طائف من خيال ولا يطرقها طارق منه " [3].

فإن القصة القرآنية تمتاز عن القصص الأخرى بأنه لا مجال فيها للأسطورة والخيال ولا للكذب والافتراء، ولا للزخرفة والتنميق، ولا للخرافة والأوهام، ولا للإضافة والاستطرادات التي ترضي المشاهدين والمتفرجين، وتجتذب الأفكار والنفوس على حساب الواقع القائم والحدث الأصلي [4].

---

(1) الآفاق الفنية في القصة القرآنية " رؤية تربوية لإعداد الدعاة ": محمد ناجي مشرح، ص 24.

(2) التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، ص 225، والآفاق الفنية في القصة القرآنية " رؤية تربوية لإعداد الدعاة": محمد ناجي مشرح، ص16.

(3) القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه: عبد الكريم الخطيب، ص40.

(4) انظر: القصة القرآنية (هداية وبيان): وهبة الزحيلي. ص 18، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، 1418هـ - 1998م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" أما القصة الأدبية ففيها الخيال والرمزية والأسطورة " [1].

فعنصر الخيال الذي من شأنه أن يلون الأحداث بألوان غير ألوانها، وأن يبدل ويغير في صورها وأشكالها، وبهذا تكون القصة منسوجة على منوال لم يألفه الناس، فهذا اللون من القصص يعتمد على الإثارة والتشويق[2].

" القصة القرآنية تبني أحداثها ووقائعها على الصدق والحق مبتعدة في ذلك عن الوهم والمبالغة، وهذا الصدق إما أن يكون واقعيا وهو ما يتصل بالجانب التاريخي وإما أن يكون موضوعيا وهو ما يتصل بالجانب التمثيلي..." [3].

فالقصص القرآني نسيج من الصدق الخالص، وعصارة من الحقيقة المصفاة، لا تشوبه شائبة من وهم أو خيال، إنه يبنى من لبنات الواقع، بلا تزوير أو تمويه، وهذا الواقع لا يتغير وجهه، حين يعرض هذا العرض المعجز في الأسلوب الرائع، فالإعجاز والروعة، إنما يتجليان في شرائر النفوس، وخلجات الصدور.. إنه نقل حي للأحداث.

"كما أن القصة الأدبية تعالج الحياة الواقعة أو المتوقعة الذي يختلط فيه الخيال بالحقيقة، وتكثر فيه الرؤى والأحلام... وليس هذا ما كان في القرآن من حديث عن الواقع أو المستقبل... لكنه الصدق المصفى، والحق المبين " [4].

لكن القصص القرآني ليس فيه مجال للخيال، ولا استنطاق لشخصيات، ولا اختراع لحوارات، فكل شخصية يعرضها هي شخصية حقيقية، يعرفها الزمان والمكان، وكل كلمة تقال هي الصدق بعينه، لا مجال فيها لزيادة أو نقصان وفي ذلك قال تعالى: ﴿**إِنَّ هَـذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ**﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ**﴾[6][7].

---

(1) الآفاق الفنية في القصة القرآنية " رؤية تربوية لإعداد الدعاة ": محمد ناجي مشرح، ص 26

(2) انظر: القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه: عبد الكريم الخطيب، ص39.

(3) انظر: القصة في القرآن– مقاصد الدين وقيم الفن: محمد قطب، ص266.

(4) القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه: عبد الكريم الخطيب، ص48.

(5) آل عمران: (62).

(6) الكهف: (13).

(7) انظر: الآفاق الفنية في القصة القرآنية " رؤية تربوية لإعداد الدعاة ": محمد ناجي مشرح، ص 24، وأساليب الدعوة إلى الله تعالى في القرآن الكريم: سيد نوفل: مجلة الجامعة الإسلامية، مجلة علمية – محكمة، العدد 131، ص 3، تصدر عن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وزارة التربية والتعليم العالي، المملكة العربية السعودية، 1426هـ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالقصة القرآنية هي صدق كلها، وحقيقة ماثلة لا زيادة فيها، وواقع وحكمة وعدل ومصلحة للفرد والجماعة والإنسان والإنسانية، إنها كلام الله الأمين، والله يقص الحق، ويقول الحق، ويقضي الحق، وهو أحكم الحاكمين، وإن كتاب الله يصور الحقائق ببيان بليغ، وتأثير شديد، وتفصيل لما يقتضيه البيان للأجيال على ممر الزمان.

وأن ما ذكر في القصص القرآني من تاريخ البشر وأحوال الأمم الماضية من حيث السعادة والشقاوة والنجاة والعذاب صادق وحق ليس فيه زيادة ولا نقصان ولا يوجد فيه شائبة الكذب أصلا، ولا يتصور هذا في القصة القرآنية أن يكون، وإذا أخذنا القصة القرآنية من جميع الجوانب السابقة نتوصل إلى معرفة إعجازها، وهذه ميزة عجزت عنها القصة الفنية أصلا.

ولعل القول أيضا إن القصص القرآني هو أنباء وأحداث تاريخية، لم تلتبس بشيء من الخيال، ولم يدخل عليها شيء غير الواقع، ومع هذا فقد اشتمل على ما لم يشتمل عليه غيره من قصص، من الإثارة والتشويق مع قيامه على الحقائق المطلقة، الأمر الذي لا يصلح عليه القصص الأدبي بحال أبدا.

6- الشخصيات:

" الشخصية في القرآن الكريم شخصية واقعية، فهي من صميم الواقع الصادق، فذلك شأن القرآن في كل ما يعرضه دائما الصدق والواقعية والأمانة، بخلاف الشخصية لدى القاص البشر، فهي لا تخلو من تدخل شخصية الكاتب في مواصفاتها أو صفاتها، مهما بلغ هذا التدخل كماً ونوعا "[1].

إن الشخصيات في القصص القرآني كلها واقعية تتمثل الصدق الكامل من صميم الواقع، إلا أنها تكون على نحو يخدم الهدف ولا خيال فيه، وقد تكون الشخصية في القصة الأدبية صادقة أو لا تكون، وقد تكون مشوبة بالخيال في غالب أحيانها، وتسرد حسب رغبة المؤلف.

كما أن الشخصية في القصة القرآنية لا يوجد فيها تتبع كامل لحياة الشخصية، وشبكة أحداثها، وإنما هو اختيار مبثوث عبر السور، كما تتخذ الصدق الحقيقي مقياسا لها [2].

(1) القصة في القرآن الكريم(معالم وتحليل): محمد خير محمود العدوي، ص54

(2) انظر: القصة في القرآن- مقاصد الدين وقيم الفن: محمد قطب، ص24.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" بينما في القصة الأدبية يستغل الأديب عناصر الإثارة والتشويق عن طريق تصوير البطل من خلال التخيل العميق، والتصوير الدقيق للأحوال والمواقف، حتى يستوي له من خلال هذه التخيلات والتصورات قصة مؤثرة "[1].

وأبطال القصة البشرية " رجال عاديون، حيث تصف الرواية الرجل العادي، فتعبر عن العاديين من البشر الذين نراهم ونتعامل معهم، وليس النبي المصطفى المرسل إلى الأمة كفرد عادي ينسلك ضمن ملايين الأفراد العاديين... بينما القصة القرآنية أبطالها هم قادة الأمم ورسلها إلى الصلاح..إنهم الأنبياء والرسل " [2].

يبدو أن النص القرآني لم يهتم بذكر أسماء بعض الشخصيات في بعض القصص القرآني، ولم يعن برسم الخطوط الشكلية للشخصية وإبراز ملامحها الخارجية، كما يفعل المولوعون بالقصص الأدبية والفنية، بالكشف حتى عن مزاج الشخصية، فالشخصية في القصة الأدبية هي من صنع الكاتب وخياله، ومن هنا لا يكون للكشف عن أسمائها أثر في وجودها الذي أقامها الكاتب عليه.

" إن القصة القرآنية ليست عملا فنيا مستقلا في موضوعه وطريقة عرضه، وإدارة حوادثه كما هو في شأن القصة العادية، وإنما هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى إبراز الأغراض من الدينية التي تكفل للإنسان السعادة في الدنيا والآخرة، والقصة الفنية التي تقوم بإبداعها قصاص من البشر، تترجم عن مشاعر ومعاناة التجربة التي مر بها المؤلف أو نقلها عن تجربة مؤثرة "[3].

(1) أسرار القصة القرآنية: فهد خليل زايد، ص31 – 32.
(2) القصة في القرآن– مقاصد الدين وقيم الفن: محمد قطب، ص24.
(3) المرجع السابق، ص24.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

عناصر القصص القرآني

لابد لأي قصة أن تقوم على عناصر رئيسة تشكل بنيانها، وعناصر محددة تحكم بناءها، ولا غنى للنص القصصي عنها، حيث تتأثر وتؤثر في السرد القصصي القرآني، لتحقيق أهدافه وغاياته السامية في التربية الإسلامية.

" وقد برزت هذه العناصر واضحة في أحاديث الأنبياء والرسل لأقوامهم وفي توجيهاتهم وسيرهم ومواقفهم، لتبقى أمثلة حية في تنفيذها وتفعيلها في العملية التربوية الإسلامية " [1].

ومن أبرز هذه العناصر:

أولاً: الشخصية:

تعتبر الشخصية العنصر الأساسي في القصة ومبناها الكبير، فهي صانعة الأحداث ومجرية الحوار، ومخترعة الأسلوب [2].

" كما تعتبر الشخصية من أهم عناصر القصة في تصوير الشخصية بمعالمها النفسية والتربوية، وقد صورت القصة القرآنية شخصياتها أروع تصوير، أبرزت فيها كل سماتها، ومكوناتها في بعدها التربوي، وهو البعد الأهم في الشخصية الإنسانية [3].

ويرى الباحث أن الشخوص عنصر أصيل من عناصر القصة وأساس لا بد منه، فهم الذين يقومون بنقل الأحداث، بل هم الذين يصنعون الأحدث ويتلقونها، وهم الذين يتخاطبون فيما بينهم ويتحاورون، فلا يمكن أن تخلو القصة من الشخوص خلواً تاماً، حيث تقوم الشخصية بتجسيم العواطف، والمشاعر الإنسانية، فتجعل القصة حية شاخصة، وليست مجرد قصة تروى.

" والشخصيات في النظم القرآني شخصيات منسجمة مع ذاتها، ومع تصرفاتها، أو الأعمال الصادرة عنها، وتبقى طوال الأحداث التي يسردها القرآن ذات وجه واحد وموقف واحد، تجاه الخير والشر، وتبقى سماتها التي عرفت فيها ابتداء مصاحبة لها حتى النهاية[4]".

---

(1) المبادئ التربوية والأسس النفسية في القصص القرآني: شاهر ذيب أبو شريخ، ص 24، دار النفائس للنشر والتوزيع، ط 1، 1427هـ - 2007م.

(2) انظر: القصة في القرآن الكريم: مريم عبد القادر السباعي، ص101.

(3) المبادئ التربوية والأسس النفسية في القصص القرآني: شاهر ذيب أبو شريخ، ص 24.

(4) سيكولوجية القصة في القرآن: تهامي نقرة، ص 694.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" وهذا ما يسمى في عرف التربية الحديث " اتساق شخصية الفرد " بحيث سلوكه يتناغم بصفة مستمرة مع الظروف الداخلية والخارجية التي يتعرض لها " [1].

إن الشخصية في القصة القرآنية – شخصية واقعية – كان لها وجود ذاتي في زمانها ومكانها، وتناقلها الأخبار والكتاب والكتب، فهي من صميم الواقع الصادق، لا تزيد فيها ولا عليها، شأن القرآن في كل ما يعرضه دائماً الصدق والواقعية والأمانة [2].

فالشخصيات القرآنية – شخصيات حقيقية واقعية – ورغم واقعية الشخوص وتاريخيتها إلا أن عرض القرآن للشخوص لم يكن بقصد عرض التسلسل الزمني لمراحل حياتها... إنما بقصد إبراز العبرة والتأسي بالشخصيات الخيرة.

" لقد رسمت النماذج الإنسانية المعروضة في القرآن الشخصية الإنسانية في صورها الحركية أثناء وجودها الواقعي الحي، وكشفت هذه الصور عن ثنائية ضخمة ممتدة للشخصيات بين موقعين، معسكر الإيمان والحق "معسكر الخير"، ومعسكر الكفر والباطل " معسكر الشر "[3].

والقرآن الكريم لم يبرز عنصر الشخصية لذاته، إنما للتأسي بالشخصية الخيرة [4]، والتنفير من الشخصية الشريرة، لذلك لم يعن القرآن الكريم برسم الخطوط الشكلية للشخصية، وإبراز ملامحها الخارجية ومواقفها التربوية الفاعلة في العملية التربوية[5].

والشخوص القرآنية نمط خاص من الشخوص، تختلف في بنائها عن كل الأنماط المعروفة في بناء الشخصية في العمل الفني كالقصة والرواية والمسرحية...

" كما يأتي تصوير القرآن للشخصية القصصية حسب ما يقتضيه السياق الدرامي للقصة وعلى حسب موضوعها المحوري من معالجة، فتقدم الشخصية أبعادها الداخلية والخارجية كافة،

---

(1) الصحة النفسية دراسات في سيكولوجية التكيف: مصطفى فهمي، ص 51، مكتبة الخافجي، القاهرة،ط3، 1415 هـ – 1995.

(2) انظر: القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه: عبد الكريم الخطيب، ص95، والتصوير الفني في القرآن: سيد قطب، ص 145، وسيكولوجية القصة في القرآن: تهامي نقرة، ص 398.

(3) الشخصية القرآنية: نزيه محمد اعلاوي، ص 340، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 6، 1426هـ – 2006م.

(4) انظر: قصص القرآن الكريم " صدق حدث– وسمو هدف – وإرهاف حِس وتهذيب نفس ": فضل حسن عباس، ص39، والمبادئ التربوية والأسس النفسية في القصص القرآني: شاهر ذيب أبو شريخ، ص 24، والقصة في القرآن الكريم: مريم عبد القادر السباعي، ص101.

(5) انظر: المبادئ التربوية والأسس النفسية في القصص القرآني: شاهر ذيب أبو شريخ، ص 24.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حيث نلحظ الشخصية في حركة دائمة تتخذ مسلك ما يمليه عليها الموقف، واتجاهاً يكون نابعاً من ذاتيتها، مما يحيل الشخصية القرآنية شخصية غنية بالمواقف والحركة " [1].

يتضح لنا مما سبق أن القصة القرآنية تخضع لمنهج القرآن ولغرض القرآن، فهي هداية ونصح وتوجيه وتربية للنفوس، وترتب على ذلك أن الشخصية في القصة القرآنية ليست مرادة لذاتها، مهما كان مركزها التاريخي، وإنما المراد من القصة عرض الشخصية بوصف يتحرك في الحياة الخيرة أو الشريرة، وفي صراعها مع الخير والشر.

فالشخصية في القصة القرآنية ينظر إليها بهذا الاعتبار الذي تؤدي فيه دورها كشاهد من شواهد الإنسانية في قوتها أو ضعفها وفي اشتقاقها أو انحرافها، وفي هداها أو ضلالها، وفي رشدها أو غيبها... إلى غير ذلك مما تندرج تحته عوالم الإنسانية وتتشعب فيه مذاهب سعيها ومسلكها [2].

والشخصية في القصص القرآني تنقسم إلى قسمين، ولكل قسم فروع تندرج تحته، فهناك نماذج بشرية تندرج تحتها نماذج فردية معينة، ونماذج إنسانية عامة، وأنموذج إنساني لجنس معين... وهناك نماذج غير بشرية تندرج تحتها نماذج مشاهدة ونماذج غير مشاهدة.[3]

" والشخصية في القصص القرآني تأتي بارزة ما عدا الأسماء، فقد تذكر الأسماء، وقد لا تذكر، لأن الشخص في القصص القرآني يعبر عن الإنسان بكله " [4].

" لقد تعددت أساليب القرآن الكريم في رسم شخصية الكافر وتنوعت، لكن القدر المشترك بين هذه الأساليب، أن القرآن قدم هذه الشخصية على صورة كريهة دوماً مقرونة بالمصير النكد الذي ستؤول إليه في خاتمة المطاف " جهنم " أو من خلال المصير المفترض في حركة استرجاعية ترسم صورتهم التي أودت بهم إلى هذا المصير النكد " [5].

ويرى الباحث أن القرآن يرسم الأشخاص، ويصورها بطريقة غير مباشرة، من حيث عرض الشخوص في تفكيرها وأعمالها وحركاتها، والشخصيات في القصص القرآني وأنها ليست مقصودة

---

(1) انظر: المقصدية الجمالية أهم مقاصد القصة القرآنية: رشيد اركيبي، العدد 36، ص3، تصدر عن جامعة شعيب الدكالي ،كلية الآداب، المغرب ،16- مايو – 2012م.

(2) انظر: القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه: عبد الكريم الخطيب، ص41.

(3) انظر: القصة في القرآن الكريم: مريم عبد القادر السباعي، ص101، والشخصية القرآنية: نزيه محمد اعلاوي، ص236، والقصة في القرآن الكريم(معالم وتحليل): محمد خير محمود العدوي، ص57.

(4) والمبادئ التربوية والأسس النفسية في القصص القرآني: شاهر ذيب أبو شريخ، ص 24.

(5) الشخصية القرآنية: نزيه محمد اعلاوي، ص277.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لذاتها، إنما المقصود فيها هو الحدث الذي جرت حوله القصة وهو العبرة والعظة، وليس المراد من سياق القصص هو إبراز قوة الشخصية أو تمجيدها، أو ذكر أوصافها كالطور، ولون الشعر والعينين وغير ذلك، إنما يعرضها كنماذج بشرية للاقتداء بها إن كانت خيرة، أو التنفير منها إن كانت شريرة.

" ومن الشخصيات النبوية المذكورة في القرآن، شخصية إبراهيم عليه السلام، فنرى شخصيته هي أعظم مثال للهداية والطاعة والشكر، قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [1] "[2].

وشخصية الأنبياء التي ورد ذكرها في القصص القرآني اختيروا لغاية مقصودة من بين كثير من الأنبياء والرسل، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [3]... ويبدو أن هناك أموراً سوغت اختيار هؤلاء من بين الأنبياء ليأتي القرآن على ذكرهم، ومن الأمور التي سوغت اختيار هذه المجموعة من الرسل، فهو تشابه التجربة الدعوية التي عانوها مع ما كان يمر به الرسول ﷺ في دعوته وما لقيه من تكذيب وكفر في المرحلة المكية خاصة [4].

وهناك شخصيات لم يذكر القرآن اسمها، ولم يكشف عن وظيفتها الاجتماعية في الحياة، بل اكتفى بذكر بعض ما لها من صفات نفسية أو روحية[5].

وفيما يبدو أن القصص الذي يقصد فيه إلى التأثير بأحداث القصة وإبراز الحادثة، والحكمة منها، يخفي منه كل الأسماء وصور الشخصيات، وتبرز الحادثة فقط، وهذا ما لاحظته في قصة عاد وثمود، حيث اختفت شخصية الرسول اختفاءً يكاد يكون شبه تام، قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ

---

(1) النحل: (120 – 121).

(2) القصة في القرآن الكريم: مريم عبد القادر السباعي، ص104، والقصص القرآني (عرض – وقائع – تحليل الأحداث): صلاح الخالدي. ج 1، ص 72.

(3) غافر: (78).

(4) انظر: القصص القرآني (عرض – وقائع – تحليل الأحداث): صلاح الخالدي. ج 1، ص 72، والشخصية القرآنية: نزيه محمد اعلاوي، ص277.

(5) انظر: القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه: عبد الكريم الخطيب، ص99 –100.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ * فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ * وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴾[1].

ويجب أن نعلم أن القصص القرآني حين يبهم أبطاله يبهمهم لحكمة، فلو تأملنا إبهام الأشخاص في قصة أهل الكهف لوجدناها عين البيان لأصل القصة، قال تعالى: ﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا * فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا * ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا * نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾[2][3].

فشخصية الأنبياء والرسل من أبرز أشخاص القصة القرآنية، وقد حظيت بجانب كبير من السور التي سميت بأسماء الأنبياء كسورة محمد ﷺ وإبراهيم، ويوسف وموسى عليهم السلام...

وقد عرض القرآن بعض الشخصيات غير البشرية كشخصية الجن في القرآن الكريم، حيث تعتبر شخصيات هامشية رغم تكرر الإشارة إليها، فالقرآن لم يعن عناية كبيرة بتفاصيل حركتهم وبعالمهم، إلا فيما يتعلق بشخصية إبليس، وذلك لخطورة أثر هذه الشخصية في القسمة الكبرى للمخلوقات بين الشر والخير، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ *قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ * قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾[4][5].

---

(1) الحاقة: (4 – 8).

(2) الكهف: (10 – 12).

(3) انظر: تفسير الشعراوي " الخواطر ": محمد متولي الشعراوي، ص 14.

(4) الأعراف: (11 – 17).

(5) الشخصية القرآنية: نزيه محمد اعلاوي، ص351.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لعل المغزى من وراء ورود شخصية إبليس وذكر تفاصيلها، هو التنبيه على أنه لا دافع لقضاء الله، ولا مانع منه، فإن الدليل وإن كان في غاية الظهور ونهاية القوة فإنه لا يحصل النفع به إلا إذا قضى الله تعالى ذلك وقدره.

" إن كل شخصية من شخصيات القصة القرآنية لها دورها البارز في القصة، وتتفاعل تفاعلاً تاماً مع سائر الشخصيات الأخرى، بحيث تحس بأن هناك سلكاً منتظماً يجمع هذه الشخصيات ذات الأواصر القوية، وهو الذي يعرف ببطل القصة، يرتبط بجميع الشخصيات ارتباطاً وثيقاً "[1].

يظهر مما سبق أن الشخصيات القرآنية شخصيات منوعة، حفلت برجال ونساء وأفراد وجماعات، وقادة وعسكريون، وأنبياء ورسل، وملائكة، ولكني أظن أن الحضور الأكبر والأقوى والأعظم للشخصيات المتميزة من الأنبياء، أو من ذوي المناصب الدنيوية.

ثانياَ: الحوادث:

" الحوادث هي الوقائع التي تجري في القصة، ويدور حولها عنصر الحوار والأشخاص"[2]، " فالشخصية مرتبطة بالحدث، إذ لا بد لكل فعل من فاعل، وهي تتفاعل مع أحداثها حية في تصرفاتها، وتصور لنا الوقائع كأنها مرآة نشاهدها ونعيشها وننسجم داخل كيانها القصصي في انفعال تام"[3].

لعل الصلة بين الحوادث والشخصيات في القصة أقوى من أن يدلل عليها أو يلفت الذهن إليها، ذلك لأنهما العنصران الرئيسان في كل قصة، ثم نحن لا نستطيع أن نتصور شخصاً من غير أحداث تلم به أو تقع عليه.

" ويعتبر الحدث من أهم عناصر القصة، إذ هو جزء أساسي من الموضوع في القصة القرآنية، وعن طريقه يكون الوصول إلى قلب القصة " [4].

إن الأحداث – ليست مجرد أحداث تروى – وإنما هي حياة تبعث، فتتفاعل وتتحرك، وتلد عظات وعبراً، كأننا نعيشها... والأحداث حينما تُعرض في القرآن الكريم، نجدها تثير الانفعالات

(1) الجانب الفني في قصص القرآن الكريم: عمر محمد باحاذق، ص 128.
(2) القصة في القرآن الكريم: مريم عبد القادر السباعي، ص119.
(3)المبادئ التربوية والأسس النفسية في القصص القرآني: شاهر ذيب أبو شريخ، ص 25، والجانب الفني في قصص القرآن الكريم: عمر محمد باحاذق، ص 124.
(4) القصة في القرآن الكريم: مريم عبد القادر السباعي، ص119.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الوجدانية فينا، وتشيع اللذة الفنية بهذه الإثارة، وتستجين الحياة الكامنة بهذه الانفعالات، وتغذى الخيال بالصور لتحقيق هذا جميعه [1].

" ورغم هذا الأمر هو من وظيفة الفن – من الناحية الفنية البحتة – إلا أننا نجده في أحداث القرآن الكريم مؤدى على وجهه وما أروعه بطريقة التصوير أو التشخيص للفن الجميل: لأن هذه الريشة المبدعة ما مست جامداً إلا نبض بالحياة، ولا عرضت مألوفاً إلا بدا جديداً، وتلك قدرة قادرة، معجزة ساحرة، كسائر معجزات الحياة " [2].

فالقصة القرآنية " تسرد الحدث لتنقل السريع في تسلسل الأحداث، والاعتماد على تتابع الأحداث تتابعاً سريعاً لخلق جو مليء بالحركة، وكأننا أمام مسرح حافل بالنشاط في مشاهد حيوية متتابعة " [3].

قال تعالى: ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا * وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا ﴾ [4] " معنى هذا أنه قد ينصرف الاهتمام في القصة القرآنية إلى الحدث دون الشخصية، فيختار القرآن من الحدث ما يخدم الفكرة الرئيسة، كما يخلق الجو التربوي الملائم من رهبة أو رغبة مما يثير الانفعال تاركاً الأثر في النفس للتربية والتعليم " [5].

وأغلب الظن أن كل الأحداث التي ترد في القصص القرآني تكمل بعضها بعضاً، وأن الحدث الثاني لاحق للأول، وكالنتيجة له، فأحداث القصة تتابع وكل جزيئاتها يكمل بعضها بعضاً.

" ومن هنا تأتي صعوبة القصة، فهي ليست سرداً قصصياً كما قد تبدو، وإنما هي خلق وضبط وإحكام ودأب في أن يبث القصاص في قصته ما يجعلها خليقة بالبقاء "[6].

" والحدث كثيراً ما يعرض مجرداً من ذكر الزمان والمكان اللذين وقع فيهما، وقد يكون مهماً لأحدهما، حيث أثر في سير الحدث، فيتعلق الغرض بذكره، كما في قوله تعالى في شأن أخوة

---

(1) انظر: القصة في القرآن الكريم(معالم وتحليل): محمد خير محمود العدوي، ص50.
(2) التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، ص 189.
(3) القصة في القرآن– مقاصد الدين وقيم الفن: محمد قطب، ص111.
(4) الكهف: (42 – 43).
(5) المبادئ التربوية والأسس النفسية في القصص القرآني: شاهر ذيب أبو شريخ، ص 25.
(6) في النقد الأدبي: شوقي ضيف، ص 229.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يوسف: ﴿ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴾[1]، فقد حرص القرآن الكريم على ذكر الزمن الذي دبرت فيه الجريمة، وجرى فيه الحدث " [2].

يتضح لنا أن القرآن الكريم يتعقب الأحداث في القصص القرآني بما يبررها أو يفسر أسبابها، أو ربما ليبرز مواطن العبرة فيها، حتى يكون لها وقعها في النفوس مستخدماً في ذلك أسلوب التذكر والحدث والاعتبار.

ثالثا: الحوار:

هو وحدة من بين أساليب القول يعتمد عليه في صياغة الحركة وتلونها وتنوعها"[3]، "وهو الذي يبعث الحياة والحركة في الحدث، ويؤدي إلى الهدف، ويصور الشخصيات، ويظهر المغزى، وهو الكاشف عن مدى الصراع في المواقف المتغيرة"[4].

" فالحوار من مكونات القصة، ومن دعائمها الأصلية ولا تخلو منه غالباً، سواء أجاء واضحاً في الجملة الحوارية أم متضمناً في السياق، أو محكياً عنه أثناء السرد، فهو مظهر بارز للعملية القصصية " [5].

ولم يخلُ موقف من مواقف الدعوة والجدل الذي تتضمنه قصص الأنبياء من حوار هادئ حيناً أو معجز متحدياً حيناً آخر [6].

يرى الباحث أن أهم ما يلحظ على الحوار في القصص القرآني أن كل كلمة، وكل جملة ترد في الحوار على لسان شخصية من الشخصيات، إنما تعبر عن هذه الشخصية وعن مشاعرها.

حيث يصور الحوار الأحداث في أسلوب الحكاية تصويراً يكشف عن خبايا الصدور، وطريقة القرآن في تصوير الحوار تقوم على أساس الرواية، فيذكر القرآن أقوال الأشخاص، ويصورها بقوله

---

(1) يوسف: (16).
(2) المبادئ التربوية والأسس النفسية في القصص القرآني: شاهر ذيب أبو شريخ، ص 26.
(3) القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه: عبد الكريم الخطيب، ص119.
(4) القصة في القرآن الكريم(معالم وتحليل): محمد خير محمود العدوي، ص69.
(5) القصة في القرآن– مقاصد الدين وقيم الفن: محمد قطب، ص95.
(6) انظر: المرجع السابق، ص 246.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعالى: (قال)، (قالت)، (قالا)، (قالوا)، وذلك لأن الحوار في القصص القرآني قد يكون بين كثرة، وقد يكون بين اثنين فقط[1].

إن الأمر السابق يلفت ذهننا إلى أمر خاص بالحوار في القصص القرآني، أنه ليس من اللازم أن يقوم الحوار بين اثنين، وقد يكون بين كثرة، وكل هذه الأمور ملحوظة فعلاً في القصص القرآني، فالحوار بين اثنين مثلاً كالحوار بين إبليس وآدم، وبين إبراهيم وأبيه.

" وموضوعات الحوار في القصص القرآني هي الموضوعات الدينية، كالوحدانية والبعث... وإحداث الأمور والمعجزات الخارقة للدلالة على النبوة وغيرها" [2].

فالحوار له أهمية خاصة في القصص القرآني من حيث إثارة الحركة وبعث الحياة في الحدث، وإقامة الحجة والإقناع، كما يكشف عن مدى الصراع في المواقف المتغايرة، كالصراع القائم بين يوسف عليه السلام وامرأة العزيز، كما أنه يعرف بالشخصية، مستنبطاً انفعالاتها ومعقباً عليهما، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[3]، وكذلك قوله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (1) الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (2) وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[4]

يظهر مما سبق أن الحوار يؤدي دوراً فعالاً ومهماً في القصص القرآني، ويبعث النشاط في القصص القرآني، فالحوار له دور فعال في إعطاء الصورة والموقف بما يرسمه لنا من خلال القصة.

---

(1) انظر: المبادئ التربوية والأسس النفسية في القصص القرآني: شاهر ذيب أبو شريخ، ص 27، والقصة في القرآن الكريم: مريم عبد القادر السباعي، ص121.

(2) الفن القصصي في القرآن الكريم: محمد أحمد خلف الله، ص 302.

(3) الأعراف: (150).

(4) المجادلة : (1- 3)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" والحوار في القصص القرآني لا يقف عند الظاهر فقط، بل يتعداه إلى حركات الذهن، وفكر النفس، وما يجول في الخواطر من اندفاعات خيرة تتمثل في النفس المؤمنة، واندفاعات شريرة في النفس الحاقدة الكافرة، قال تعالى: ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (28) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (29) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1]"[2].

إن الحوار له دور في تكوين الشخصية والتعبير عن آرائها ومواقفها، كما يساعد على تطوير الأحداث حتى تصل مع القارئ وصولاً إلى الذروة.

يظهر مما سبق أن عناصر القصص القرآني (الشخصية – والحدث – والحوار) قد تحقق في صورة مميزة ومتشابكة، بحيث لا نستطيع أن نفصل عنصراً عن آخر، وكل عنصر يتحقق وجوده من خلال العناصر الأخرى المتضافرة معه، ولا يوجد شخصية بلا حدث، ولا صراع بلا حوار، ولا فعل بلا تشابك في خيوط الحدث.

" وعلى قدر واقعية الشخوص يكون إحكام الدور ولا يؤتى ثماره إلا إذا ارتبطت بحوادث الجو العام للقصة والمجتمع الكائن زمناً وعادة وسلوكاً، لأنه يصور المواقف الإنسانية، ويثير الشعور والفكر معاً [3].

" فالشخصية هي الفلك الذي تدور حوله الأحداث، أو أن تكون الأحداث هي المركز التي تدور في دائرته الشخصيات، وقد تتوازن في العمل القصصي الشخصية والحدث، فيتبادلان نقطة الارتكاز والتجمع، مرة بعد مرة [4].

رابعاً: الزمان:

" إن عنصر الزمن يساعد على سير الأحداث القصصية وتنميتها وإنضاجها... وخروج الحدث القصصي عن حدود الزمن، وقيوده يجعله في عزلة عن الحياة... لهذا تقوم القصة الناجحة

(1) المائدة: (27-30).
(2) المبادئ التربوية والأسس النفسية في القصص القرآني: شاهر ذيب أبو شريخ، ص 28.
(3) والوحدة الفنية في القصة القرآنية: محمد الدالي، ص242، ط1، 1414هـ - 1993م.
(4) القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه: عبد الكريم الخطيب، ص40.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على ملاحظة العنصر الزمني ملاحظة دقيقة واعية، حيث تمسك الخيوط الزمنية بكل جزيئاتها، وتحركها بميقات معلوم، فتطلع بها في الوقت الذي تستدعيه الأحوال "[1].

" فنجد الزمن يظهر حيث يستدعيه الموقف ويتطلبه ويقتضيه الحال، والقصص القرآني يتضح فيه هذا المعنى، فمثلاً سورة يوسف، نجد العنصر الزمني ممسكاً بها من كل جوانبها " [2].

فهي كما يبدو في نظم القرآن، وفي دلالة ألفاظه أحداث من الزمن الماضي... قد اقتطعت منه، وجاءت في هذا الغرض القرآني لها، ثم نجد أجزاء هذا الزمن تظهر حيث يستدعيها الموقف، وهذا ظهر واضحاً عندما أخبرنا الله – سبحانه وتعالى – بإلقاء يوسف في غيابات الجب، حيث ضبط القرآن الزمن الذي جاءوا إلى أبيهم فيه، يخبرونه هذا الخبر المشئوم المكذوب، قال تعالى: ﴿ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴾[3]، فهذه الجزئية من جزيئات الزمن الذي أشار إليها القرآن، وكذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾[4]، وهذه أيضاً جزئية من الزمن لها دلالتها العظيمة في الكشف عن معدن هذا النبي العظيم وقوة إيمانه [5].

والزمن لا يذكر بجميع تفصيلاته عند ذكر الأحداث، لأن ذلك من شأن المؤرخ الذي لا يقصد العبرة – ولكن القرآن يقصدها – وإنما يختار الجزئية التي تفي بالغرض المؤثر في نفس القارئ أو السامع...

"فالزمن بمساره الطبيعي يكون على نحو متتابع (ماضٍ – حاضر – مستقبل)، ولكن مقتضيات السرد تفرض وجود الاستباق والاسترجاع ؛ والتعامل مع الزمن يفترض وجود تقنية التلخيص، والمشهد والثغرة وغيرها ؛ لذلك يتداخل الزمن ويتغير بالتقدم والتأخر عبر المسار السردي"[6].

---

(1) القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه: عبد الكريم الخطيب، ص85، والقصة في القرآن الكريم: مريم عبد القادر السباعي، ص131.

(2) انظر المراجع السابقة .

(3) يوسف: (16).

(4) يوسف: (42).

(5) انظر: القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه: عبد الكريم الخطيب، ص48 – 85، والقصة في القرآن الكريم: مريم عبد القادر السباعي، ص131، والقصة في القرآن الكريم(معالم وتحليل): محمد خير محمود العدوي، ص79.

(6) الأثر الفني للقصة القرآنية في بناء قصة يوسف: مظهر مقدمي فر، جميرا حميدي، العدد الخامس، ص 110، إضاءات نقدية محكمة،السنة الثالثة، ربيع 1391هـ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولعل القول أن لكل قصة في القرآن الكريم زمنها الخاص بها، وعنصر الزمن في القصة القرآنية زمن مطلق من كل قيد إلا قيد الماضي، فليست لهذا الزمن حدود تحده، بل حدث مضى وانتهى.

خامساً: المكان:

لا يقل المكان أهمية عن الزمان في القرآن الكريم، لما له من تأثير نفسي وإيحاءات ذات قيمة في الأحداث، تستخلص منها العبرة والفوائد، كما ينظر إليه كوعاء حامل للحدث [1]، ولا يعنى القرآن بذكره إلا بقدر ما جعلته الأحداث الهامة مسرحاً لها [2]، " مثل مصر، مدين، الأحقاف... "[3].

فالمكان يكون للأحداث وعاء حامل لها، على حين الزمن هو الذي يحمل هذا الوعاء، وهذا يعني أن منزلة المكان تأتي بعد منزلة الزمن بمراحل بعيدة... والسبب في ذلك حسب ظني أن الزمن يؤثر في الحدث ويصنعه تأثيراً مباشراً أكثر من المكان.

" فالمكان ليس له الأثر البعيد في صنع الحدث، وفي تطوره، فقد نعيش الحدث ويتطور، وينمو في مكان لا يتحول عنه، وقد لا يكون في استصحاب المكان في رواية الاحداث أي أثر إلا إذا كان لهذا المكان طبيعة خاصة يتأثر بها الحدث " [4].

يظهر مما سبق أن القرآن الكريم لا يلتفت إلى المكان، ولا يجري له ذكرًا... إلا إذا كان للمكان وضع خاص يؤثر في سير الحدث، أو يبرز ملامحه، أو يقيم شواهد العبرة والعظة منه.

" إن اختيار المكان في العمل القصصي لا يكون عبثياً، لأن الأماكن مرتبطة بالزمان وبالشخصيات ؛ فقد يطرأ تحول على الشخصية نتيجة لتغير المكان أو الانتقال من مكان إلى آخر، وأهمية المكان في القصة ترجع إلى ارتباط المكان بالوصف مثلما يرتبط الزمان بالسرد، ويؤكد علاقة الشخصية بالمكان، وارتباطها به " [5].

فمثلاً قصة أصحاب الكهف، لم يشر في القصة إلى البلد أو الإقليم الذي ينتهي إليه هؤلاء الفتية الذين أووا إلى الكهف... ورغم ذلك ظلال المكان تلمح هنا وهناك في ثنايا القصة

---

(1) انظر: سيكولوجية القصة في القرآن: تهامي نقرة، ص 97.

(2) القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه: عبد الكريم الخطيب، ص 95، والقصة في القرآن الكريم(معالم وتحليل): محمد خير محمود العدوي، ص78.

(3) القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه: عبد الكريم الخطيب، ص 92، والمبادئ التربوية والأسس النفسية في القصص القرآني: شاهر ذيب أبو شريخ، ص 29 – 30.

(4) القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه: عبد الكريم الخطيب، ص 92.

(5) الأثر الفني للقصة القرآنية في بناء قصة يوسف: العدد الخامس، ص 117.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القرآنية لهذا الحدث... فالمكان يشارك في تحديد أبعاد الأحداث مشاركة تعين على تنمية الحدث وفي تحريكه، ولكن في تثاقل وتباطؤ [1].

وفيما أظن أن المكان الذي نعنيه في القصص القرآني مكان – مجرد – بلا حدود ولا قيود، وذلك في الأعم الأغلب من الأمكنة التي ذكرها القرآن في قصصه.

يتضح مما سبق أن القصص القرآني عندما يذكر المكان يكون مكان مطلق، لا تحدد فيه أماكن جغرافية إلا إذا لزم الحدث من تحديد، فقصة أهل الكهف كما ذكرت لم يذكر فيها أين يقع هذا الكهف، ولا في أي بلد أ إقليم أو ما شابه، ولعل السبب وراء ذلك هو عدم ضرورة ذلك الحدث أو عدم الاستفادة منه في العبرة أو العظة.

" إذاً الزمان أولاً، والمكان ثانياً، عنصران عاملان في بناء القصة، وفي تحريك أحداثها، وفي إلباسها أثواباً من الواقع الذي يشد الناس إليها، ويدينهم منها... "[2].

" فالقصص القرآني ينظر إلى الزمن على أنه اليد الحاملة للأحداث، والمحركة لها... وبغيره تهوى الأحداث وتتساقط ميتة بلا حراك " [3].

إن الله سبحانه وتعالى يقص علينا القصص القرآني حافل بالحقائق الكونية الجارية حتى قيام الساعة، ولو نظرنا إلى العناصر التي يستعملها القرآن نراها غير مختصة بزمن معلوم أو مكان معلوم، أو بشخص معلوم، وهذا هو المنتظر من كتاب كوني... فالحوادث التي ذكرها القرآن تتكرر على مر الزمان تحت صور مختلفة ولكن بالماهية نفسها.

سادساً: الأسلوب :

أسلوب القصة في القرآن [4] جزء من أسلوبه المعجز بخصائصه العامة، وما هو جدير بالإشارة إليه تجاوب أسلوب القص الفني في القرآن مع أحداث فنون القصة، حيث توفر في قصص القرآن مقومات القصة الفنية من تمهيد وعرض أحداث، وعقدة، ونهاية للقصة... بل نجد في قصص القرآن ما لا يخطر على بالنا، ذلك هو خصوصية المسرحية أو ما يسمى بالأسلوب

---

(1) انظر: القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه: عبد الكريم الخطيب، ص 93، والقصة في القرآن الكريم(معالم وتحليل): محمد خير محمود العدوي، ص78، والقصة في القرآن الكريم: مريم عبد القادر السباعي، ص98.

(2) القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه: عبد الكريم الخطيب، ص 95.

(3) المرجع السابق، ص 83.

(4) يقصد بأسلوب القصة القرآنية (طريقة سبك القصة التي انفرد القرآن الكريم بها في تأليف واختيار ألفاظه، ولا غرابة أن يكون للقرآن الكريم أسلوب خاص به، فإن لكل كلام إلهي أو بشري أسلوبه الخاص به) / انظر: القصة في القرآن الكريم: مريم عبد القادر السباعي، ص138.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التمثيلي، حتى إن القصة في القرآن ليمكن أن تعرض مسرحياً دون أي تعديل فيها، وذلك ما لا يأتي في غيره من القصص إلا أن تكون قد كتبت وأعدت إعداداً خاصاً لهذا الغرض.

إن القصص القرآني عرض بأساليب معينة ووزع على السور توزيعاً خاصاً بين إيجاز وإطناب، وكل منها منسجم مع أهداف السورة الأساسية ولا ينفصل أسلوب القصة عن أجواء السورة وأغراضها، ومن هنا كانت الحكمة في عدم تكرار القضية الواحدة في السورة الواحدة [1].

يظهر مما سبق أن أسلوب القرآن للقصة أسلوب مؤثر وفعال في تبليغ الدعوة وغرس وتحليل مفاهيمها.

وللقصص القرآني أسلوب معجز من حيث النظم واختيار الألفاظ الموحية، فمن هذه السمات :

أولاً: أن القرآن الكريم كان يعتمد على الألفاظ المفخمة ذات الرنين الصوتي القوي للألفاظ، ويعتمد أيضاً على الجمل المسجوعة القصيرة الموجزة ليزيد من قوة الرنين [2].

ويبدو أن ذلك الرنين الموسيقي الذي ينجم عن ترابط الكلمات بشكل خاص، يكون نغماً رتيباً من مجموعة مقاطع صوتية، وكذلك الجمل المسجوعة أيضاً كما أعتقد أنها مفتاح الوزن القرآني وموسيقى نظمه.

ثانياً: التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية، وعن الحدث المحسوس والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني، والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة، أو الحركة المتجددة... وأما الحوادث والمشاهد فيردها شاخصة حاضرة، فيها الحياة وفيها الحركة...[3].

" إن التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، فليس هو حلية أسلوب ولا لفتة تقع حيثما اتفق إنما هو مذهب مقرر وخطة موحدة، وخصيصة شاملة وطريقة معينة، يفتن في استخدامها بطرائق شتى، وفي أوضاع مختلفة ولكنها ترجع في النهاية إلى هذه القاعدة الكبيرة: قاعدة التصوير " [4].

---

(1) انظر: مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم، وموسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة: علي بن نايف الشحود، ص 408، دار القرآن والسنة.

(2) انظر: المبادئ التربوية والأسس النفسية في القصص القرآني: شاهر ذيب أبو شريخ، ص 30، ومع الأنبياء في القرآن الكريم: عفيف عبد الفتاح طبارة، ص 26.

(3) انظر: التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، ص 190.

(4) القصة في القرآن– مقاصد الدين وقيم الفن: محمد قطب، ص247.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثاً: جاء أسلوب القرآن في القصص القرآني بلغة قريش ألفاظاً وحروفاً، وكتباً وأسلوباً، واتساقاً وائتلافاً، وجرساً وإيقاعاً، كلمات وجملاً، وعبارات وفقرات، في النفي والإثبات، والذكر والحذف، والعموم والخصوص، والإطلاق والتقييد[1].

رابعاً: ظاهرة بارزة تلفت النظر في أسلوب القرآن في قصصه، هو صنيعه في القلوب وتأثيره في النفسوس، وذلك من تأثير بلاغته التي ترجع إلى جمال ألفاظه وحسن نظمه وسمو معانيه، فإننا لا نرى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا نرى نظماً أحسن تأليفاً، ولا أشد تأزماً وتشاكلاً من نظمه، وأما المعاني فلا خفاء على ذي عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها والترقي في أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها [2].

إن أسلوب القصص القرآن امتاز بأنه بليغ التراكيب، فصيح الألفاظ بين المعاني، بديع السبك بطريقة معجزة كسائر أسلوب القرآن الكريم، وبذلك اكتسب الأسلوب القرآني وبخاصة في إطار القصة كأحد عناصرها لوناً فريداً ساعد على أن تصل القصة إلى هدفها الذي سيقت له.

خامساً: مرونة أسلوب القرآن وذلك مشتمل على أمرين:

1- " عدم مصادقته الآراء المتقلبة على اختلاف العصور، واستواؤه على وجه واحد يستجمع درجات الفهم، ومخاطبة العقل والعاطفة في آن واحد " [3].

2- " اشتماله على العلوم الإلهية، وأصول العقائد الدينية، وأحكام العبادات وقوانين الفضائل والآداب وقواعد التشريع السياسي والمدني والاجتماعي والموافقة لكل زمان ومكان " [4].

سابعاً: العقدة:

إن العقدة في النص القرآني قد تدرك من خلال البنية السطحية أو العميقة للأحداث، فقد تبرز بوضوح كقصة ملكة سبأ مع سليمان عليه السلام، قال تعالى على لسان سليمان: ﴿ارْجِعْ

(1) انظر: الوحدة الفنية في القصة القرآنية: محمد الدالي، ص204.

(2) انظر: المبادئ التربوية والأسس النفسية في القصص القرآني: شاهر ذيب أبو شريخ، ص 26، مع الأنبياء في القرآن الكريم (قصص ودروس وعبر من حياتهم): عفيف طبارة، ص24، دار النفائس للنشر والتوزيع، ط1، 1427هـ - 2007م.

(3) القصة في القرآن- مقاصد الدين وقيم الفن: محمد قطب، ص148.

(4) المرجع السابق: ص 149.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[1]، وقد تأتي العقدة من خلال عنصر المفاجأة كقصة مريم، قال تعالى: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾[2].

وقد تأتي العقدة في بداية السرد القصصي، مثل قصة يوسف، وقصة أهل الكهف، قال تعالى في قصة يوسف: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾[3]، وقد تأتي العقدة كذلك في مواضع مختلفة من القصة، مثل قصة إبراهيم وموسى ويوسف عليهم السلام، حيث شمل كل مشهد في كل قصة على الأغلب عقدة، كانت تمهيداً لعقدة أخرى تأتي بعدها، وهكذا انتهت القصة [4].

يتضح لنا أن القصص القرآني احتفظ بكل مقومات الجمال الفني، حيث توفر فيه معظم العناصر البارزة مثل: الأحداث والشخصيات، والحوار، والزمان، والمكان، والعقدة، والأسلوب، والهدف الذي تدور القصة كلها حوله، وهو هدف سام نبيل في جميع الحالات، وهذه العناصر لا نجدها مجتمعة إلا في القصة القرآنية.

" إننا نجد هذه العناصر مجتمعة في القصص القرآني، وموزعة توزيعاً يجعل لكل منها دوراً يختل بانعدامه توازن القصة، لأن المقاصد التي يوحى بها في السياق هي التي توجه أسلوب العرض، وتتحكم في ترتيب الأحداث، وتتسلط الأضواءعلى العنصر المراد إبرازه " [5].

إن القصة القرآنية قد أوفت بكل شروطها الفنية المطلوبة، مما جعلها عملاً متكامل الأغراض.

---

(1) النمل: (37).
(2) مريم: (17 – 18).
(3) يوسف: (4).
(4) انظر: المبادئ التربوية والأسس النفسية في القصص القرآني: شاهر ذيب أبو شريخ، ص 30.
(5) سيكولوجية القصة في القرآن: تهامي نقرة، ص 97.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

أنواع القصص القرآني

قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾[1].

أحسن القصص بوحينا إليك هذا القرآن، فنخبرك فيه عن الأخبار الماضية، وأنباء الأمم السالفة، والكتب التي أنزلناها في العصور الخالية، وكذلك أخبار عن واقع نعيش فيه ولا نعلمه، وكذلك يضرب الأمثال، وإن كنت من قبل أن نقص عليك ذلك لمن الغافلين عن تلك الأشياء [2].

" تضمن القرآن الكريم أنواعا مختلفة من القصص، وعرضها في أحسن صورة " [3]، وقد جاءت أهم غاياته، قصص تربوي هادف، كقصص الأنبياء والرسل عليهم أفضل الصلاة والسلام مع أممهم، وقصص بشر من غير الأنبياء كلقمان وصاحب الجنتين... [4].

لقد اختلفت تقسيمات العلماء للقصص القرآني، فمنهم من قسمها باعتبار شخصيات القصة من أنبياء وغيرهم، ومنهم من قسمها باعتبار الطول والقصر، ومنهم من قسمها من حيث مضمون القصة.

أنواع القصص القرآني من حيث اعتبار شخصيات القصة من أنبياء وغيرها[5]:

النوع الأول: قصص الأنبياء، وقد تضمن دعوتهم إلى قومهم، والمعجزات التي أيدهم الله بها، وموقف المعاندين منهم، وعاقبة المؤمنين والمكذبين، كقصص نوح، وإبراهيم، وموسى، وهارون، وعيسى، ومحمدﷺ.

---

(1) يوسف: (3).

(2) انظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ج15، ص 551، تحقيق: عبدالرحمن عميرة، دارالوفاء، 1415هـ -1994م.

(3) المبادئ التربوية والأسس النفسية في القصص القرآني: شاهر ذيب أبو شريخ، ص 17.

(4) انظر: منهجالفنالإسلامي:محمدقطب،ص 157، دارالشروق، بيروت، ط6، 1403هـ - 1983م

(5) انظر: مباحث في علوم القرآن: مناع القطان، ص36، والقصص القرآني (عرض - وقائع - تحليل الأحداث): صلاح الخالدي. ج 1، ص 28، والآفاق الفنية في القصة القرآنية " رؤية تربوية لإعداد الدعاة ": محمد ناجي مشرح، ص 83- 87، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، ميدان الجامعة، ط1، 1992م.، والمدخل لدراسة التفسير وعلوم القرآن: ثابت أبو الحاج، ص151، وسياحة الوجدان في رحاب القرآن: إبراهيم أحمد، ج 2، ص 180، ومنهج الإمام الطاهر بن عاشور في التفسير: نبيل أحمد صقر، ص 208، الدار المصرية، القاهرة، ط2، 1422 هـ - 2001م، وأصول التفسير: محمد بن صالح بن عثيمين، ص 34.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فمثلا ذكر القرآن الكريم قصة سيدنا نوح عليه السلام حيث تضمنت قصته، حياته منذ أن بعثه الله تعالى إلى قومه إلى أن أنبأه الله تعالى أنهم لن يؤمنوا إلا من قد آمن منهم، وقد استخدم نوح عليه السلام جميع الأساليب الممكنة لهدايتهم وهو يدعوهم إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ *أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾[1].

يظهر مما سبق أن هذا النوع يتعلق بالأنبياء الذين وردت قصصهم في القرآن الكريم- مع التفاوت في المادة المعروضة، وتتناول دعوتهم إلى قومهم، ومراحل هذه الدعوة وتطورها...

النوع الثاني: قصص قرآني يتعلق بحوادث مضت، وأشخاص لم تثبت نبوتهم، ومن ذلك قصة الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، وابني آدم، وأهل الكهف.... وأصحاب الفيل وغيرهم.

فهذا النوع يتعلق بقصص السابقين من غير الأنبياء من صرحت الآيات بذكر أسمائهم ومن ذلك: طالوت، وجالوت....

النوع الثالث: قصص متعلقة بالحوادث التي وقعت في زمن رسول الله ﷺ، كغزوة بدر وأحد في سورة آل عمران، وغزوة حنين وتبوك والهجرة والإسراء والمعراج ونحو ذلك.

أنواع القصص القرآني من حيث الطول والقصر:

النوع الأول: قصة طويلة ترد مجزأة ثم تتجمع في موضعٍ واحد مثل قصة نوح عليه السلام، أو ترد مرة واحدة في مكانٍ واحد كقصة يوسف عليه السلام.

النوع الثاني: قصة قصيرة محتوية على بعض العناصر كقصة النمل والهدهد، أو مشتملة على كل عناصر القصة إلا أنها قصيرة[2].

(1) نوح :(1-3).

(2) انظر: القصة في القرآن الكريم: مريم عبد القادر السباعي، ص155.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أنواع القصص القرآني من حيث المضمون:

النوع الأول: القصة التاريخية:

القصص القرآني حافل بالتاريخ، وكل الوقائع والأحداث التي حدثت وجاءت فيه صحيحة تاريخياً ولا يدخلها شك أو وهم.

" القصة التاريخية تتضمن دعوة الأنبياء لأقوامهم، والمعجزات التي أيدهم الله بها، وموقف المعاندين منهم، ومراحل الدعوة وتطورها، وعاقبة المؤمنين والمكذبين " [1].

ومن نماذج القصص التاريخي التي وردت في القرآن الكريم، قصة سيدنا نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وصالح... عليهم أفضل الصلاة والسلام، وأهل مدين مثلاً وقصة نبيهم شعيب في سورة هود عليه السلام ، قال تعالى: ﴿ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ * قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ.. ﴾ [2].

تصف القصة طبيعة هؤلاء القوم، وفسادهم، حيث يطففون الكيل والميزان.... والقصة التاريخية – كما تتمثل في قصص الأنبياء – من أهم العوامل النفسية التي استعملها القرآن في الجدال مع مخالفيه، وفي التبشير برضوان الله، والتحذير من معصيته، وفي شرح مبادئ الدعوة الإسلامية وأهدافها، وفي تثبيت قلب النبي ﷺ ومن اتبعه، وفي الدلالة على صدق نبوة محمد ﷺ، وإنه مبلغ عن ربه " [3].

لعل القول هنا أن القصّة ليست في القرآن كتلك القصص الحرة الطليقة الصادرة من نفوس بشرية، تجعل أمامها أهدافا خاصة، ثم لا تبالي أن تستمدّ ما تقوله من خيال غير صادق، أو أن تعرض حوادث لم تقع، أو تدور حول بطل لا وجود له أصلا، أو تخرج من جدّ إلى هزل، أو تضع

---

(1) مع الأنبياء في القرآن الكريم (قصص ودروس وعبر من حياتهم): عفيف طبارة، ص24.
(2) هود: (85- 88).
(3) مع الأنبياء في القرآن الكريم (قصص ودروس وعبر من حياتهم): عفيف طبارة، ص24.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الباطل إلى جانب الحق، وجلّ اهتمامها أن تظهر البراعة البيانية لمؤلفها. وإنما القصّة في القرآن حقيقة تاريخية ثابتة، تصاغ في صور بديعة من الألفاظ المنتقاة والأساليب الرائعة.

يظهر مما سبق أن القصص التاريخي هو أكثر قصص القرآن، وهو وإن خلا من التفاصيل أو تحديد الزمان أو المكان، فهو يتصف بالصدق، والقرآن الكريم ليس تاريخاً أو كتاب تاريخ يروي أو يحكي، فهو كتاب الله، كتاب هداية وموعظة واستقامة للناس، وذلك لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾[1].

النوع الثاني: القصة المثل:

" القصة المثل هي نوع من التعبير الأدبي، يبرز المضمون في صورة حسية، كما يقرب المعنى، ويكشف الحقائق، ويجمع المعنى الرائع في عبارة موجزة، وتثبت في الذهن "[2].

فكلمة " مثلا " وردت في صدر الآيات، وهي صيغة صريحة تدل على المعنى منذ البدء، ذلك أن الغاية من ضرب المثل هو الإبانة عن موقف من المواقف، أو صورة من الصور... أو غير ذلك، في إطار محسوس من الدلائل الحسية، يكشف عن معنى ديني عميق.

" قصة المثل إذن هي كل قصة بدأت بما ينبئ أنها مضروب لمشابهة حال الخاطبين لأحداثها، أو كانت غير منسوبة إلى أشخاص معنيين ودلت أحداثها على أماكن وقوعها، فعلى سبيل المثال يقول جل وعلا في سورة الكهف: ﴿ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا *وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا * وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا * قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا * لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا * وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا * فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا... ﴾[3].

---

(1) الإسرا: (9).

(2) القصة في القرآن– مقاصد الدين وقيم الفن: محمد قطب، ص263.

(3) الكهف: (33 –40).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن هذه القصة بما تضمنته من تفصيل، تضرب مثلا للقيم الزائلة والقيم الباقية، وترسم نموذجين واضحين للنفس المعتزة بزينة الحياة، والنفس المعتزة بالله، وكلاهما نموذج إنساني لطائفة من الناس [1].

وفي قصة أصحاب الجنة، يقول الله تعالى: ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ... ﴾[2].

وهذه القصة قد تكون متداولة ومعروفة، لكن السياق القرآني يكشف عما وراء حوادثها من فعل الله وقدرته، ومن ابتلاء وجزاء لبعض عباده، وفيها أيضاً ضرب الله مثلا لكفار مكة، حيث ابتلاهم بالجوع والقحط بدعوة رسول الله ﷺ، والمعنى: أعطيناهم الأموال ليشكروا لا ليبطروا فلما بطروا أبكيناهم بالجوع والقحط، وذلك أن هذه الجنة كانت بأرض اليمن يؤدي حق الله فيها، فمات وصارت إلى أولاده، فمنعوا الناس خيرها، وبخلوا بحق الله فيها فصارت عاقبتهم إلى ما قص الله في كتابه[3].

إن تأثير القصة المضروبة للتمثيل تكمن في صدقها الموضوعي والفني، وفي تشخيص المعاني المجردة والتوجيهات التربوية التي تضمها في شكل عملي تطبيقي تمكن من تصورها وإدراكها وفهم المغزى منها بسهولة.

لقد ورد المثل في القرآن الكريم على نوعين كبيرين:

الأول: يوجه النظر إلى حقائق الوجود، وإلى ملكوت الله ومخلوقاته، والأمثال تبرز المعقول في صورة المحسوس، وتكشف عن الحقائق، وتقرب المعاني إلى الإفهام، وتعرض الغائب في معرض الحاضر، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ

(1) انظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير:ج15، ص217.
(2) الحاقة:(20– 25).
(3) انظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ج15، ص217.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَالْمَطْلُوبُ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [1].

فالدليل هنا واضح وقاطع على الوحدانية، فالقدرة واضحة، أما العجز فواضح في الجوانب الوثنية، فإنهم عاجزون عن خلق حشرة ضعيفة مستحقرة كالذبابة [2].

فالقصة المثل هي أفضل أنواع القصص القرآني في تمثيل القضايا القرآنية، لأنها تجسد القيم الدينية والعقلية والأخلاقية في قالب قصصي محسوس، وهذا يسهل على المتلقي عملية الفهم والاستيعاب.

النوع الثالث: القصة التعليمية:

" قصص القرآن متناسق في منهجه مع المنهج التربوي في القرآن، فهو تطبيق بالحكي والقص والسرد والحوار عن هذا المنهج، ذلك أن القرآن بعقائده وتشريعاته، وأحكامه وحدة متناسقة... والمنزع التعليمي في القرآن قائم على أنه يحيي شعورًا عميقاً في الإنسان بما بينه وبين الكون من وشائج ومن علاقات سامية، تترفع عن الوثنية والخضوع لغير الله " [3].

" ولقد أقام القصص القرآني منهجه التربوي التعليمي على أساس العقيدة الصافية، فجعلها المنطلق إلى عالم الحس أولاً، وعالم الشعور الوجداني ثانية " [4].

فمثلاً في سورة الكهف ما لوحظ على قصة موسى والخضر، وعما ورد عن رسول الله ﷺ حول هذه القصة... أنها تدور حول موضوع العلم وتشعب وسائله والتأكيد على أن علم الله فوق تصورات البشر، كما دعت القصة إلى التخذير من الاغترار بمظاهر العلم...[5].

والجانب التعليمي في القرآن الكريم واضح في القصص والتوجيهات العقائدية والحث على التأمل، والتدبر في ملكوت السموات والأرض، والتفكير في تجارب الآخرين من الأمم الغابرة، واتخاذها منطلقا للعبرة وأساسا لبنيان فكري سليم... وإرساء قواعد الأخلاق وأنماط السلوك النفسي السوي.

---

(1) الحج: (72- 74).

(2) انظر: القصة في القرآن- مقاصد الدين وقيم الفن: محمد قطب، ص. 263

(3) المرجع السابق، ص295.

(4) القصة في القرآن- مقاصد الدين وقيم الفن: محمد قطب، ص298.

(5) انظر: المرجع السابق، ص304.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الرابع
أهداف القَصَص القرآني

إن أهداف القَصَص القرآني الخاص فيه والعام، يلتقي بالأهداف العامة للقرآن الكريم، ولا ينفصل عنها، بل يكملها في إبراز الهدف العام لهذا القرآن الذي أنزله الله تعالى على عباده هدى ورحمة.

وما هو جدير بالإشارة إليه، أن القصة القرآنية الواحدة قد ترد في مواضع متعددة من القرآن لهدف جديد أو عبرة جديدة، أو لتثبيت الفكرة الواحدة بغرضها بأساليب عدة، أو مزايا عدة.

" فالأهداف المتوخاة منها هي الأهداف ذاتها المتوخاة من أشكال التعبير الأخرى في القرآن الكريم، غير أن للقصة تأثيراً نفسياً ووجدانياً ذات طابع خاص لما فيها من عرض حي للفكرة، والعرض المجسم لأشخاص يتحركون ويتكلمون ويتحاورون " [1].

" ويعتبر القصَص القرآني وسيلة من وسائل القرآن الكريم إلى تحقيق هدفه الأصيل، والقرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شيء، والقصة إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدعوة وتثبيتها، شأنها في ذلك شأن مشاهد يوم القيامة، وصور النعيم والعذاب، وشأن الأدلة التي يسوقها على البعث، وعلى قدرة الله، وشأن الشرائع التي يفصلها والأمثال التي يضربها... إلى آخر ما جاء في آي القرآن الكريم من موضوعات "[2].

" لقد كان القصص الحسن من أبرز الأساليب القرآنية في شرح الإسلام وبيان رسالته، ولم يكن هذا القصص الواعي المحكم سرداً مجرداً لبعض الروايات القديمة يتسلى بها السامعون ثم يغفلون عند حكايتها أو يتعظون، لا، إن هذا القصص كان تاريخاً لسير الدعوة الدينية في الحياة، وكيف خطت مجراها بين الناس منذ فجرالخليقة... والحكمة المنشودة من وراء هذا القصص المترسل المكرر نقرؤها في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [3][4]".

---

(1) محاضرات في علوم القرآن: فضل حسن عباس، ص 307، واتجاهات التأليف ومناهجه في القصص القرآني: سليمان محمد علي الدقور: ص 35.

(2) التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، ص 142.

(3) يوسف: (111).

(4) نظرات في القرآن: محمد الغزالي، ص 95، شركة نهضة مصر للطباعةوالنشر والتوزيع، ط6، 2005م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" ولو ذهبنا في كل زمان ومكان لوجدنا للقصة أثراً عميقاً في النفوس ؛ لما فيها من عنصر التشويق، وجوانب الاعتبار والاتعاظ... ومن هنا ساق القرآن ما ساق من قصص يمتاز بسمو الغاية، وشريف المقصد، وصدق الكلمة والموضوع، وتحري الحقيقة بحيث لا تشوبها شائبة من الوهم والخيال أو مخالفة الواقع "[1].

وللقصة في القرآن الكريم أهداف وأغراض سامية، ومقاصد عالية، وحكم متعددة، من أهمها:

1- " بيان أن الدين كله من عند الله، من عهد نوح عليه السلام إلى عهد محمد ﷺ، وأن المؤمنين أمة واحدة ضاربة في جذور التاريخ، يضمهم ركب واحد"[2]

" وأن المؤمنين برسل الله كلهم أمة واحدة والله هو رب الجميع... وكل نبي يأتي برسالة متممة لرسالة النبي الذي سبقه، قال تعالى مخاطباً أمة محمد ﷺ: ﴿**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا**﴾[3] معنى هذا أن كل رسول يكمل ما دعا به من قبله من الرسل وكل الرسالات تدعو إلى توحيد الله "[4].

قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾[5]، و﴿**بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى * إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى**﴾[6] لقد أبرزت القصة القرآنية هذا الغرض

---

(1) القصة في القرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي، ج1، ص3، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، المنطقة الصناعية الرابعة، مدينة السادس من أكتوبر، 1996م.

(2) أسرار القصة القرآنية: فهد خليل زايد، ص44، وأنبياء الله: أحمد بهجت. ص 26.

(3) الشورى: (13).

(4) القصة في القرآن الكريم(معالم وتحليل): محمد خير محمود العدوي، ص44، وسياحة الوجدان في رحاب القرآن: إبراهيم أحمد، ج 2، ص 180، ومع الأنبياء في القرآن الكريم (قصص ودروس وعبر من حياتهم)، عفيف عبد الفتاح طبارة، ص 24 – 25، والتربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها: عاطف السيد، ص 14، حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف، ووقفات على الطرق: علي بن نايف الشحود، ص 178، ط2 مزيدة ومنقحة، 1421 هـ – 2010 م.

(5) الأنبياء: (25).

(6) الأعلى: (16 –19).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إبرازً قوياً وواضحاً في مجال رسالات السماء، وصراع الرسل مع أقوامهم لهدايتهم إلى التوحيد طريق النجاة من العذاب وهذا ما وضحته الآيات السابقة [1].

يظهر مما سبق أن الرسل جميعاً أرسلوا بدعوة واحدة، وهنا يظهر ترابط الدعوات الإلهية واشتراكها في الدعوة إلى الله تعالى، وإخلاص العبادة لله القهار، وأداء التكاليف التي أنيطت بالناس.

2- تثبيت فؤاد النبي ﷺ والمؤمنين من خلال عرض صور لما عاناه الأنبياء السابقون وأتباعهم من أذى وتعذيب من أقوامهم، وكيف صبروا على ما أوذوا، وكيف كان الغلبة للإيمان، وما حل بأقوامهم من دمار وعذاب في الدنيا، ولعذاب الآخرة أشد[2]، وقد صرح القرآن بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ كُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3].

" فالقصص القرآني ذاته فيه من مظاهر الإعجاز الكثير، وهو إعجاز إخباري عن أمم سابقة جاء على لسان أمي لا يقرأ ولا يكتب، إذ هو النبي الأمي الذي لم يشاهد الوقائع ولم يقرأها، فكانت القصص تثبيتاً للرسول ﷺ" [4].

إن القصص القرآني جاء ليشد أزر النبي ﷺ، ويثبت فؤاده، ولتثبيت قلوب المؤمنين أيضاً، وتأثيراً في نفوس من يدعوهم القرآن إلى الإيمان، وموعظة وذكرى للمؤمنين.

---

(1) انظر: القصة في القرآن- مقاصد الدين وقيم الفن: محمد قطب، ص193، والقصة في القرآن الكريم(معالم وتحليل): محمد خير محمود العدوي، ص43، والتصوير الفني في القرآن: سيد قطب، ص 151، والواضح في علوم القرآن: مصطفى ديب البغا - محيي ديب مستو، ج 1، ص184.

(2) انظر: محاضرات في علوم القرآن: فضل حسن عباس، ص 308، ومباحث في علوم القرآن: مناع القطان، ص316- 318، ودراسات قرآنية: محمد قطب، ص 64، ومنهج الإمام الطاهر بن عاشور في التفسير: نبيل أحمد صقر، ص101، والتصوير الفني في القرآن: سيد قطب، ص 151، والغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم: عبد الراضي محمد عبد المحسن، ص 110، مجمعالملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، والموسوعة القرآنية، خصائص السور: جعفر شرف الدين، ج4، ص 118، تحقيق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية ' بيروت، ط1، 1420 هـ، وأصول التفسير: محمد بن صالح بن عثيمين، ص 34.

(3) هود: (120).

(4) القصة في القرآن- مقاصد الدين وقيم الفن: محمد قطب، ص183.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالإضافة إلى أن القصص القرآني يهدف إلى غرس الثقة في نفوس المؤمنين، وتسليتهم عما أصابهم، بما آلت إليه حال المؤمنين السابقين وحال الكافرين.

3- الاتعاظ والعبرة [1]: القصة القرآنية هداية وعظة وعبرة، يستفيد منها كل إنسان من أسبابها، وينبهر من نتائجها، ويهتز لأحداثها وآلامها، ويتملكه الخوف والهلع من قسوتها، ويشفق على أولئك الناس الذين كانوا ضحايا العصيان والتمرد والغطرسة والعناد والبغي والانحراف [2].

وما ذكرت قصة إلا إذا كان معها عبرة أو عبر، وفيها المثلات لمن عصوا وتركوا أمر ربهم، وفيها بيان ما نزل بالأقوياء الذين غرهم الغرور والجبابرة الذين طغوا في البلاد وأكثروا فيها الفساد والله من ورائهم محيط [3].

" إذن كل القصص القرآني يصلح أن يكون عظة بليغة وتذكرة، إذا أحسن ربطه بالواقع بأسلوب موجز، وعرض محكم " [4].

إن قصص القرآن وهو قصص لأمور واقعة، يساق للعبر وإعطاء المثلات، وبيان مكانة الضالين وعاقبة الضلال، ومنزلة المهتدين، وعاقبة الهداية، فالقصص القرآني قصص يساق للعبرة، لا لمجرد المتعة من الاستماع والقراءة، لذلك قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[5]، حيث تشدنا القصة القرآنية إلى غابر الأزمان، لنلقي نظرة على من سبقونا من الأمم، حيث يُعرض فيها شريطاً: يصور لنا موقف تلك الأجيال وما آل إليه حالهم، فنأخذ العبرة من واقعهم، ونتعظ من عاقبة أمرهم.

---

(1) العبرة: أصل اشتقاقها من " العَبر ": وتعني التجاوز من حال إلى حال، واشتق منه العبر والعين للدمع، والعَبرَة" كالدمعة "، والاعتبار والعِبرة: بالحالة التي يتوصل بها معرفة المشاهد إلى ما ليس بمشاهد، قال تعالى: {إن في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾آل عمران، انظر: المفردات في غريب القرآن: الأصفهاني، ج4، ص43.

(2) انظر: القصة القرآنية (هداية وبيان): وهبة الزحيلي. ص 17، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2، 1418م.

(3) انظر: القصة في القرآن- مقاصد الدين وقيم الفن: محمد قطب، ص171، والفن القصصي في القرآن الكريم: محمد أحمد خلف الله، ص 254،والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: وهبة بن مصطفى الزحيلي، ج 14، ص 144، وخطبة الجمعة ودورها في تربية الأمة: عبد الغني أحمد جبر مزهر، ص 33، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط1، 1422 هـ، والمنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره: محمد علي الحسن، ص 71، قدم له: محمد عجاج الخطيب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1421هـ - 2000م.

(4) دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ: شحاتة محمد صقر ،ج1، ص 24، دار الفرقان للتراث، البحيرة، 1998م.

(5) يوسف: (111).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالقصص القرآني يستدعي العِبرة والاعتبار، والعبرة تعني التأمل والتفكر والاتعاظ، والاعتبار أن نقيس بأنفسنا على السابقين، فنعلم أن سنة الله ماضية فينا كما خلت في الذين من قبلنا، إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

" فقصص القرآن الكريم، قصص جاد، مساق للعبرة والعظة، وليس فيه مجال للهو أو تسلية، وليس من غايته ترضي الغرائز المريضة، أو تملق الرغبات الفاسدة، التي كثيراً ما تكون مقصداً أصيلاً من مقاصد القصة عند كثير من كتاب القصص... " [1].

يستنتج مما سبق أن الله – سبحانه – لا يقص علينا القصص القرآني لقتل الوقت، أو لتعلم التاريخ، ولكن لنلتقط العبرة من رسالة كل رسول إلى أمته التي بعث إليها ليعالج دائها.

فمثلا قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام في تحطيمه للأصنام، حيث كان يرتبط سيدنا إبراهيم بالعرب ارتباطاً قوياً، فهو باني الكعبة، فهذا الموقف سيق لإثبات العجز للأصنام، والذي صورها القرآن تتحطم، وعجزت عن دفع الأذى عنها، قال تعالى: ﴿ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآَلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ * قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ * قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآَلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ * فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ * قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آَلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴾ [2]، والعبرة هنا أن الله هو المعبود لذاته المتفرد بالوحدانية، وأنه وحده الذي يضر وينفع، وأن الأصنام حجارة اتخذها الضالون في ذلك واهمين لجلب النفع ودفع الضر [3]، وكانوا في ذلك واهمين .

والعبرة هنا كانت في مجال التوحيد الإلهي، والعبر دائماً من أعظم الدوافع في تربية النفوس وأقواها في تحريك رواسبها وإثارة صحوة القلب فيها، وتوجيهها إلى السير في الطريق الصحيح

(1) التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم الخطيب، ص 590.
(2) الأنبياء: (59 –70).
(3) القصص القرآني (عرض – وقائع – تحليل الأحداث): صلاح الخالدي. ج 1، ص 34.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تأثراً بما تعرضه القصة من تجارب ماضية، فالعبرة تسعى بالإنسان إلى التوجيه والتهذيب غالباً. "والعبرة لا تساق دفعة واحدة، وإنما هي مبثوثة في تضامين السور"[1].

" نستطيع القول أن القرآن استخدم العبرة وهي من أنجح الطرق في تأديب النفوس، وسياسة الجماعات، والمحاورات النابضة... لضبط الحقيقة وتوليد العبرة منها "[2].

4- الدعوة إلى التوحيد: القصة القرآنية تحمل في طياتها الإقرار بوحدانية الله ووجوده، والترهيب والتنفير والتهديد ووالعيد للكفر بالله ورسله، ولا سيما الإيمان برسالة محمد ﷺ... [3].

" والتوحيد هو المقوم الأول في التصور الإسلامي، وهو الحقيقة الأساسية في العقيدة الإسلامية، كما هو الحقيقة الثانية في الرسالات جميعها، وكثيراً ما وردت قصص عدد من الأنبياء مجتمعة في سور واحدة معروضة بطريقة خاصة تؤيد هذه الحقيقة " [4].

" فكثير ما نلمس من البراهين على التوحيد من خلال السياق القصصي، والتأكيد على أن الله وحده هو الخالق، وهو المستحق للعبادة وحده، فلا معبود سواه " [5].

ولعل القول هنا أن الله سبحانه وتعالى لم يرسل رسولاً قط إلا بدعوة قومه إلى توحيد الله عز وجل، ونبذ عبادة ما سواه.

وفي كل قصص الأنبياء بلا استثناء تبرز الدعوة إلى التوحيد، وعبادة الله وحده لا شريك له، يقول تعالى: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[6]، فهذا نداء موجه إلى صاحبيه، يحمل دلالة التساؤل الإنكاري، أيهما أنفع يا صاحبي لأآلهتكم التي لا تنفع ولا تضر كالأصنام، أم عبادة الواحد الأحد [7].

---

(1) المرجع السابق: ص 177.

(2) نظرات في القرآن: محمد الغزالي، ص 98.

(3) انظر: القصة القرآنية (هداية وبيان): وهبة الزحيلي. ص 78، ومحاضرات في علوم القرآن: فضل حسن عباس، ص 308.

(4) القصة القرآنية (هداية وبيان): وهبة الزحيلي. ص 187- 181.

(5) القصة في القرآن- مقاصد الدين وقيم الفن: محمد قطب، ص177.

(6) يوسف: (39 -40).

(7) انظر: القصة في القرآن- مقاصد الدين وقيم الفن: محمد قطب، ص143.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يظهر مما سبق أن القصص القرآني يثبت استحقاق الله للعبودية، وينفي بطلان عبادة الأوثان التي هي أسماء سموها أولئك الكفرة وآباؤهم، ليؤكد على إثبات الوحدانية أمام الذين يتخذون الأشخاص آلهة لهم، فالدعوة إلى الله الواحد وإفراد الله بالعبادة هو جوهر العقيدة الإسلامية، وغرض كبير من أغراض القصة القرآنية.

5- بيان نعم الله على أنبيائه وأصفيائه كقصص سليمان وداوود وأيوب وإبراهيم ومريم وعيسى وزكريا ويونس وموسى، فكانت ترد حلقات من قصص هؤلاء الأنبياء تبرز فيها النعمة في مواقف شتى ويكون إبرازها هو الغرض الأول، وما سواه يأتي في هذا الموضوع عرضاً [1].

6- " بيان أن الله سبحانه وتعالى ينصر أنبياءه ورسله في النهاية، ويهلك الكافرين والمكذبين، ولا يخفي ما في ذلك من تثبيت قلب النبي ﷺ" [2]، وكذلك تقوية لنفوس المؤمنين وزجر الضالين المعاندين وزحزحتهم عن مواقفهم، فتتأثر النفوس و كل نفس بحسب ما تحتاج إليه، إذ يتوالى عليها بيان نصر المؤمنين، وخذلان الكافرين، وإحقاق الحق وإزهاق الباطل [3].

إن الله تعالى ينصر أنبياءه آخر الأمر، ويرحمهم وينجيهم من المآزق والكروب، ويهلك المكذبين، وذلك تثبيتاً لنبيه محمد ﷺ، وتأثيراً في نفوس من يدعون إلى الإيمان، وتأكيداً على أن انتصار الحق سنة من سنن الله في الأرض.

7- إثبات الوحي والرسالة، فمحمد ﷺ لم يكن كاتباً ولا قارئاً، ولا عرف أنه يجلس إلى أحبار اليهود والنصارى، ثم جاءت هذه القصص في القرآن وبعضها جاء في دقة وإسهاب – كقصص إبراهيم ويوسف وعيسى، فورودها في القرآن اتخذ دليلاً على أنه وحي يوحى [4].

إن القصص القرآني يهدف إلى إثبات الوحي والرسالة، وتحقيق القناعة بأن محمد ﷺالأمي الذي لا يقرأ، يتلو على قومه هذا القصص من كلام ربه، فلا يشك عاقل في أنها وحي من الله، وأن محمداً رسول الله يبلغ رسالة خالقه مصادقاً لقول الله تعالى: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ**

(1) التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، ص 125، وأنبياء الله: أحمد بهجت. ص 26.
(2) سياحة الوجدان في رحاب القرآن: إبراهيم أحمد، ج 2، ص 8079.
(3) انظر: التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، ص 151، وأسرار القصة القرآنية: فهد خليل زايد، ص50، والقصة في القرآن الكريم(معالم وتحليل): محمد خير محمود العدوي، ص42، وعلوم القرآن الكريم: نور الدين عتر، ص 242.
(4) انظر: مباحث في علوم القرآن: مناع القطان، ص318، والقصة في القرآن الكريم(معالم وتحليل): محمد خير محمود العدوي، ص39، والتصوير الفني في القرآن: سيد قطب، ص151، والمدخل لدراسة التفسير وعلوم القرآن: ثابت أبو الحاج، ص154، والتربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها: عاطف السيد، ص 64، ووقفات على الطرق: علي بن نايف الشحود، ص 178.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾[1]، أي لم يكن يعرف هذا القصص، لأنه أمي وسط قوم أميين، والله هو الذي أعلمه بها في القرآن الكريم، لأن القرآن هو كلام الله، وهو رسوله عليه الصلاة والسلام.

8- تصديق التبشير والتحذير: حيث إن القصص القرآني لم يكن يقصد التسلية والتشويق أو الهزل أو الجد أو الإغراء والترويح... بل كان كل حرف فيه مقصود لمكانه ولمؤداه [2].

إن قصص الأنبياء تعتبر من أهم العوامل النفسية التي لجأ إليها القرآن في الجدال مع من خالف الشريعة والدين، وفي التبشير برضوان الله أيضاً، والتحذير من معصيته.

وعرض القصص القرآني نماذج عديدة على ذلك، كالذي جاء في سورة "الحجر"، قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾[3][4].

فالقصص القرآني يهدف لبيان وتأكيد أن التبشير بالخير وحسن العاقبة لمن بشر بهما والتحذير من عكسهما لمن أنذر بذلك.

9- بيان قدرة الله تعالى على الخوارق: " لأن ما ورد في القصص القرآني من ذكر للمعجزات والخوارق، جاء يدل على قدرة الله تعالى التي لا حدود لها، والتي لا يستطيعها مخلوق في الكون كله... كما يشير القصص القرآني إلى بيان الفارق بين النظرة الإنسانية العاجلة وقصيرة المدى، وبين الحكمة الإلهية العميقة والمحيطة بالماضي والحاضر والمستقبل..." [5].

وعليه فإن القصة القرآنية فيها دلالة على قدرة الخالق من حيث الإعطاء والمنع، وخلق خوارق العادات التي تدل على قدرة قادرة، وتدبير إلهي حكيم، منها مثلاً: قصة مولد عيسى، وكذلك قصة إبراء عيسى للأكمة والأبرص، وإحياؤه الموتى...

10- إثبات عقيدة البعث والجزاء ورفع الشك عنها ويبدو ذلك واضحاً جليا في قصة الذي مر على قرية وهي خاوية علي عروشها: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى

---

(1) يوسف: (3).
(2) انظر: القصة في القرآن الكريم(معالم وتحليل): محمد خير محمود العدوي، ص4، وأنبياء الله: أحمد بهجت. ص 21، والفن القصصي في القرآن الكريم: محمد أحمد خلف الله، ص 26.
(3) الحجر: آية (49 -50).
(4) انظر: التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، ص153، وأصول التفسير: محمد بن صالح بن عثيمين، ص 35.
(5) القصة في القرآن الكريم(معالم وتحليل): محمد خير محمود العدوي، ص45.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1]، وكذلك قصة بقرة بني إسرائيل: ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[2]، وقصة أصحاب الكهف: ﴿ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴾[3].

وقصة الألوف من بني إسرائيل الذي خرجوا حذر الموت، قال تعالي: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾[4][5].

11 – بيان أن وسائل الأنبياء في الدعوة موحدة، وأن استقبال قومهم لهم متشابه – فضلاً على أن الدين من عند إله واحد – وتبعاً لهذا كانت تروى قصص كثير من الأنبياء مجتمعة أيضاً، مكررة فيها طريقة الدعوة على نحو ما جاء في سورة هود، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾[6][7].

وتهدف القصة القرآنية تهدف إلى بيان أن دعوة الرسل ووسائلهم جميعاً واحدة، وأن الدين الذي جاء به الجميع واحد من عهد نوح إلى عهد محمد عليهما السلام، وأن المؤمنين كلهم أمة واحدة، والله الواحد رب الجميع.

---

(1) البقرة: (259).
(2) البقرة: (73).
(3) الكهف: (21).
(4) البقرة: (243).
(5) انظر: القصة في القرآن الكريم(معالم وتحليل): محمد خير محمود العدوي، ص49.
(6) هود: (25).
(7) انظر: التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، ص150، وأسرار القصة القرآنية: فهد خليل زايد، ص 50.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

12- التفكر والتدبر: "سواء من ثبات الأنبياء مع أقوامهم، أو من مصائر الأقوام السابقين، مؤمنيهم وكافريهم، قال تعالى: ﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1] "[2].

13- التأسي بأولي العزم من الرسل فيما لا قوه في سبيل الله والدعوة إليه من الأذى والاضطهاد، وهم مع ذلك ثابتون علي مبدئهم القيم ودينهم الحق، لم يعترهم وهن ولا ضعف ولم تفتر لهم همة، ولم يخالجهم شك إلى أن قضى الله أمره وأنجز لهم وعده، فنوح عليه السلام سخروا منه وقالوا له: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾[3]، وهود عليه السلام قالوا له: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾[5] فالآيات السابقة توضح أنهم استهزءوا بشعيب عليه السلام [6].

" بالإضافة إلى ذلك يتعلم المسلمون فضائل الأخلاق عن طريق القدوة العملية المماثلة في قصص القرآن، فالقصص القرآني يقدم أمثلة عديدة لشخصيات تمثل جانب القدوة الإيجابية كأيوب عليه السلام في صبره، ويوسف عليه السلام وعونه وتسامحه "[7].

14- الدعوة إلى الخير وحسن المعاملة والعفة: لقد قامت القصة القرآنية بدورها الفعال في تخفيف الضغط العاطفي عن الرسول عليه السلام وعن المسلمين لتقوية عزائمهم، ومن ثم جاءت القصة القرآنية لترسم النموذج الكامل للمعاملة الطيبة والسلوك النموذجي الذي يجب أن يتحلى به الإنسان المسلم، وبينت أن دعوة الأنبياء دعوة إلى الخير، وإلى حسن التعامل، وإصلاح العمل، وتقويم النفوس وتهذيب الأخلاق، وعمارة الأرض، والتحذير من إفساد الحياة وتخريبها [8].

---

(1) الأعراف: (176).
(2) المدخل لدراسة التفسير وعلوم القرآن: ثابت أبو الحاج، ص154، والقصص القرآني (عرض – وقائع – تحليل الأحداث): صلاح الخالدي. ج 1، ص 34.
(3) الأعراف: (60).
(4) الأعراف: (66).
(5) هود: (91).
(6) انظر: المدخل لدراسة التفسير وعلوم القرآن: ثابت أبو الحاج، ص155.
(7) محاضرات في علوم القرآن: فضل حسن عباس، ص 307.
(8) انظر: القصة في القرآن– مقاصد الدين وقيم الفن: محمد قطب، ص187.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" فمن مقاصد القصص القرآني وغاياته الدعوة إلى الحق، والهداية إلى مواقع الخير، وإقامة وجه الإنسانية على مسالك الحق والخير، والميل بها عن مسارب الضلال والبوار "[1].

قال تعالى: ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾[2] ففي قصة شعيب مع قومه نموذج لهذه الدعوة الكريمة إلى الخير والصلاح، فقد دعاهم إلى التوحيد، وإلى الوفاء في الكيل والميزان، وإعطاء كل ذي حق حقه والبعد عن الفساد... [3].

15- قال تعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾[4]

فالآية الكريمة توضح بيان الفارق بين الحكمة الإنسانية القريبة العاجلة، والحكمة الكونية من البعيدة الآجلة كقصة موسى في سورة الكهف، [5].

" إذن القصة القرآنية قصة هادفة ذات وظيفة دلالية محورية بعيدة عن مجرد سرد الأخبار التاريخية للتسلية المؤقتة أو المتعة المزاحية أو التعلم التلقيني البارد، وهي وظيفة مرتبطة أساساً بخدمة مقاصد علمية وسلوكية... " [6].

لذا يعد القصص القرآني ركن من أركان الدعوة الإسلامية ؛ لما له من تأثير نفسي، وهيمنة على القلوب، حيث تتأثر به النفوس، ويمس العواطف عند سماعه، ويسيطر على العقل والتفكير، حتى يدفع الإنسان إلى عدم التفكير فيما سواه، وهذا للأتقياء وغيرهم، ذلك لأن الآخرين يشعرون أنهم المقصودون بهذا الكلام، والنتائج التي تترتب على فعل غيرهم يمكن أن

(1) القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه: عبد الكريم الخطيب، ص12.
(2) الأعراف: آية (85- 86).
(3) انظر: القصة في القرآن- مقاصد الدين وقيم الفن: محمد قطب، ص187.
(4) الكهف: (65).
(5) التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، ص 155.
(6) انظر: المقصدية الجمالية أهم مقاصد القصة القرآنية: رشيد اركيبي: مجلة علمية – ثقافية، العدد36، ص 1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تترتب عليهم من حيث اشتراكهم جميعاً في السلوك والنتائج التي ترفع مستوى الإنسانية... كما يستفاد من هذا القصص أكثر لو أنه دُرس بفهم، وعاش معه الإنسان في وحدات متناسقة [1].

يظهر مما سبق ذكره أن القرآن الكريم دستور المسلمين، ووحي الله إلى رسوله محمد ﷺ، وهو كتاب دعوة إلى الله أولاً وقبل كل شيء، والقصة لم ترد فيه لمجرد الاستمتاع أو الإخبار عن تاريخ مضى، بل هي كما ذكرت إحدى الوسائل الهامة لتبليغ هذه الدعوة إلى الله، توحيده، وإفراد العبادة له، ومن هنا فقد حُفظ للقصة دورها الفعال في شرح العقيدة وترسيخها.

(1) انظر: القصص القرآني: إبراهيم محمد بلبول عبده، ص117.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الخامس
خصائص القصص القرآني

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الخصائص[1] الذاتية للقصص القرآني:

عندما نقرأ القصص القرآني في تأنٍ وتأمل، ونرتله بتفكر وتدبر، أو نستمع إلى قارئيه في خشوع وخضوع، ندرك أنه علوي سماوي، وأنزله الله لهداية الناس، وإصلاح الخلق، وإسعاد الدنيا، فعندما ننعم النظر في القصص القرآني، ونحسن الإصغاء لما يحتويه، فإننا ننتقل فيه بين رياض أدب، ومعاني قصص وفكر، نشم فيها أزهار الأفكار، ونستنشق من رحيقها أسرار الحقائق، وألوان البديع وفن التصوير...

والقصة القرآنية إحدى وسائل القرآن الكريم لإبراز أغراضه الدينية، ذلك أن القرآن الكريم كتاب دعوة دينية في المقام الأول، تتجلى فيه وحدة العقيدة ووحدة الأديان... وتماثل وسائل الدعوة منذ البدء حتى الإسلام خاتم الأديان.

والقرآن – هو من يتخذ القصة وسيلة لإبلاغ الدعوة وترسيخها ونشرها – بحيث يتخذ من الجمال الفني.. التصوير التعبيري طرائق للتأثير النفسي والوجداني...

إن خضوع القصة القرآنية لهذا الغرض الديني لم يمنع أن يكون لها شخصيتها الخاصة بها من خلال أسلوبها وطرق عرضها وخصائصها التي تميزت بها، وليس معنى هذا أن ننسى أن القصص القرآني بعيد عن مماثلة القصص الأدبية في رسم إطارها، وتحديد معالمها، وهذا ما تحدثت عنه في مبحث سابق حيث إن معالم القصة الأدبية هو العقل الإنساني، والذوق البشري، بينما القصص القرآني يميزه سمو الهدف ورفعة الأسلوب ؛ فهو كلام من الذكر الحكيم، حسن النظم، وهذا ما جعله معجزة خالدة.

---

(1) معنى خصائص: خص – التخصيص والاختصاص والخصوصية والتخصص، تفرد بعض الشيء بما يشارك به الجملة، وذلك خلاف العموم والتعميم والتعمم، واختصه يختصه، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ البقرة: (105) / انظر: الراغب في مفرداته، ص 149.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن الخصائص الذاتية للقصص القرآني:

أولاً: ارتباط القصة القرآنية بالوحي: إن مصدر القصة القرآنية هو القرآن الكريم، فهي وحي من الله تبارك وتعالى، لذا نجدها قصة هادفة، فهي ذات هدف ديني أخلاقي لا ينفصل عن أهداف العقيدة والشريعة، غير أنها تجمع إلى سمو الهدف رقي الشكل الفني [1].

" إن القصص القرآني نزل بوحي من الله تعالى، وأن الرسول ﷺ لم يكن يعرفها من سابق، بدليل أن القرآن يقص عليه أشياء كمن تكن على عهده بل سبقته وقصها الله ﷻ" [2].

فالقصص القرآني هو جزء من القرآن الكريم، فيثبت كل ما يثبت للقرآن الكريم من مزايا، مثل تنزيله من الله تعالى وحياً على نبينا محمد ﷺ، وثبوت نقله إلينا بالتواتر، حيث لم تنقص فيه كلمة واحدة، بل ولا حرف، وأنه ليس لسيدنا محمد ﷺ منه أو فيه سوى التبليغ للناس كما أنزل عليه.

ثانياً: الثبات: " الثبات في القصص القرآني يتمثل في مقوماتها الأساسية، فهي لا تتغير ولا تتبدل حينما تتغير ظواهر الحياة الواقعية ؛ وهذا التغير في واقع الحياة محكوم بالمقومات والقيم الثابتة للمنهج الإسلامي، والتغير إنما هو تحرك داخل هذا الإطار الثابت المحكم " [3]، قال الله تعالى: ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ [4].

ثالثاً: الصدق والواقعية: القصص القرآني كله حق وصدق، لا كذب فيه ولا افتراء، ولا مجال فيه للخيال أو الوهم لأنه من كلام **الحكيم الخبير**: ﴿ **تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ** ﴾ [5]، وقوله تعالى: ﴿ **نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ**

---

(1) انظر: قصص القرآن الكريم: (صدق حدث – وسمو هدف – إرهاف حس – وتهذيب نفس): فضل حسن عباس، ص 310، والقصة في القرآن الكريم(معالم وتحليل): محمد خير محمود العدوي، ص91، والآفاق الفنية في القصة القرآنية " رؤية تربوية لإعداد الدعاة ": محمد ناجي مشرح، ص 30، والقصة في القرآن الكريم: مريم عبد القادر السباعي، ص39، والمدخل لدراسة التفسير وعلوم القرآن: ثابت أبو الحاج، ص152.

(2) القصة في القرآن الكريم: مريم عبد القادر السباعي، ص39.

(3) الآفاق الفنية في القصة القرآنية " رؤية تربوية لإعداد الدعاة ": محمد ناجي مشرح، ص 30.

(4) يوسف: (107).

(5) البقرة: (3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يُؤْمِنُونَ﴾[1]، ذلك أن القصص البشري ما يحكي واقعاً ويصور حقائق ثبت وجودها، بينما هو من نسج خيال مؤلفه، لذا تعالى الله عن القصص الخيالي علواً كبيراً [2].

" إذن القصص القرآني مشتمل على الأمور الثابتة المحققة التي لا يتطرق إليها الشك والارتياب، قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[3]، وهذا يكون في الأوامر والنواهي" [4].

فهناك حقيقة لا ريب فيها ؛ وهي أن القصة في القرآن الكريم بنيت من حقائق ثابتة خالصة من القول الباطل ونسج الخيال، وأسست على الصدق والواقع، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾[5].

لذا نجد أن القصص القرآني يستمد عناصر قوته من واقعية الموضوع وصدقه، ودقة عرضه، والعناية بإبراز الأحداث ذات الشأن في موضوع القصة، دون التفات إلى الجزيئات التي تشير إليها واقع الحال، وتدل عليها دلالات ما بعدها وما قبلها من صور... ذلك ما يشوق القارئ ويوقظه، ويفرض عليه مشاركة فاعلة في تكملة أجزاء القصة، واستحضار ما غاب من أحداثها، وهذا ما يجعله يندمج في القصة ويعيش في أحداثها، ومن ثم يتأثر، وينتفع بما فيها من عظات وعبر [6].

" فنصوص آيات القصص القرآني تتعامل مع الأشياء الواقعية والحقائق الموضوعية ذات الوجود الحقيقي، ولا تتعامل مع تصورات عقلية لا وجود لها في عالم الواقع، وذلك أن القصص القرآني يحكي الواقع، وقد أتى لأهداف تربوية سامية، كأساليب نشر الدعوة إلى الله، وكعبر ومواعظ للرسول ﷺوللمؤمنين، قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [7] "[8].

---

(1) القصص: (3).
(2) انظر: القصة في القرآن الكريم(معالم وتحليل): محمد خير محمود العدوي، ص111.
(3) الأنعام: (115)
(4) القصة في القرآن الكريم(معالم وتحليل): محمد خير محمود العدوي، ص111، والمدخل لدراسة التفسير وعلوم القرآن: ثابت أبو الحاج، ص152، والوحدة الفنية في القصة القرآنية: محمد الدالي ،ص 152.
(5) آل عمران: (62).
(6) انظر: التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم الخطيب، ص 591، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر.
(7) هود: (120).
(8) الآفاق الفنية في القصة القرآنية " رؤية تربوية لإعداد الدعاة ": محمد ناجي مشرح، ص 31، والقصص القرآني (عرض – وقائع – تحليل الأحداث): صلاح الخالدي. ج 1، ص 30.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن أروع القصص القرآني المصور في صدقه، وسرد حقائقه، قصة أهل الكهف التي هي آية وحدها في التصوير البياني القصصي الصادق، وهي في كل جزئية تصور الأمر كأنه مرئي بالحس، لا مذكور بالخبر وحده، قال تعالى: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا * فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا * ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا * نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا * هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا...﴾[1].

" القصة الكريمة السابقة كما ذكرها القرآن الكريم في قصصه الحق لها مشاهد تُذكر كأنها تُرى، وكأن الإنسان يعاين وقائعها "[2].

يتضح مما سبق أن واقعية القصة القرآنية وتتابع أحداثها، وتسلسل أفكارها، وترابط معانيها، حتى كانت كالبنيان يشد بعضه بعضاً، أكسبها رونقًا وسحراً جذاباً، وأعطاها جمالاً لا ينكره أصحاب المواهب الفطرية، والعقول المستنيرة، والعواطف المتأججة بحرارة الإيمان.

" وكلما كانت الأحداث مأخوذة من واقع الحياة، صادقة في الكشف عن جوانبها، جادة في الوصول إلى ما حولها، وما يحيط بها، فالقصة التي تذخر بتلك الأحداث قصة لها وقعها النبيل على النفس... والقصة القرآنية كالعدسة النقية الجلية التي تكشف أحوال الأمم، وتسجل ماضيها مع الكثير من الأنبياء والرسل "[3].

والقصة القرآنية قصة تمثل أحداثا حقيقة، وجوانب ملموسة، ومشاهد قد تم وقوعها، فليست القصة القرآنية جانباً خرافياً، أو حادثاً وهمياً، أو عنصراً ما كان للتزييف والمبالغات الوهمية، حباً في الإثارة المصطنعة، وجمع الآذان التي تطيب لكثير من الأحداث التي بنيت على الحدث والتخمين.

---

(1) الكهف: من (9-26).

(2) المعجزة الكبرى القرآن: محمد بن أحمد مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، ص 155، دار الفكر العربي.

(3) الجانب الفني في قصص القرآن الكريم: عمر محمد باحاذق، ص 143، أطروحة ماجستير مقدمة لنيل شهادة الماجستير، دار المأمون للتراث، دمشق، ط1، 1413هـ - 1993 م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾[1] " فالقصص القرآني حقائق تاريخية قاطعة، لا خيالات متصورة مسبوكة "[2].

إن القصص القرآني كله حق وصدق، ولا مجال فيه للخيال، والافتراء، والأساطير، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[3]. " إن القصة الواقعية لن يضيع أثرها على النفس، ولن تنطفئ شعلتها الموجهة للنفوس الهادية للحائرين، إذ إن النفوس البشرية تسكن الحقائق، وتطمئن لكل حدث سري في الحياة، لكي تقف على نهايته وتعرف نهاية الصالح، وعاقبة الطالح "[4].

رابعاً: الإيجابية: تحث نصوص آيات القصص القرآني الدؤوب في جميع شئون الحياة لإصلاح الدنيا، والفوز بالآخرة، وقد جاءت دعوة الرسل والأنبياء عليهم السلام للخير والهداية، دعوة صريحة للقيام بحق الأمانة في التعامل والإصلاح الاجتماعي، قال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[5][6].

المطلب الثاني: الخصائص الفنية للقصص القرآني:

إن القصص القرآني يغاير القصص الذي ألفه البشر، لأن القصص البشرية، حوادثها مخترعة غالباً وأساليبها عادية، وتحقيقها لأهداف قاصرة، والوصول إلى الخبر ليس هو المقصود فيها دائما.

" أما القصة القرآنية قد تميزت بخصائص فنية راقية، فهي تجمع إلى سمو الهدف وصدق المضمون رقياً في البناء الفني "[7]، ومن الخصائص الفنية التي يمتاز به القصص القرآني:

---

(1) الكهف: (13).
(2) المعجزة القرآنية – حقائق علمية قاطعة: أحمد عمر أبو شوفة، ص 209، دار الكتب الوطنية، ليبيا.
(3) الإسراء: (105).
(4) الجانب الفني في قصص القرآن الكريم: عمر محمد باحاذق، ص 143.
(5) هود: (85).
(6) انظر: الآفاق الفنية في القصة القرآنية " رؤية تربوية لإعداد الدعاة ": محمد ناجي مشرح، ص 31، والمبادئ التربوية والأسس النفسية في القصص القرآني: شاهر ذيب أبو شريخ، ص 21 – 22.
(7) محاضرات في علوم القرآن: فضل حسن عباس، ص 311.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولاً: تنوع طريقة العرض:

لقد امتاز القرآن الكريم بأسلوبه المعجز، الذي تنوعت فيه طرق البيان، وتعددت فيه أوجه الخطاب، وهو في عرض قصصه لم يلتزم نمطاً واحداً، " بل تنوعت فيه الطرائق لتنوع الأغراض، واختلفت الوسائل البيانية تبعاً لتنوع الطرائق " [1].

فقد لوحظ أن القرآن الكريم عندما يأتي بقصة لا يخبر بها إخباراً مجرداً، بل يعرضها بأسلوب تصويري، متناول جميع المشاهد والمناظر المعروفة، فإذا بالقصة حادث يقع ومشهد يجري لا قصة تروي حادثاً قد مضى [2].

لقد تنوعت طرائق عرض القرآن للقصة من زوايا متعددة سواء أكان في إيراد القصة الواحدة وتكرارها أم عدمه، أم في الابتداء بالقصة أم الانتهاء منها، أم في عرض التوجيهات المراد توصيلها والتأكيد عنها، حيث جاء في القصة أربع طرائق مختلفة للابتداء في عرضها، وهي على النحو التالي [3]:

- " مرة يمهد للقصة بمقدمة توحي بخاتمتها، ثم يعرض التفصيلات بعد ذلك من بدئها إلى نهايتها وذلك كطريقة قصة أهل الكهف " فهي تبدأ هكذا "، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا * إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا * فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا * ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا* نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى....﴾ [4].

---

(1) البيان القصصي في القرآن الكريم: إبراهيم عوضين، ص123،ومحاضرات في علوم القرآن: فضل حسن عباس، ص 312.

(2) انظر: والواضح في علوم القرآن: مصطفى ديب البغا – محيي ديب مستو، ج 1، ص192.

(3) انظر: التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، ص 180. وقصص القرآن الكريم: فضل حسن عباس: (صدق حدث – وسمو هدف – إرهاف حس – وتهذيب نفس)، ص 147 – 149، ودراسة أدبية في القصة القرآنية: سليمان الطراونة. ص 22، وأنبياء الله: أحمد بهجت. ص 29، وأسرار القصة القرآنية: فهد خليل زايد، ص38، ووظيفة الصورة الفنية في القرآن: عبد السلام أحمد راغب، ص 263، دار فصلت للدراسات والترجمة والنشر، حلب، ط1، 1422هـ، 2001م.

(4) انظر: الآيات (9 – 22) من سورة الكهف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" ذلك ملخص للقصة، ثم يتبعه تفصيلات تشاورهم قبل دخولهم الكهف، وحالتهم بعد دخوله، ونومهم، ويقظتهم... فكان هذا التلخيص مقدمة مشوقة للتفصيلات..."[1].

"وكذلك أيضا ما ورد في قصة يوسف عليه السلام، حيث تبدأ بالرؤيا التي توحي بالخاتمة قبل عرض الأحداث " [2].

ويرى الباحث أن طريقة العرض السابقة تقوم على ذكر ملخصٍ للقصة التي يسبقها، ويكون مشوقاً منبهاً على ما تنطوي عليه من مقاصد القصة القرآنية. وأغلب الظن أن هذا الأسلوب في عرض القصة يعتبر من أحدث الأساليب الفنية في إخراج الروايات والقصص كتابة وتمثيلاً.

- ومرة تذكر القصة مباشرة بلا مقدمة ولا تلخيص، وقد يكون فيها مفاجآتها الخاصة، مثال ذلك قصة مريم عند مولد عيسى، لكن كانت مفاجآتها معروفة... وكذلك قصة سليمان مع النمل والهدهد...[3].

يتبين مما سبق أن طريقة العرض السابقة تقوم على تقديم أحداث القصة بلا مقدمات ولا تمهيد، ربما مكتفياً بالإيحاءات إلى محور القصة، مثل قصة سيدنا سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ [4].

- ومرة " تذكر عاقبة القصة ومغزاها، ثم تبدأ بعد ذلك من أولها وتسير بتفصيل خطواتها حتى نهايتها " [5].

إن طريقة العرض السابقة تقوم على تقديم أحداث القصة من بدايتها وفق ترتيب ما، ليكشف لنا في النهاية عن مفاجآتها كما في قصة أصحاب الجنة في سورة القلم[6].

- ومرة " يحيل القصة تمثيلية فيذكر فقط من الألفاظ ما ينبه إلى ابتداء العرض، ثم يدع القصة تتحدث عن نفسها بواسطة أبطالها، وذلك مثل قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام... " [7].

---

(1) التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، ص181.
(2) محاضرات في علوم القرآن: فضل حسن عباس، ص 312.
(3) انظر: الوحدة الفنية في القصة القرآنية: محمد الدالي، ص263، ومحاضرات في علوم القرآن: فضل حسن عباس، ص 312.
(4) انظر: الآيات (16 – 44) من سورة النمل.
(5) التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، ص 181.
(6) انظر الآيات: (17 – 32).
(7) التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، ص 182.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فيما يبدو أن طريقة العرض السابقة تقوم على تقديم أحداث القصة وفق ترتيبها الواقعي مثل قصة مريم عليها السلام في سورة مريم [1]، وقصة سيدنا إبراهيم عليه السلام في سورة الأنبياء[2].

إن القصص القرآني يتميز عن غيره من سائر القصص بتنوع طريقة العرض، وهي خاصية فنية تعلو بها جلالة وقداسة، ويزداد بها بلاغة وإعجازاً، ويعظم بها أهمية وتأثيراً، وبهذه الخاصية وبغيرها من الخصائص استحق أن يوسم القصص القرآني بأحسن القصص في قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ ﴾[3].

لقد اعتمدت القصة في التنويع في أسلوب العرض للأحداث، فمرة تبدأ بإعطاء موجز عن الأحداث لتهيئ الأذهان، وتشوقها إلى العرض المفصل بعد ذلك، ومرة تضع مغزى القصة أو نهايتها قبل العرض المفصل، ومرة تذكر القصة مباشرة بلا مقدمة ولا تلخيص، ومرة تحيل القصة تمثيلية وهذا أسلوب تميز به القصص القرآني، وهو إن دل على شيء، فهو يدل على عظمة هذا الخالق، وإعجاز القرآن الذي بهر العرب على الرغم من قوة بلاغتهم.

ثانياً: تنوع طريقة المفاجآت:

إن القصة القرآنية لا تسير على نظام واحد في تقديم الحدث المفاجئ الذي يسهم في النهاية، ويحرك القصة في حل عقدتها الرئيسة، بل تراعي المكان والزمان المناسبين لإظهار المفاجأة، فتقدمها فيهما محافظة بذلك على القيمة الفنية المعجزة التي يقوم عليها البيان القرآني في عمومه [4].

- فمرة " يكتم سر المفاجأة عن البطل وعن المشاهدين، حتى يُكشف لهم معاً في آن واحد، مثال ذلك قصة موسى مع العبد الصالح في سورة الكهف، قال تعالى: ﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا

(1) انظر الآيات: (17 – 32).
(2) انظر الآيات: (51 – 37).
(3) يوسف: (3).
(4) انظر: محاضرات في علوم القرآن: فضل حسن عباس، ص 313، والبيان القصصي في القرآن الكريم: إبراهيم عوضين، ص136.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا * قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا * أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا * وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا * فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا * وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾[1]" [2].

وفيما أظن أن هناك مفاجآت في القصة القرآنية تتميز بتنوع الأساليب التي كانت تقدم من خلالها، حيث كتم القرآن سر المفاجأة حتى تتكشف في نهاية القصة، و أظن أيضاً أن في هذا الأمر تشويق للقارئ حتى تتم القصة ويعرف في نهايتها، وهذا جاء واضحاً في قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح في سورة الكهف، فلو نظرنا فعلاً للآيات الأولى التي ذكرتها من سورة الكهف تشعرنا بأن هناك مفاجآت متوالية لا نعلم لها سراً، ويكون غالباً موقفنا كموقف صاحبها موسى عليه السلام، فنحن لا نعرف من هو الذي يتصرف بتلك التصرفات.... ليتأكد لنا في نهاية المطاف أن فوق كل ذي علم عليم، ثم يأخذ السر في الآيات من (79 – 82) من سورة الكهف في الظهور، فيعلمه القراء حين يعلمه موسى عليه السلام.

- ومرة " يكشف السر للقراء " [3]، مثال قوله تعالى: ﴿ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ * وَلَا يَسْتَثْنُونَ * فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾[4] " ، " حيث تُرك أشخاص القصة يتصرفون وهم جاهلون بالسر "[5].

وقوله تعالى: ﴿ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ * أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ * فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ * أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ *وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ *فَلَمَّا

(1) الكهف: (74 – 82).
(2) انظر: التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، ص 186.
(3) التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، ص186، وأسرار القصة القرآنية: فهد خليل زايد، ص39– 40.
(4) القلم: (17 – 20).
(5) محاضرات في علوم القرآن: فضل حسن عباس، ص 313.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾[1] " بينما نحن نعلم هذا، وكان أصحاب الجنة يجهلونه "[2].

وهذا يكون غالباً في معرض السخرية، يشترك المشاهدين فيها منذ أول لحظة، حيث تتاح لهم السخرية من تصرفات أصحاب الحدث، ومثال ذلك ما شاهدناه في أحداث قصة أصحاب الجنة.

- ومرة " يكشف السر للقراء، وهو خاف عن صاحب القصة في موضوع، وخاف عن القراء وعن صاحب القصة في موضوع آخر في القصة الواحدة، في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾[3] فقصة عرش بلقيس الذي جيء بطرفة عين، وعرفنا أنه بين يدي سليمان عليه السلام، في حين أن بلقيس ظلت تجهل ما نعلم " [4].

- ومرة لا يكون هناك سر، بل تواجه المفاجأة القراء في آن واحد، ويعلمان سرها في الوقت ذاته، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾[5]وهذه مفاجآت قصة مريم عليها السلام، حين تتخذ من دون أهلها حجاباً، فتفاجأ هناك بالروح الأمين في هيئة رجل.... [6].

وفيما يبدو أن من أساليب القرآن الفنية في عرض أحداث القصة إحداث عنصر المفاجأة ليصل من خلال ذلك إلى التأثير المطلوب بالمتلقي في الانتباه للغاية من القصة التي تساق، ولكنه – مع ذلك – لم يسلك طريقاً واحداً في تقديم هذا الحديث المفاجئ، بل نوع وتفنن في عرضه، مراعياً في ذلك الزمان والمكان ليتحقق التأثير.

ولو قرأنا سورة مريم عليها السلام جيداً، وتفحصناها فإننا سنعرف قبلها بلحظة " الروح "، وفيما يبدو أن الموقف لم يطل، فقد أخبرها تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾[7]، وقد فوجئنا معها إذ جاءها المخاض إلى جذع النخلة، حيث قال تعالى:

---

(1) القلم: (21 – 27).
(2) أسرار القصة القرآنية: فهد خليل زايد، ص19– 40.
(3) النمل: آية (42).
(4) انظر: التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، ص186، وأسرار القصة القرآنية: فهد خليل زايد، ص 40.
(5) مريم: (18).
(6) انظر: التصوير الفني في القرآن: سيد قطب،ص187، وأسرار القصة القرآنية: فهد خليل زايد، ص40 –41.
(7) مريم :(19).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا * فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾[1].

ثالثاً: الفجوات بين المشهد والمشهد:

" عند تقسيم المشاهد تترك بين كل مشهدين أو حلقتين فجوة ملؤها الخيال... وهنا يحدث استمتاع بين المشهد السابق والمشهد اللاحق... وهذه طريقة متبعة في جميع القصص القرآني على وجه التقريب، فقصة يوسف عليه السلام قسمت إلى ثمانية وعشرين مشهداً " [2].

ومن مشاهد قصة يوسف عليه السلام، أن قَدِمَ أخوة يوسف على خزائن الأرض في سنوات الجدب يطلبون القمح، فطلب إليهم أن يحضروا أخاهم الآخر " شقيقه "، فأحضروه على كره من أبيه، ثم وضع صواع الملك في رحله، وأخذه رهينة باسم أنه سارق ليبقيه يوسف عنده[3].

يبدو أن تنوع وسائل ربط المشاهد من أبرز الخصائص الفنية القرآنية، حيث إنها تتمثل في عدم الاستقصاء في عرض مشاهد القصة، ففي القصة الواحدة نجد مشاهد متنوعة عدة.

رابعاً: العرض التصويري:

" إن القصة القرآنية تقيم العرض القصصي على العرض التصويري، فالقرآن يتخير من ألوان التصوير لكل قصة ما يتناسب معها في موطنها " [4].

" والتصوير في مشاهد القصة ألوان: لون يبدو في قوة العرض والحيوية، ولون يبدو في تخييل العواطف والانفعالات، ولون في رسم الشخصيات، وليست هذه الألوان منفصلة، ولكن أحدها يبرز في بعض المواقف ويظهر في اللونين الآخرين فيسمى باسمه " [5].

يظهر مما سبق أن التعبير القرآني أداة تصوير يحيل الأحداث والمواقف في القصة إلى مشاهد حية، تبعث فيها الحياة، وتدب فيها الروح.

---

(1) مريم: (23 – 24).

(2) أسرار القصة القرآنية: فهد خليل زايد، ص41.

(3) انظر: التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، ص187 – 188، وأسرار القصة القرآنية: فهد خليل زايد، ص 41.

(4) محاضرات في علوم القرآن: فضل حسن عباس، ص 313.

(5) أسرار القصة القرآنية: فهد خليل زايد، ص43.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" والتصوير الفني يجعل الشخصية شاخصة حية معبرة، والطبيعة البشرية مجسدة أمامنا تروح وتجيء تمتلئ بالحركة وتتدافع بالصراع " [1].

إن عنصر التصوير الفني من أبرز الخصائص التي يتميز بها القصص القرآني عن غيره من القصص.

فالتعبير القرآني يتناول القصة بريشة التصوير المبدعة التي يتناول بها جميع المشاهد والمناظر التي يعرفها [2].

والقصة عرضت في القرآن بأسلوب وبطريقة تصويرية، وبمشاهد ملؤها الحيوية والحركة والوضوح، لكي تشد القارئ أو السامع إليها، ويتفاعل مع أحداثها، ولكي تؤدي دورها الذي سيقت من أجله في تحقيق أغراضها الدينية، فهي بهذا أظن أنها قد حققت التأثير الوجداني، لما فيها من تلك العناصر الفنية.

فالقرآن الكريم عندما يذكر قصة من القصص، لا يخبرنا عنها إخباراً ولكنه يمر مع القارئ بشريط حي على مخيلته وإحساسه، يبرز فيها قوة العرض والإحياء.

المطلب الثالث: التكرار في القصص القرآني:

" التكرار في القصة القرآنية معناه أن ترد القصة الواحدة عدة مرات في مواضع متعددة، وهذا التكرار لا يتناول القصة كلها في كل مرة، وإنما يتناول بعض جزيئاتها وفقاً لما يقتضيه الحال التي ترد من أجله القصة، وكل إعادة لجزئية من جزيئات القصة يكون بلفظ يفيد في الأسلوب، وزيادة في المعنى بطريقة لا يستطيعها سوى الخالق عز وجل " [3].

والتكرار له صور متعددة تأتي خلال الآيات القرآنية، فنراه تكراراً جزئياً ويراد به تكرار كلمات أو آيات بنفس ألفاظها – وتكرار للقصة الواحدة، فالتكرار الجزئي يأخذ صور عدة أهمها:

- تكرار الجمل والآيات.
- تكرار اللفظ والكلمة.

---

(1) التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، ص 246.

(2) انظر: القصة في القرآن– مقاصد الدين وقيم الفن: محمد قطب، ص246، وأسرار القصة القرآنية: فهد خليل زايد، ص42، والآفاق الفنية في القصة القرآنية " رؤية تربوية لإعداد الدعاة ": محمد ناجي مشرح، ص 56– 57.

(3) القصة في القرآن الكريم: مريم عبد القادر السباعي، ص36. وإعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني: صلاح الخالدي، ص 107، دار عمان للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1421هـ – 2000م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولكل صورة دلالتها وفوائدها [1].

لقد تتكرر آية بألفاظها مرات عدة في سور متعددة كقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[2]، وقد تتكرر الآية مرات عديدة في سورة واحدة كقوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[3].

والتي تكررت في سورة الرحمن إحدى وثلاثين مرة. " فالتكرار خاصة من خصائص أسلوب القرآن بصورة عامة، وهو في طريقة عرض القرآن للقصة جزء من تلك الطريقة "[4].

لذا يعده العلماء وجهاً من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، حيث تتكرر القصة الواحدة بألفاظ وأساليب متعددة تحقق في كل مقام أسلوباً يتسق مع أسلوب القصة ونظمها في غير تناف ولا تجاف، بل يكون بينهما قمة التناسق والترابط[5].

" وقد لوحظ أن ظاهرة التكرار قد تكون أشد وضوحاً في السور المكية منها في السور المدنية، ولكن السور المدنية كذلك لا تخلو من التكرار " [6].

" إن أكثر الموضوعات تكراراً وتنوعاً في ذات الوقت هي موضوعات العقيدة بمفرداتها الستة: الإيمان بالله، واليوم الآخر، والملائكة، والكتاب والنبيين، والقدر خيره وشره، وقصص الأنبياء، وقصة آدم والشيطان، وأخلاقيات الإيمان " [7].

ولعل القول أن القرآن الكريم يكرر من الأحداث ما يخدم الدعوة والعقيدة، ويفتح للناس طرقاً للعبرة والعظة، كما أنه يختار من المشاهد ما يكون صالحاً لتحقيق أي غاية متعلقة بموضوعات العقيدة أو الشريعة.

" لذا فإن التكرار الذي يحدث في بعض جوانب القصص القرآني يؤدي وظيفة حيوية في إبراز جوانب لا يمكن أداؤها على وجه واحد من وجوه التعبير، بل لا بد أن تعاد العبارة أكثر من

---

(1) انظر: القصة في القرآن الكريم: مريم عبد القادر السباعي، ص65.
(2) يونس: (18)، والنمل: (71)، والملك: (25)، والأنبياء: (38)، ويس: (48).
(3) الرحمن: (13).
(4) علوم القرآن الكريم: نور الدين عتر، ص 249، مطبعة الصباح، دمشق، 1414هـ - 1993 م.
(5) انظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: فهد عبد الرحمن بن سليمان الرومي، ص 968، إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1407هـ - 1986م.
(6) دراسات قرآنية: محمد قطب، ص 253، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1425 هـ - 2004م.
(7) المرجع السابق، ص 256.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مرة، لأن كل عبارة تحمل بعضاً من مشخصات المشهد، وكل عبارة تعطي صورة متقاربة للمشهد كله " [1].

يتضح مما سبق أن القصة المكررة تحتاج لإعادة قراءتها أكثر من مرة، لأنها أحياناً تكون متجهة إلى مواضع أخرى.. أو تتحدث من جهة غير الجهة التي تعرضت إليها في مواضع مختلفة، وذلك نظراً لأن القرآن الكريم كتاب هداية وعبرة وليس كتاب تاريخ... فتكون القصة وسيلة لتحقيق تلك الأهداف المتعددة، متجهة نحو الغرض الذي سيقت من أجله.

إن تكرار القصة الواحدة في القرآن الكريم.. يعني ترابط أجزائها، بحيث يكمل بعضها بعضاً... وتعطي صورة كاملة واضحة مجسمة، أو شبه مجسمة للحدث الواحد، ليس إلا تجميعاً لمتناثر الأقوال من هذه الواقعة أو ليس إلا التقاطاً لظاهر القول، وما أمكن وراءه من خواطر وخلجات لا يستطيع أن يمسك بها إلا النظم القرآني وحده [2].

وتكرار الأحداث القصصية في القصص القرآني.. هو إعجاز من إعجاز القرآن الكريم، تتجلى فيه روعة الكلمة وجلالها، بحيث لا يرى لها وجه في أي لغة، وفي أي صورة من صور البيان، يقارب هذا الوجه، في جلالته، وروعته، وسطوته.

وتعد قصة موسى عليه السلام أكثر القصص التي تكرر ذكرها في القرآن، فقد ورد ذكر موسى عليه السلام وقصته في أربع وثلاثين سورة[3]، وكل مرة تحوي عظات ودروس مختلفة في كل مرة عن أخرى .

والقصص الذي جاء في القرآن الكريم مرات وكرات، قصة خلق آدم من الطين، وسجود الملائكة له، واستكبار الشيطان عنه، ولعنه وطرده لأجله، وسعيه من ذاك في إغواء بني آدم وإضلالهم وقصص محاجة نوح، وهود وصالح... عليهم الصلوات والتسليمات [4].

إذن " كل قصة من القصص القرآني نجدها تخدم فكرة.. ومجموعها يعطي كل القصة ؛ لأن الحق حين يورد القصص فهو يأتي بلفظة في سورة لتخدم موقفاً، ولفظة أخرى تخدم موقفاً آخر وهكذا، وحين شاء أن يرسل لنا قصة محبوكة، جاء بقصة " يوسف " في سورة يوسف، ولم يكررها،

---

(1) سيكولوجية القصة في القرآن: تهامي نقرة، ص 64- 65.

(2) انظر: التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم الخطيب، ص 802.

(3) ينظر السور: البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، يونس، هود، إبراهيم، الإسراء، الكهف، مريم، طه، الأنبياء، الحج، المؤمنون، الفرقان، الشعراء، والنمل، القصص، العنكبوت...

(4) انظر: إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني: صلاح الخالدي، ص 312.، والفوز الكبير في أصول التفسير: أحمد بن عبد الرحيم " ولي اللهالدهولي "، ص 67، عربه سلمان الحسيني الندوي، دار الصحوة، القاهرة، ط2، 1407 هـ - 1986م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لأنها مستوفية في سورة يوسف، اللهم إلا في آية واحدة: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴾ [1] "[2].

ويرى الباحث أن التكرار في القرآن الكريم ليس تكراراً مطلقاً، من شأنه، أن يبعث الملل في نفس القارئ أو السامع، بل إنه تكرار أكسب القصة القرآنية جمالاً فنياً وروعة أسلوب.

" إن التكرير أبلغ من التأكيد، وهو من محاسن الفصاحة ومن فوائده التقرير، وقد قيل الكلام إذا تكرر تقرر " [3].

أما القصص الذي لم يتكرر في القرآن، القصص الأولى بل وردت في موضع أو موضعين فحسب، فهي قصة رفع سيدنا إدريس عليه السلام مكاناً علياً، وقصة محاجة إبراهيم، ومشاهدته إحياء الطير، وقصة ذبح ولده الوحيد، وقصة سيدنا يوسف عليه السلام وقصة ولادة سيدنا موسى عليه السلام وإلقائه في اليم.... [4].

فوائد التكرار والحكمة منه:

" عندما ننظر في قصص القرآن يروعنا أن نرى القصة مقدمة عشرات المرات... يحكيها الله عشر مرات أو خمس عشرة مرة... نفس القصة... نفس المستوى... بنفس التأثير، ورغم ذلك يظل مستوى القصة في الذروة رغم تكرارها... ويتغير تأثيرها وإيحاؤها بكلمة تضاف أو جزء يحذف أو عبارة جديدة، أو جملة لم تكن موجودة، أو مجرد ظل لخاطر نفسي لم يقدم قبل ذلك " [5].

" فالنفس البشرية لحم ودم وروح، تتفاعل مع صاحبها وبه، طبقاً لظروف كثيرة تتداخل مع بعضها البعض لتنتج في النهاية سلوكاً معنياً للفرد، ينتهجه في الحياة، وتغيير هذا السلوك يحتاج إلى جهد بالغ، وعمل متواصل حتى تستقيم النفس من غيره... والتكرار هنا أنجح وأحسن

(1) غافر: (34).
(2) تفسير الشعراوي – الخواطر: محمد متولي الشعراوي.
(3) الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي،ج1، الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج3، ص 60، الهيئة المصرية للكتاب، 1932 هـ، 1974م
(4) انظر: الفوز الكبير في أصول التفسير: أحمد بن عبد الرحيم " ولي الله الدهولي "، ص 67.
(5) أنبياء الله: أحمد بهجت. ص 21.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الوسائل في تنمية هذا الأمر سواء أكان التكرار قولاً يرد، أم عملاً يقتدي به، فيبني فيه القناعة والعاطفة اللازمتين للتحول إلى السلوك الجديد المراد لهذه النفس " [1].

هذا التكرار الموجود في القصص القرآني ليس تكراراً مطلقاً، وإنما هو تكرار نسبي، بمعنى أن الغرض الديني هو الذي يملي إعادة القصة، ولكنها في هذه الإعادة تلبس أسلوباً جديداً،وتخرج إخراجاً جديداً، يناسب السياق الذي وردت فيه، وتهدف إلى هدف خاص لم يذكر في مكان آخر، حتى لكأننا أمام قصة جديدة لم نسمع بها من قبل [2].

ومن الصعب حصر أشكال التكرار ولا أهدافه وغاياته، فذلك أمر يتعلق بطبيعة النظم واستقامته ومن حيث التركيز على بعض ما يجب التنبيه إليه من عبر ومواعظ في مجال القصص القرآني، وتأكيد المبادئ الأساسية للعقيدة الإسلامية، والاستشهاد بكل ما يؤدي إلى إقناع المخاطب[3].

ومن أهداف التكرار وحكمته ما يلي:

أولاً: " بيان أهمية تلك القصة لأن تكرارها يدل على العناية بها "[4].

فعناية الحق تبارك وتعالى بشأن القصة أو الجانب المكرر، أغلب الظن لدلالتها على التوحيد كقصة سيدنا إبراهيم عليه السلام ومعاداته للأصنام وأهلها، وإما لدلالتها على نصرة الله تعالى لأنبيائه على أعدائه كقصة سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون.

ولعل الحكمة من التكرار يكمن بالإضافة إلى عناية الله سبحانه وتعالى بالقصة، إلى تنبيه غير المنتبه، حيث يزداد إدراكاً للمعنى المقصود ومن الله سبحانه وتعالى، لأن طبيعة الإنسان ينبه أكثر إذا كرر عليه الخبر، فربما كرر الله سبحانه وتعالى القصة بصور مختلفة حتى يستفيد من حكمتها في المرة الثانية من لم يستفد في المرة الأولى.

ثانياً: " اختلاف الغاية التي تساق من أجلها القصة – فتذكر بعض معانيها الوافية بالغرض في مقام، وتبرز معانٍ أخرى في سائر المقامات حسب اختلاف مقتضيات الأحوال " [5].

---

(1) دراسات قرآنية: محمد قطب، ص 247.

(2) انظر: الجانب الفني في قصص القرآن الكريم: عمر محمد باحاذق، ص 45، ومنهج الإمام الطاهر بن عاشور في التفسير: نبيل أحمد صقر، ص 93.

(3) انظر: المدخل إلى علوم القرآن الكريم:محمد فاروق النبهان، ص251، دار عالم القرآن، حلب، ط1،1423 هـ – 2005م.

(4) أصول التفسير: محمد بن صالح بن عثيمين، ص 35.

(5) مباحث في علوم القرآن: مناع القطان، ص318 – 319.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثاً: إثبات بلاغة القرآن التي تتقاصر عنها جميع البلاغات، إضافة إلى تكرار أحداث القصة بهذا الأسلوب المتمايز عن الآخر، يجعل القارئ والسامع لا يمل من التكرار، بل يتشوق وتنجذب روحه بجوانب أخرى من القصة [1].

لقد ذهب البيانيون والمفسرون إلى القول بالتكرار في البيان القرآني، واعتبروه تكراراً حكيماً مقصوداً، وأسلوباً رفيعاً، كما اعتبروه تكراراً جزءاً من المعنى، أو لفظاً جديداً، ويفعل ذلك لهدف بلاغي وحكمة مرادة [2].

" فإننا نجد أن بعض البيانيين أطلقوا على ظاهرة التكرار مصطلح " التنويع "، وقالوا: القرآن ينوع في عرض موضوعاته وأفكاره وحقائقه، ويورد بعضها أكثر من مرة، وفي أكثر من موضع، وهو في كل مرة يقدم إضافة جديدة لفظية أو معنوية " [3].

والحكمة من التكرار هي التنويع في ضروب البلاغة وأساليب البيان، وهذه الفائدة فيها نوع من التحدي والإعجاز، وذلك بالتصرف في البلاغة على أعلى مرتبة لأن كل قصة كررت حصل في ألفاظها زيادة ونقصان، وتقديم وتأخير وإجمال وبيان.

إن حكمة التكرار هنا تتجلى في بيان قوة الإعجاز، فإيراد المعنى الواحد في صورة شتى مع عجز العرب عن الإتيان بصورة واحدة منها أبلغ في التحدي.

رابعاً: لقد كان أكثر القصص تكرراً في القرآن قصص بعض الأنبياء والمرسلين، ولهم مواقف عظيمة، حينما قاموا بنشر الدعوة وتبليغ رسالة السماء، ولعل الظاهرة في هذا التكرار هو تثبيت رسول الله ﷺ في دعوته، وحمله على أن يصبر على إيذاء قومه، كما يقول الحق ﷻ: ﴿**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ [4][5].

---

(1) انظر: أصول التفسير: محمد بن صالح بن عثيمين، ص 35، والواضح في علوم القرآن: مصطفى ديب البغا – محيي ديب مستو، ج 1، ص187.

(2) انظر: آداب التعامل في ضوء القصص القرآني " دراسة موضوعية ": منار عمر درويش الحلو، ص 81، أطروحة ماجستير مقدمة لنيل شهادة الماجستير، الجامعة الإسلامية، كلية أصول الدين، قسم التفسير، غزة، 1423هـ – 2011م.

(3) الوحدة الفنية في القصة القرآنية: محمد الدالي، ص311.

(4) الأحقاف: (35).

(5) انظر: أصول التفسير: محمد بن صالح بن عثيمين، ص 35، والجانب الفني في قصص القرآن الكريم: عمر محمد عمر باحاذق، ص 41.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن القصة القرآنية فيها تسلية للنبي ﷺ وتثبيت لقلبه، ولقلوب أصحابه رضوان الله عليهم، وذلك ليرى الرسول ﷺ، والمؤمنون ما لاقى الأنبياء وأتباعهم من أذى أقوامهم، وثباتهم على الحق، ومصابرتهم ومجاهدتهم في سبيل الله حتى كانت العاقبة لهم والدائرة على أعدائهم، فيصبروا على أذى المشركين كما صبر غيرهم من الرسل.

خامساً: "ظهور صدق القرآن، وأنه من عند الله تعالى، حيث تأتي هذه القصص متنوعة بدون تناقض" [1].

سادساً: "ومن مقاصد تكرار القصة في القرآن ترهيب الجاحدين وإنذارهم بما جرت عليه سنن الله بعقاب المكذبين لرسله، ولا أدل على صدق السنن الإلهية من حدوثها مراراً وفي ظروف مماثلة وأزمان متباعدة " [2].

سابعاً: "الاهتمام بشأن القصة لتمكين عبرها إلى النفس "[3].

يتبين مما سبق أن التكرار طريقة من طرق التأكيد وأمارات الاهتمام، والدليل على ذلك، الحال في قصة سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون، لأنها تمثل صراعاً قوياً بين الحق والباطل أتم تمثيل.

إن من الحكمة التي تخفي وراء التكرار الهداية والعبرة، فالتكرار يذكر الأمم دائماً بالمصير الذي حل بمن سبقهم من الأمم التي وقفت موقف التحدي من أنبيائهم.

والاختلاف في النظم القرآني يعد نوعاً من التفنن في إعادة القصة الواحدة في أكثر من موضع، وقد أدركت أن القرآن الكريم لم يكرر تركيباً إلا بعد أن يضفي عليه دلالة جديدة من خلال اختلاف بسيط في النظم بزيادة أو حذف أو إبدال.

(1) أصول التفسير: محمد بن صالح بن عثيمين، ص 35.
(2) سيكولوجية القصة في القرآن: تهامي نقرة، ص131.
(3) أصول التفسير: محمد بن صالح بن عثيمين، ص 35.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث السادس

التربية بالقصص القرآني

للقصة في التربية الإسلامية وظيفة تربوية لا يحققها لون آخر من ألوان الأداء اللغوي، ذلك أن القصة القرآنية تمتاز بميزات جعلت لها آثارًا نفسية وتربوية بليغة محكمة، بعيدة المدى على مر الزمن، مع ما تثيره من حرارة العاطفة ومن حيوية وحركية في النفس، تدفع الإنسان إلى تغيير سلوكه وتجديد عزيمته بحسب مقتضى القصة وخاتمتها...والعِبرَةِ منها.

فالقصص القرآني أداة للتربية، وقد قص القرآن الكريم علينا أخبار الأمم الماضية، سواء أكان القصص مفرداً أو مكرر، فهو في السياق القرآني أداة تربية، ومصدر توجيه ووعظ يدعم الفرد والجماعة... فقصص القرآن قطع من الحياة الماضية، استرجعها الوحي الأعلى للتعليم والاعتبار [1].

إذن القصص القرآني قصص تربوي في المقام الأول، يعالج المشاكل والأفكار والمواقع علاجاً معيناً على ضوء المبادئ الإسلامية والأحكام الشرعية في قالب فني جمالي، لتعميق المفاهيم التي يراد غرسها في النفس الإنسانية، فمثلاً عندما تعرض قضية الطاعة والامتثال والتضحية من خلال قصة إسماعيل وإبراهيم عليهما السلام، تكون أوقع في النفس وأشد أثراً، وكذلك آداب طلب العلم من خلال قصة موسى والخضر عليهما السلام في سورة الكهف، وعندما تعالج قضية الشح والبخل في النفس من خلال قصة أصحاب الجنة في سورة " ن "، تكون أوعى للاعتبار والاتعاظ... [2].

إن القصص القرآني غني بالمواعظ والحكم والأصول العقدية، والتوجيهات الأخلاقية، والأساليب التربوية، والاعتبار بالأمم والشعوب، والقصص القرآني ليس أموراً تاريخية لا يفيد إلا المؤرخين، وإنما هو أعلى وأشرف وأفضل من ذلك ؛ فالقصص القرآني مملوء بالتوحيد والعلم وآداب التربية، ومكارم الأخلاق والحجج العقلية، والتبصرة والتذكرة، والمحاورات العجيبة.

والقصة المحكمة الدقيقة تطرق المسامع بشغف، وتنفذ إلى النفس البشرية بسهولة ويسر، وتسترسل مع سياقها المشاعر لا تمل ولا تكل، على نقيض الدروس الإلقائية التي

---

(1) انظر القصة في القرآن– مقاصد الدين وقيم الفن: محمد قطب، ص257، والقصة في القرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي، ج1، ص4، المحاور الخمسة للقرآن الكريم: محمد الغزالي، ص 80، دار نهضة مصر، ط1،.

(2) انظر: السيرة النبوية (عرض وقائع وتحليل أحداث): علي محمد محمد الصلابي، ج1، ص120، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط7، 1429 هـ – 2008. ومباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم، ص 201.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تورث الأمل، لذا كان الأسلوب القصصي أجدى نفعاً وأكثر فائدة... وفي حياتنا يميل الطفل لسماع القصص والحكايات، فهذه الظاهرة الفطرية يمكن أن نجعلها مدخلاً للتهذيب الديني، الذي هو لب التعليم [1].

فالقصص القرآني تربة خصبة تساعد المربين على النجاح في مهمتهم، ويمدهم بزاد تهذيبي من سيرة النبيين، وأخبار الماضيين وسنة الله في حياة المجتمعات، وأحوال الأمم، ولا يقول في ذلك إلا حقاً وصدقاً، ويستطيع المربي أن يصوغ القصة القرآنية بالأسلوب الذي يلائم المستوى الفكري للمتعلمين، وفي كل مرحلة من مراحل التعليم، وقد نجحت مجموعة القصص الديني للأستاذين "سيد قطب "، و "السحار" في تقديم زاد مفيد نافع لصغارنا نجاحاً معدوم النظير، كما قدم "الجارم" القصص القرآني في أسلوب أدبي بليغ أعلى مستوى، وأكثر تحليلاً وعمقاً، وحبذا لو نهج آخرون هذا المنهج التربوي السديد [2].

ويبدو أن القصة في القرآن الكريم على جانب كبير من الأهمية، فهي قالب تربوي وإعلامي تنفذ من خلاله الدعوة إلى القلوب فتهزها، وإلى النفوس فتنفضها، وهي تحتشد بعوالم وبحيوات متغيرة، وبأشخاص متنوعة، وبصراع يدور بين خير وشر، وعدل وظلم، فتثير في النفس العواطف، وتجذب القلوب وتهيئ العقول إلى التقريب والتلقي في الفعل والمسلك.

وفيما أظن أن القصص القرآني أدى دوره الإصلاحي والتربوي للأمة العربية والإسلامية، حتى اعتبر هذا القصص منهج تربية دائم اكتسبها من خلال سمات تربوية تجلى بها، وتتجلى أبرز هذه السمات فيما يلي:

أولاً: تشد القصة القارئ، وتوقظ انتباهه، دون توان أو تراخٍ، فتجعله دائم التأمل في معانيها والتتبع لمواقفها، والتأثر بشخصياتها وموضوعها حتى آخر كلمة فيها.

ذلك أن القصة تبدأ غالبًا، وفي شكلها الأكمل، بالتنويه بمطلب أو وعد أو الإنذار بخطر، أو نحو ذلك مما يسمى عقدة القصة، وقد تتراكم، قبل الوصول إلى حل هذه العقدة، مطالب أو مصاعب أخرى [3].

وهذا يزيد القصة حبكًا، كما تزيد القارئ أو السامع شوقًا وانتباهًا، وتلهفًا على الحل أو النتيجة.

---

(1) مباحث في علوم القرآن: مناع القطان، ص321.
(2) انظر المرجع السابق: ص 321 – 322.
(3) مباحث في علوم القرآن: مناع القطان، ص219

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: يمتاز القصص القرآني بالصدق والتركيز على الهدف المنشود من القصة، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ **فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾[1] حيث يتم تزويد الفرد والجماعة بالقيم الإسلامية الرفيعة وتربيتهم على الثقة المطلقة بالله والإيمان بالقضاء والقدر، وقد أشار القرآن الكريم إلى استخدام القصة كأسلوب تربوي [2].

ثالثاً: تتعامل القصة القرآنية والنبوية مع النفس البشرية في واقعيتها الكاملة، متمثلة في أهم النماذج التي يريد القرآن إبرازها للكائن البشري، ويوجه الاهتمام إلى كل نموذج بحسب أهميته، فيُعرض عرضًا صادقًا يليق بالمقام ويحقق الهدف التربوي من عرضه، ففي قصة يوسف يعرض نموذج الإنسان الصابر على المصائب في سبيل الدعوة إلى الله (في شخص يوسف)، ونموذج المرأة المترفة تعرض لها حبائل الهوى فملأ قلبها الحب والشهوة، ويدفعها إلى محاولة ارتكاب الجريمة، ثم إلى سَجن إنسان بريء مخلص، لا ذنب له إلا الترفع عن الدنايا والإخلاص لسيده، ومراعاة أوامر ربه [3]، قال تعالى: ﴿ **قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ** ﴾[4].

إن يوسف عليه السلام كان شابا وشهوة الشباب تكون في هذا الوقت قوية، وكانت امرأة العزيز ذات منصب وجمال عال، بحيث إن كل واحد من هذين الأمرين يدعو إلى مواقعتها، إلا أنه كسر شهوته ولم يضعف أمامها، وهذا في حد ذاته تربية للنفس، وأنها تواعدته بالسجن وهذا نوع من الإكراه، إذ هو تهديد من يغلب على الظن وقوع ما هدد به، فيجتمع داعي الشهوة وداعي السلامة من ضيق السجن، ومع هذه الدواعي كلها آثر مرضات الله وخوفه وحمله حبه لله على أن

---

(1) الأعراف: آية (176).

(2) التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها: عاطف السيد، ص 64.

(3) انظر: مباحث في علوم القرآن: مناع القطان، ص219، ومصابيح الضياء من قصص الأنبياء من تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد العزيز العقيل، ص 70- 74، اعتنى بإخراجها: عيسى بن محمد القرعاني، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، الرياض، السعودية، ط2، 1429هـ، وقصص الأنبياء: أحمد جاد المولى. محمد أبو الفضل إبراهيم. علي البجاوي وآخرون، ص 91 – 92، مكتبة الاستقامة، القاهرة، مصر، ط2، 1358 هـ - 1939 م، ومباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم، ص 201، السيرة النبوية (عرض وقائع وتحليل أحداث): علي محمد محمد الصلابي، ج1، ص215 – 217.

(4) يوسف: (26 – 27).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اختار السجن على الزنا فق الرب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وعلم أنه لا يطيق صرف ذلك عن نفسه وهذا في حد ذاته قمة التربية الإسلامية للروح الإنسانية، وامتناعها عن المعاصي، وتعويدها الثقة بالله والصبر...

رابعاً: تنبيه أبناء آدم إلى خطر غواية الشيطان [1]، وإبراز العداوة الخالدة بينه وبينهم منذ أبيهم إلى أن تقوم الساعة، وإبراز هذه العداوة عن طريق أروع وأقوى وأدعى إلى الحذر الشديد من كل هاجسه في النفس تدعو إلى الشر، ولما كان هذا موضوعاً خالداً فقد تكررت قصة آدم في مواضع شتى، مما يدعو المربي إلى الإلحاح على هذا الموضوع وتوجيه الطلاب إلى الحذر من غواته الشيطان [2].

خامساً: يمتاز القصص القرآني بأنه يبين فيه المعلمون لتلاميذه أحوال السالكين والناكبين، وتحوي أحوال السالكين قصص الأنبياء والأولياء، كقصة آدم وإبراهيم وعيسى، أما أحوال الناكبين والجاحدين فهي قصص فرعون وقارون، وعاد وثمود...، والقرآن الكريم يجمل ويفصل هذه القصص وفقاً للعبرة المقصودة والدروس المستفادة [3].

سادساً: " نرى في القصص القرآني أنه يتجه إلى إقناع العقل بشكل لا مثيل له، حيث يدعو الإنسان للنظر لكي يستدل على سنن الله في الكون، ويهتدي إلى الإيمان بخالقه عن طريق هذه السنن، ولكي يكون إيمانه عن تأمل وتفكر، لا عن تقليد لما وجد عليه آباءه وأجداده من غير نظر ولا بحث " [4].

سابعاً: تربي القصة القرآنية العواطف الربانية، وذلك عن طريق إثارة الانفعالات كالخوف والترقب، وكالرضا والارتياح، والحب والكره، بما فيه من وصف رائع ووقائع مصطفاة، فقصة يوسف مثلاً تربي الصبر والثقة بالله، والأمل في نصره، بعد إثارة انفعال الخوف على يوسف، ثم الارتياح إلى استلامه منصب الوزارة، وعن طريق توجيه جميع هذه الانفعالات حتى تلتقي عند نتيجة واحدة هي النتيجة التي تنتهي إليها القصة، فتواجه حماسة قارئ القصة نحو يوسف وأبيه، حتى يلتقيا في شكر الله في آخر القصة، وأيضاً عن طريق المشاركة الوجدانية حيث يندمج القارئ مع جو القصة

(1) انظر سورة الأعراف: (25 – 30).
(2) انظر: التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، ص 128.
(3) التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها: عاطف السيد، ص 64.
(4) القصة في القرآن الكريم: مريم عبد القادر السباعي، ص281.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العاطفي حتى يعيش بانفعالاته مع شخصياتها، ففي قصة يوسف يعتري القارئ خوف أو قلق عندما يراد قتل يوسف، وإلقاؤه في الجب..[1].

يستنتج مما سبق أن القصص القرآني من أقرب الوسائل التربوية إلى فطرة الإنسان ، وأكثر العوامل النفسية تأثيرًا فيه ، وذلك لما في هذا الأسلوب من المحاكاة لحالة الإنسان نفسه، فتراه يعيش بكل كيانه في أحداث القصة، وكأنه أحد أفرادها.

(1) انظر: مباحث في علوم القرآن: مناع القطان، ص221.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني

دراسة تحليلية لمواضع خروج الكلام عن مقتضى الظاهر في القصص القرآني

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: الالتفات.

المبحث الثاني: التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي.

المبحث الثالث: التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل.

المبحث الرابع: التعبير عن المفرد بصيغة الجمع .

المبحث الخامس: التعبير عن الجمع بصيغة المفرد.

المبحث السادس: التغليب .

المبحث السابع :الأسلوب الحكيم .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الفصل استقصاء لمواضع خروج الكلام عن مقتضى الظاهر في القصص القرآني استخراجاً ثم شرحاً وتعليقاً لبيان النكتة البلاغية وهو لب الرسالة، آمل من المولى القدير أن ييسر الدراسة فيه ويلهمنا الصواب، ويعصمنا عن الزلل، إنه قريب سميع مجيب، وسيتضمن سبعة مباحث، المبحث الأول : بعنوان الالتفات ويضم ستة مطالب، المطلب الأول: الالتفات من التكلم إلى الخطاب، والثاني: من الخطاب إلى التكلم، والثالث: من الخطاب إلى الغيبة، والرابع: من الغيبة إلى الخطاب، والخامس: من التكلم إلى الغيبة، والسادس: من الغيبة إلى التكلم، أما المبحث الثاني: التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي، والمبحث الثالث: التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل، والمبحث الرابع: التعبير عن المفرد بصيغة الجمع، والمبحث الخامس: التعبير عن الجمع بصيغة المفرد، والمبحث السادس: التغليب، والمبحث السابع : الأسلوب الحكيم .

وباللّه التوفيق

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مقدمة:

لقد درس علماء البلاغة ضمن تتبعهم لموضوعات علم المعاني ظاهرة خروج الكلام عن مقتضى الظاهر في الكلام البليغ، لداعٍ من الدواعي البلاغية ذات التأثير في النفوس والأفكار، لما فيها من عناصر فنية إبداعية تتضمن دلالات فكرية، أو تعبيرات جمالية ذكية.

" فالأصل في الكلام أن يكون على مقتضى الظاهر، يعني أن يكون الكلام مطابقاً للواقع أو أن تؤدي الجمل والعبارات المعنى الذي تحمله الألفاظ، أي ليس فيها تأويل وتوجيه غير ما تدل عليه الكلمات أو الكلام الظاهر، وقد يخرج الكلام على ذلك فيقال: إنه خرج على مقتضى الظاهر"[1]، وخروج الكلام عن مقتضى الظاهر له صور متعددة أهمها: الالتفات بصوره، والتغليب، والتعبير عن المستقبل بلفظ الماضي والعكس، والأسلوب الحكيم... [2].

(1) مدخل إلى البلاغة العربية (علم المعاني – علم البيان – علم البديع): يوسف أبو العدوس، ص77، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2007م – 1427.

(2) انظر: معجم مصطلح العرب: بلاغية وتطورها: أحمد مطلوب، ص642، مكتبة لبنان ناشرون.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

الالتفات

لقد تنوع أسلوب الالتفات في قصص القرآن الكريم ليضفي إلى البناء الفني عناصر جمالية، ويثري النص في ملامح الشد والجذب والإثارة، خاصة وأن الالتفات يؤثر في السامع فيحثه على المتابعة والتفكر والربط بالعودة إلى أول التعبير ومحاولة الكشف عن أسرار التعبير والانتقال من أسلوب لآخر.

والالتفات فن بديع من فنون القول يشبه تحريك آلات التصوير السينمائي بنقلها من مشهد إلى مشهد آخر في المختلفات والمتباعدات التي يراد عرض صور منها، ومفاجأة المشاهد بلقطات منها متباعدات، ولكنها تدخل في الإطار الكلي الذي يراد عرض طائفة من مشاهده تدل على ما يُقصد الإعلام به.

ويهدي الذوقُ الأدبي السليم إلى استخدام الالتفات استخداماً بارعاً يُحَقِق به البليغ فوائد في نفس المتلَقي أو فكره، مع ما يحقق به من الاقتصاد والإيجاز في العبارة.

والالتفات من الظواهر البلاغية التي درسها البلاغيون في قديم الزمان، " ومن أوائل من تكلم فيه ابن المعتز (ت 296 هـ) في كتابه البديع، وقد عده من محاسن الكلام والشعر " [1]، الالتفات لم يتحدد مفهومه، وتتضح معالمه كفن من فنون البلاغة، ولم تدرس صوره دراسة بلاغية كاشفة عن أسراره، ومحللة لشواهده، ومبينة فائدته، وقيمته البلاغية إلا على يد الإمام الزمخشري [2].

" ويعتبر الالتفات من أجل علوم البلاغة، وهو أمير جنودها، والواسطة في قلائدها وعقودها، وسمي بذلك أخذاً له من التفات الإنسان يميناً وشمالاً... فهكذا حال هذا النوع من علم المعاني"[3]. " ولا شك أن الالتفات مخصوص بهذه اللغة العربية دون غيرها " [4]

---

(1) كتاب البديع: عبد الله بن المعتز، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجة، ص 152، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط 1، 1410هـ- 1990م.

(2) أسلوب الالتفات دراسة تاريخية مبينة: عبد الحميد فراج، ص6، دار البيان، ط1، 1983م.

(3) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم اليمني، ضبطه وحققه جماعة من العلماء، ص 131، دار الكتب العلمية، والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: أبي الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الكريم (ابن الأثير الموصلي)، تحقيق وضبط محمد محيي الدين عبد الحميد، ج2، ص 1، المكتبة العصرية، 1416 هـ - 1995م.

(4) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: ج2، ص71.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والالتفات لغة: من " لفت وجهه عن القوم إذا صرفه والتفت، والتفت منه وتلفت إلى الشيء والتفت إليه: صرف وجهه، ويقال: لفت فلاناً عن رأيه، أي صرفته عنه وفيه التفات " [1].

أما تعريف البلاغيين لمصطلح الالتفات: " أنه مأخوذ من التفات الإنسان عن يمينه وشماله، فهو يقلب بوجهه تارة هنا، وتارة هناك، وكذلك هذا النوع من الكلام ؛ لأنه ينتقل إليه من صيغة إلى صيغة أخرى كالانتقال من خطاب حاضر إلى غائب، أو من خطاب غائب إلى حاضر"[2]، و" الالتفات هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنها بطريق منها"[3] " يعني هو نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر تطرية واستدراراً لنشاطه، وحمله على زيادة الإصغاء، وصيانة لخاطره من الملال والضجر، بدوام الأسلوب الواحد على سمعه [4]، وهو على أقسام:

أولاً: قوله تعالى: ﴿**وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾[5] التفات من التكلم إلى الخطاب وهذا " يبعث إلى الاستماع حيث يقبل المتكلم عليه، وأنه أعطاه فضل عناية وتخصيص بالمواجهة " [6].

ثانياً: قوله تعالى: ﴿**قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ**

(1) لسان العرب: ج 2، ص 84.
(2) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ج2، ص 167، والعمدة: ابن رشيق، ص 257، دار الكتب العلمية.
(3) من بلاغة القرآن الكريم (المعاني – البيان – البديع): محمد شعبان علوان، ونعمان شعبان علوان، ص 87، ط 3، 1426هـ، 2005م .
(4) انظر: البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج 3،ص 314، ط2، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، و جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، ج1، ص212، المكتبة العصرية، بيروت، والتبيان في المعاني والبديع والبيان: شرف الدين حسين بن محمد الطيبي، تحقيق هادي عطية مطر هلالي، ص 284، مكتبة النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط 1، 1407 هـ – 1987 م، والبلاغة العربية: عبد الرحمن بن حسن الدمشقي، ص 479، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط1، 1416 هـ – 1996م .
(5) يس: (22).
(6) البرهان في علوم القرآن: ج3، ص 315.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[1] التفات من الخطاب إلى التكلم.

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾[2]هنا التفات إلى الخطاب في قوله تعالى ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ إلى الغيبة في قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾[3]" إن بقوا ولم يهلكوا لأن الله علم منهم أنهم يصرون على كفرهم .

رابعاً: قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾[4] التفات من الغيبة إلى الخطاب، " والرجوع من الغيبة إلى الخطاب إنما يستعمل للتفنن في الكلام، والانتقال من أسلوب إلى أسلوب، تطرية لنشاط السامع وإيقاظاً للإصغاء إليه " [5].

خامساً: قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[6] التفات من التكلم إلى الغيبة [7].

سادساً: قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ

---

(1) طه: (72- 73)

(2) يونس: (13).

(3) انظر: البحر المحيط في التفسير: ج6، ص 22.

(4) الفاتحة: (1-7).

(5) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ج2، ص 3، وانظر: التبيان في المعاني والبديع والبيان: ص 284، والإشارات والتنبيهات في علم البلاغة: تصنيف محمد بن علي بن محمد الجرجاني، تحقيق عبد القادر حسين، ص 56، دار نهضة مصر للطباعة، الفجالة، القاهرة.

(6) يونس: (22).

(7) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج2، ص 10.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[1] التفات من الغيبة إلى التكلم[2].

فوائد الالتفات

" للالتفات فوائد عامة وخاصة، فمن العامة : التفنن والانتقال من أسلوب إلى آخر لما في ذلك من تنشيط السامع ونظرية الكلام "[3]، " أما الفوائد الخاصة فتختلف محاله ومواقع الكلام فيه على ما يقصده المتكلم ‘ وقد أجاد الزركشي في ذكره لهذه الفوائد في كتابه البرهان في علوم القرآن ومنها [4]:

- قصد تعظيم شأن المخاطب، كقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾[5].
- التنبيه على ما حق الكلام أن يكون وارداً كقوله تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[6].
- أن يكون العرض به التتميم لمعنى وارد كقوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[7].
- قصد المبالغة كقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾[8].

---

(1) الروم: (46).
(2) الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة: ص 56.
(3) البرهان في علوم القرآن: ج3، 325 – 326، والقراءات وأثرها في علوم العربية: محمد سالم محيسن، ج 2، ص 117، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1404هـ، 1984م.
(4) انظر: البرهان في علوم القرآن: ج3، ص 223– 226.
(5) الإسراء: (111).
(6) يس: (22).
(7) الدخان: (4 –6).
(8) يونس: (22).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- قصد الدلالة على الاختصاص كقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾[1].
- قصد الاهتمام كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[2]
- قصد التوبيخ كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾[3].

(1) فاطر: (9).
(2) فصلت: (11 -12).
(3) مريم: (88 - 89).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أقسام الالتفات

المطلب الأول: الالتفات من التكلم إلى الخطاب

من أمثلته في القصص القرآني :

◈قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾[1]في الآية السابقة التفات من التكلم إلى الخطاب في قوله تعالى: ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾وهذا الخطاب موجه إلى أهل مكة على طريق الالتفات بعد تأييده بالتوكيد القسمي[2]، وجاء الخطاب بعد التكلم في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا﴾ أي أهلكنا من قد ظلم ومن لم يظلم من قوم عاد وثمود فما يعلم من أهلك من الظلمة أنه إنما أهلكهم لظلمهم أو أهلك لصلاح من لم يظلم [3]، وقيل أن هذا " الخطاب لأهل مكة على طريق الالتفات للمبالغة في الزجر " [4].

والحكمة من وراء الالتفات إلى الخطاب في الآية السابقة المبالغة في التهديد، والغرض منه أن يكون ذلك رادعاً لهم عن قولهم.

◈وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[5] تحول الأسلوب من التكلم بإنزال هذا الكتاب المبين، قرآناً عربياً على العرب، لأن لسانهم وكلامهم عربي، ليتحول الأسلوب إلى

---

(1) يونس: (13).

(2) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم(تفسير أبو السعود): أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، ج4، ص 127، دار إحياء التراث العربي، بيروت، والتحرير والتنوير: ج 11، ص 113، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق، علي عبد الباري عطية، ج6، ص 77، دار الكتب العلمية، بيروت الأولى، 1415 هـ.

(3) انظر: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، تحقيق: مجدي باسلوم، ج6، ص 17، دار الكتب العلمية ،بيروت، لبنان، ط 1، 1426 هـ - 2005 م، وزهرة التفاسير: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، ج7، 3529، دار الفكر العربي.

(4) فتحُ البيان في مقاصد القرآن: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي،قدّم له وراجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، ج6، ص 27، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنَّشْر، صَيدَا – بَيروت، 1412 هـ - 1992 م.

(5) يوسف: (2).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ وهذا الخطاب ليلفتهم إلى أنه أنزل الكتاب بلسانهم ليعقلوه ويفقهوا منه[1]، " فهو خطاب موجه لقريش ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ إذ هو لسانكم " [2]، وهنا عبر عن العلم بالعقل للإشارة إلى أن دلالة القرآن على هذا العلم قد بلغت في الوضوح حداً أن ينزل من لم يحصل له العلم منها منزلة من لا عقل له، وأنهم ما داموا عنه فهم في عداد غير العقلاء[3]، والالتفات إلى الخطاب هنا كان فيه تنويع في العبارة المثيرة لانتباه المتلقي والباعث لنشاطه في استقبال ما يوجه له، والإصغاء إليه.

◈وقوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[4] إذا نظرنا إلى هذه الآية "فهي بدأت بصيغة التكلم، وصيغة التكلم مع الغير، واقعة في الحكاية دون المحكي"[5]، حيث يتحدث أحدهما: أنه يعصر خمرًا أي عنباً، والآخر وهو الخباز تأكل الطير منه حيث تحول إلى صيغة الخطاب إلى سيدنا يوسف حيث قال تعالى: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ﴾ وهنا تعليل لعرض رؤياهما عليه واستفسارهما منه عليه السلام[6]، "حيث لم يخاطبوه بذلك دفعة واحدة، بل خوطب كل منهم في زمانه"[7].

---

(1) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ص ج15، ص 551، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1420 هـ - 2000 م.

(2) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ج3، ص 218، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى - 1422 هـ، والدر المنثور: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ج 4، ص 496، دار الفكر، بيروت.

(3) انظر: التحرير والتنوير: ج 11، ص 496.

(4) يوسف: (36).

(5) روح البيان: ج 4، 257.

(6) انظر: التحرير والتنوير: ج12، ص 270، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم(تفسير أبو السعود): ج 4، ص 276، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ج6، 430، دار الكتب العلمية - بيرو ت، ط 1، 1415هـ.

(7) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم(تفسير أبو السعود): ج 4، ص 276،روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ج 6، ص 430.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

◈وقوله تعالى:﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾[1]الالتفات في الآية السابقة من التكلم وهو الله سبحانه وتعالى يتحدث عن تسيير الجبال أي- إزالتها- من أماكنها وتسييرها كما تسير السحاب [2]، التفت الأسلوب إلى الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾" وهو خطاب موجه إلى الرسول ﷺ أو لكل من يصلح للرؤية" [3].

وفيما يبدو أن هذا الالتفات تشويق للمخاطب وتأهيبه وترهيبه من الأحداث المفاجئة وهي أن الجبال إذا أزيلت أصبحت الأرض منكشفة، وترى أهل الأرض بارزين من بطنها [4]، " وهي الحالة الثابتة من أحوال يوم القيامة " [5]

◈وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾[6]، تحول الأسلوب من المتكلم في قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ إلى الخطاب على لسان آخر يخاطبهم ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾[7]، وهذا لفت للدلالة على أن الله سبحانه وتعالى هو الذي

---

(1) الكهف: (47).
(2) انظر: فتح القدير: ج 3، 354.
(3) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج5، ص 226،فتح القدير: ج 3، 354.
(4) انظر: البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، ج7، ص 529، دار الفكر – بيروت، ط 1420 هـ.
(5) المرجع السابق: ج7، 529.
(6) الكهف: (19).
(7) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، ج 2، ص 123، دار الكلم الطيب، بيروت، ط 1، 1419 هـ – 1998 م، والوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو الحسن علي ابن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ج1، ص 656، دار القلم ، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط 1، 1415 هـ، تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي، ج 15، ص 131، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1365 هـ – 1946م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يعلمهم بأن لبثهم قد تطاول، " كما يدل على أدب بارع من الله في الرد على الأولين بأحسن أسلوب وأجمل تعبير "[1].

أستنتج من التفسيرات السابقة أن الالتفات إلى الخطاب أفاد بحكمة جليلة وهي رد علم ذلك إلى الله تعالى لأنه لما نظروا إلى أظفارهم وبشرة وجوههم رأوا فيها التغيير الشديد، فعلموا أن مثل ذلك التغير لا يحصل إلا في الأيام الطويلة.

◈وقوله تعالى: ﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾[2]" إن الانتقال من الوصف إلى الخطاب ما أسميه من التكلم إلى الخطاب يحيي المشهد ويجسمه كأنما هو حاضر اللحظة شاخص ونسمع ما يدور فيه [3].

يتضح مما سبق أن الخطاب في الآية الكريمة يرتبط مع الانتقال في طبيعة المشاهد يوم القيامة من حيث شدة الموقف والحركة التي يقوم بها البشر في ذلك الموقف العظيم، ومن جماليات التعبير في قوله تعالى: ﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ﴾ لفت لانتباههم إلى أن الرب الذي يعبده هذا النبي من سيكون العرض أمامه يوم القيامة وليس غيره.

" حيث انتقل الأسلوب إلى الخطاب في قوله تعالى: ﴿أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ وهذا الخطاب لمنكري البعث، أي ألن نجعل لكم موعداً للبعث والجزاء " [4].

◈وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾[5]"الآية السابقة فيها التفات من التكلم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا﴾" وهذا سجود

---

(1) تفسير المراغي: ج 15، ص 131، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج 2، ص 288، والبحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، ج7، ص 155، دار الفكر – بيروت، ط 1420 هـ، والتسهيل لعلوم التنزيل :أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمدبن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي، تحقيقالدكتور عبد الله الخالدي، ج1، 461، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط 1،1416 هـ، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ج 12، 32، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

(2) الكهف: (48).

(3) في ظلال القرآن:سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، ج1، ص663، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط 17، 1412 هـ.

(4) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ج1، ص 656.

(5) الكهف: (50).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تحية وتكريم لا سجود عبادة، وكان ذلاً مشروعاً في الأمم السالفة فسجدوا جميعاً إلا إبليس لم يسجد أبى واستكبر " [1].

" فأسلوب التكلم حمل في طياته معنى التوحيد لله – سبحانه – في قوله تعالى : ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ﴾ أي فسق باستحقاركم فيطرده لأجلكم" [2]، "فالخطاب في قوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ﴾ لأنه أدل على تناهي الغضب وأوجع في التبكيت "[3]، وهنا لفت الخطاب للتعجب والإنكار وكأنه يقول يابني آدم أفتتخذون إبليس وأتباعه وأولياءه وتطيعوه بدلاً من طاعتي، أي ذلك الاتخاذ منكر غاية الإنكار حقيق بأن يتعجب [4].

◈وقوله تعالى: ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [5] قُرِءت بتاء الخطاب ﴿وَمَا كُنْتُ﴾ على الالتفات من التكلم إلى الخطاب، إذ إن سياق الآية وهو قوله تعالى: ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾يقتضي التكلم، "فهو يخبرنا بأنه لم يشهد إبليس وذريته خلق السموات والأرض، ولا حتى خلق أنفسهم"[6]، فيقال﴿وَمَا كُنْتُ﴾ بضم التاء ولكن التفت إلى الخطاب لأنه موجه إلى النبيﷺ، والمقصود إعلام أمته ﷺأنه لم يزل محفوظاً من أول حياته.

" فنقول فلان يعضد فلان إذا كان يقويه ويعينه " [7]، بمعنى أنه لا يصح لك الاعتضاد بهم، وما ينبغي لك أن تعتز بهم [8].

يتضح بعد اطلاعي على بعض التفاسير أن الالتفات يشير إلى أن المراد بهم في الآية السابقة هم المضلين من نُفي عنهم إشهاد خلق السموات، وإنما كان الالتفات تنبيه بذلك على وصفهم القبيح.

---

(1) روح البيان: ج 5، ص 255،فتح القدير: ج 3، 346.
(2) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ج 12، 76.
(3) المرجع السابق، ج 12، 76.
(4) انظر: روح البيان: ج 5، ص 256.
(5) الكهف: (51).
(6) جامع البيان في تأويل القرآن: ج 18، ص 45، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ج2، 728.
(7) جامع البيان في تأويل القرآن: ج 18، ص44.
(8) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ج2، 728، القراءات وأثرها في علوم العربية: محمد سالم محيسن، ج2، ص 125

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني: الالتفات من الخطاب إلى التكلم

ومن أمثلته في القصص القرآني :

◈قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾[1]الالتفات من الخطاب في قوله تعالى ﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ أي أسرع محالاً بكم، واستدراجاً وعقوبة منكم، من المكر في آيات الله [2] إلى صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ على أنه سبحانه نزل نفسه منزلة المخاطب، والضمير في قل للمخاطب وفي رسلنا للمتكلم [3]، " وهنا تحقيق للانتقام وتنبيه على أن ما دبروا في إخفائه لم يخف على الحفظة فضلاً أن يخفى على الله تعالى "[4].

إن الالتفات إلى التكلم دلل على قدرة الله سبحانه وتعالى في حفظ كل صغيرة وكبيرة، بواسطة رسله، حيث يكتبون مكرهم، وتعرض عليهم ما في بواطنهم الخبيثة يوم القيامة، ويكون ذلك سبباً للفضيحة التامة والخزي والنكال، نعوذ بالله منه.

◈وقوله تعالى: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [5]الالتفات في الآية الكريمة من الخطاب في قوله تعالى: ﴿رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾إلى التكلم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، وكان مقتضى السياق – إن ربكم – أو – إن ربي وربكم –﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾..

وورد أن الالتفات إلى التكلم أفاد في إسناد كلمة ﴿رب﴾ إلى نبي الله هود وإلى كل مسلم ترنم بهذه الآية ليشعره بقربه من مولاه ويتلمس من خلالها رحمته التي تغمر قلبه، ولتعميق الصلة أيضاً بين العبد وربه [6].

---

(1) يونس: (21).
(2) انظر: البحر المحيط في التفسير: ج3، ص 31، جامع البيان في تأويل القرآن: ج 15، ص 49.
(3) انظر: الأثر الأدبي في اللغة، ج2، ص 77.
(4) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ج3، ص 109، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط1، 1418 هـ.
(5) هود: (56).
(6) انظر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): ج8، ص356.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وورد أيضاً أن الالتفات يفيد في الاحتراس من اللبس، وصرف تلك الصفات التي جاءت بها الآية لغير الله، فأسند ﷻ الكلمة ﴿رب﴾ إلى ضمير التكلم العائد على نبي الله دونهم [1].

إن الالتفات إلى التكلم لم يأت ليبين أن الضمير عائد على نبي الله كما ورد في التفسير الكبير، بل كان مناسباً للحكمة التي تحملها الآية وهي الدلالة على القدرة العالية والقهر العظيم وذلك لورود لفظ ﴿إن ربي على صراط مستقيم﴾ بعد الخطاب في قوله ﴿آخذ بناصيتها﴾ وهنا بين الله – سبحانه – أنه قادر عليهم ولكن لا يظلمهم ولا يفعل بهم إلا ما هو الحق والعدل، فأخذ الأسلوب بصيغة التكلم ألطف وأخف من أسلوب الخطاب في بيان عدم ظلمه لأحد.

◈وقوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾[2]الالتفات في الآية السابقة جاء في أولها بأسلوب الخطاب وهو ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ ثم انتقل في آخرها لأسلوب التكلم، ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾وكان الظاهر أن يقول ﴿إن ربكم﴾ والسر البلاغي هنا هو الإشارة إلى أن ربكم وربي واحد[3].

فالالتفات يحمل بين طياته إشارة إلى الذين سبق لهم الكفر والمعصية لله سبحانه وتعالى، فالله لا يمنع أحد من الإيمان والطاعة، لأنه تعالى رحيم ودود، يقبل التوبة من الكافر لأن رحمته وحبه لهم يوجب ذلك، وهذا قمة الكمال.

◈قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾[4] نلاحظ كيف بدأ الخطاب مع المؤمنين أسلوب فيه تخفيف ويناسب طبيعتهم ﴿رَبَّهُمْ﴾، ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ ، فهم يتوجهون إلى الله ويخافونه، "واصبر يا محمد ﴿نَفْسَكَ مَعَ﴾ أصحابك، أي احبس يامحمد مع الذين ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ

(1) انظر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): ج18، ص356.
(2) هود: (90).
(3) انظر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): ج18، ص 390، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج 2، ص 80.
(4) الكهف: (28).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿وَالْعَشِيِّ﴾"[1]، "يذكرهم إياه بالتسبيح والتهليل والتحميد والدعاء والأعمال الصالحة من الصلوات المفروضة"[2]، وهنا يأمر الله –سبحانه – الرسول ﷺ في نفسه أن يحبسها ويثبتها في تلاوته وتبين معانيه ﴿مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ شكراً لإحسانه، واعترافاً بامتنانه [3].

وقيل أن " أقل التفاتة تؤثر فيهم، أما الكفار فهم بحاجة إلى ما يروعهم ويزجرهم، وهذا ما نراه في التحول في أسلوب الخطاب من ضمير الغياب إلى ضمير المتكلم، وهذا أوقع في النفس وخاصة النفس الغافلة، فتنبه بعد غفلتها " [4]، " سواء كانوا فقراء أو أغنياء أو ضعفاء، أو أقوياء [5]، " وذكر الغداة والعشي كناية عن الاستمرار على الدعاء في جميع الأوقات " [6].

﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ فهم يتوجهون إلى الله ويخافونه وأقل التفاتة تؤثر فيهم، وأما الكفار فهم بحاجة إلى ما يروعهم ويزجرهم، وهذا ما نراه في التحول في أسلوب الخطاب، وهذا أوقع في النفس وخاصة في النفس الغافلة، ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ لفته إلى أنهم لا يريدون عرضاً من عرض الدنيا [7].

◈وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾[8] الالتفات هنا من الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ إلى صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ﴾، فظهور الضمير في﴿أَعْتَدْنَا ﴾ أي

(1) معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي): محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، ج5، ص 166، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط 4، 1417 هـ – 1997 م.

(2) معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي): ج5، ص 166، وجامع البيان في تأويل القرآن: ج 18، ص 5، والتحرير والتنوير: ج 4، ص 234.

(3) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود، ج5، ص 218، والدر المنثور: ج12، 94.

(4) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج5، ص 219.

(5) معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي): ج5، ص 166.

(6) فتح القدير: ج 1، 857.

(7) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) :، ج5، ص 166.

(8) الكهف: (29).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أرصدنا [1]، وكان مناسباً لمقام الانتقام الشديد لأن انتقام العظيم عظيم مثله [2]، " وهو من العدة للظالمين الذين كفروا بربهم وظلموا أنفسهم "[3]، ووضعوا العبادة في غير موضعها... فلهم نار جهنم... [4] غافلين، وإنا تفيد التعظيم ليلتفت الانتباه وليوقظ الغافلين، وإذ بهم يقفون بين يدي ربهم ليلاقوا جزاء ما اختاروا، حيث أوقع الضميرُ خوفاً وخشيةً ورهبةً في قلوب المؤمنين وزاد القلوب المريضة إصراراً وعناداً [5]

يستنتج مما سبق أن الالتفات من الخطاب إلى التكلم بالضمير حيث حمل الوعيد الشديد، والتأكيد والتهديد وتعليل لما يفيده من الزجر عن الكفر أو لما يفهم من ظاهر التخيير.

المطلب الثالث: الالتفات من الخطاب إلى الغيبة

ومن أمثلته في القصص القرآني :

◈قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾[6]هنا التفات إلى الخطاب في قوله تعالى ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ إلى الغيبة في قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾[7]" إن بقوا ولم يهلكوا لأن الله علم منهم أنهم يصرون على كفرهم " [8].

يظهر مما سبق أن الإيمان مستبعد منهم، والمعنى أن السبب في إهلاكهم تكذيب الرسل، فعلم الله أنه لا فائدة في إمهالهم بعد أن ألزموا الحجة ببعثة الرسل، ومثل ذلك الجزاء ويتحقق هذا الغرض بالالتفات إلى الغيبة.

---

(1) انظر: فتح القدير: ج 3، 337، وتفسير القرآن العظيم: ج3، ص 333.

(2) انظر :جامع البيان في تأويل القرآن: ج 3، ص 513.

(3) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، ج7، ص139، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط 3، 1420 هـ، البحر المحيط في التفسير: ج7، ص 139.

(4) انظر: المرجع السابق: ج7، ص 139.

(5) انظر :البحر المحيط في التفسير: ج7، ص 138، محاسن التأويل: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي تحقيق: محمد باسل عيون السود، ج7، ص 30، دار الكتب العلمية، بيروت ط1- 1418 هـ.

(6) يونس: (13).

(7) انظر: البحر المحيط في التفسير: ج6، ص 22.

(8) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج 2، ص 10، و الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ج2، 333.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

◈﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ * وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[1]

والتفات في الآية السابقة من الخطاب في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾ إلى الغائب في قوله تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ إعراضاً عنهم [2]، " وكان مقتضى السياق – إذا تتلى عليكم باستمرار الخطاب تمشياً مع سابقه ولكن العدول إلى الغيبة حقق غرضاً بلاغياً دقيقاً وقيل فيه: إن الالتفات من خطابهم إلى الغيبة إعراضاً عنهم وتوجيهاً للخطاب الذين بعث إليهم إظهار تعدد جناياتهم المضادة لما أريد منهم بالاستخلاف من تكذيب الرسول والكفر بالآيات البينات [3].

إن الالتفات إلى الغيبة في قوله تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾أي على ما لها من العظمة بإسنادها إلينا وطالما نسبت إلى الله سبحانه وتعالى إذاً لزمهم الإقرار بحقيقة القرآن ومصدره.

◈وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[4]

الالتفات في هذه الآية الكريمة مباشرة في قوله تعالى:﴿يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ﴾ وكان مقتضى الظاهر استمرار صيغة الخطاب فيأتي المقطع بهذه الصورة ﴿وجرين

(1) يونس: (14 –15).
(2) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج4، ص 123، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج 1، ص 478، اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ج 1، ص 280، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419 هـ –1998م.
(3) انظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج4، ص 280، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج 1، ص 478، اللباب في علوم الكتاب: ج10، ص 280، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ج 6، 79.
(4) يونس: (22).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بكم﴾ صيغة الغيبة " والمقصود هنا السفن " [1]، تمشيا مع ما كان من قبله من خطاب وقد عدل الحق تبارك وتعالى لأغراض بلاغية دقيقة منها: امتنان وإظهار نعمة للمخاطبين والمُسَيَرين في البر والبحر مؤمنين وكافرين، والخطاب شامل، فحسن خطابهم ليستديم الصالح على الشكر ولعل الطالح يتذكر هذه النعمة فيرجع، ولفظ (جرين بكم) لزم الذم للجميع، فالتفت عن الأول للإشارة إلى أن الاختصاص بهؤلاء الذين شأنهم ما ذكره عنهم في آخر الآية فعدل عن الخطاب العام إلى الذم الخاص ببعضهم وهم الموصوفون بما أخبر به عنهم [2].

وقيل أن سر الالتفات في الآية الكريمة أنهم وقت الركون حضروا لأنهم خافوا الهلاك وغلبت الرياح، فخاطبهم خطاب الحاضرين، ثم لما جرت الرياح بما تشتهي السفن، وأَمِنُوا الهلاك لم يبق حضورهم كما على عادة الإنسان أنه إذا أمن غاب قلبه عن ربه، فلما غابوا ذكرهم الله بصيغة الغائب [3].

وقيل إن هذا الالتفات جاء ليبين أن الحديث لا يختص بكل المخاطبين، بل بفريق منهم، فمن الحكمة الحديث عنهم بأسلوب الحديث عن الغائب، مع ما في الحديث عن الغائب من الإعراض المشعر بالتأنيب [4].

وقيل " التفت من الخطاب إلى الغيبة لحكاية حالهم لغيرهم، والتعجب من كفرهم، وفعلهم واستدعاء الإنكار منهم، فلو استمر على خطابهم لفاتت هذه الفائدة [5].

وقيل: إن سر الالتفات هو المبالغة... كأنه يذكر لغيرهم حالهم، ليعجبهم منها، ويستدعي منهم الإنكار والتقبيح [6].

وقيل: إن سر الالتفات إلى الغيبة دليل المقت والتبعيد والطرد، وهو اللائق بحال هؤلاء؛ لأن من كان صفته أن يقابل إحسان الله تعالى إليه بالكفر كان الأليق به ما ذكرناه [7].

" وكان الحال الموجب للإعراض عنهم كأنه يذكر لغيرهم مساوئ أحوالهم ليعجبهم منها ويستدعي الإنكار والتقبيح "[8].

---

(1) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج4، ص 134.

(2) البرهان في علوم القرآن: ج 3، ص 318.

(3) انظر: المرجع السابق، ج 3، ص 318.

(4) انظر: البلاغة العربية: عبد الرحمن بن حسن حنبكة الدمشقي، ص 489.

(5) انظر: القراءات وأثرها في علوم العربية: محمد سالم محيسن، ج2، 95،

(6) انظر: البحر المحيط في التفسير: ج6، ص 33، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ج2، 338.

(7) انظر: فتح القدير: ج 2، 494، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): ج17، ص134.

(8) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج2، ص 123

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يظهر مما سبق أن الآراء تعددت حول الغرض البلاغي لهذا الالتفات وعلى كل حال فالالتفات هنا يفيد استدعاء الإنكار والتقبيح لهم، إشارة منه على سبيل المبالغة إلى أن ما يعتمدونه بعد الإنجاء في الأرض بغير الحق مما ينكر ويقبح.

◈وقوله تعالى: ﴿فَذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ * كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[1] الالتفات في الآية الكريمة في قوله تعالى:﴿الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بصيغة الغيبة بعد قول الله تعالى: ﴿فَذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمُ ﴾ بخطاب مباشر يحوي التقرير والمبالغة في التذكير بأمر العبادة بقوله ﷻ فاعبدوه [2]، "وكان مقتضى السياق – كذلك حقت كلمة ربكم عليكم أنكم لا تؤمنون"[3].

فأسلوب القرآن الكريم بهذا الالتفات الرائع حقق أغراضاً بلاغية عديدة منها: في قوله تعالى: ﴿فَذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمُ﴾ هنا خطاب عام لكل بر وفاسق على طول الزمان، وهو يحتاج إلى مواجهة لما فيه من تقرير للحق يحمله هذا المقطع من الآية الكريمة، فمعناه أن من قدرته ورحمته [4] أنه ربكم الحق الثابت بربوبيته ثباتاً لا ريب فيه، وإذا ثبت أن هذا هو الحق، وجب أن يكون ما سواه ضلالاً .

" لكن الفاسقين انصرفوا عنه رغم وضوحه إلى الظلال فاحتاج الموقف إلى انصراف الكلام من مخاطبتهم إلى الحكاية عنهم إعراضاً منه سبحانه لهذه الفئة الضالة فأكد – سبحانه – بأنه كما قد صرف هؤلاء المشركين عن الحق إلى الضلال كذلك حقت كلمة ربك ووجب عليهم قضاؤه وحكمه"[5].

لهذا استحقوا صرف الخطاب عنهم ونبذهم من الفئة الأولى المخاطبة والتوجه به إلى سيد المخاطبين إعراضاً عنهم لتشنيع فعلهم وجعل حالهم حكاية تروى على لسان نبيه وحبيبه محمد ﷺ، وهو الجدير بكلمة ربك.

---

(1) يونس: (32).
(2) انظر :روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ج 6، 63.
(3) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ج2، 345، والدر المنثور: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ج4، 363، دار الفكر، بيروت.
(4) انظر :مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): ج2، ص 17.
(5) البحر المحيط في التفسير: ج6، ص53، وجامع البيان في تأويل القرآن: 15، ص 85، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ج2، 345.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

◈وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾[1] والالتفات هنا في قوله تعالى: ﴿مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ بصيغة الغيبة عن المجرمين، وذلك بعد مخاطبتهم في أول جملة القول ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ﴾ وكان مقتضى الظاهر ماذا تستعجلون منه باستمرار المخاطبة، ولكنه سبحانه أعرض عنهم، وجعلهم في عداد الغائبين، وذلك للدلالة على أنهم لجرمهم ينبغي أن يفزعوا من مجيء العذاب لا أن يستعجلوه [2]، " وليس شيء من العذاب يستعجل به لمرارته وشدة إصابته فهو مقتضٍ لنفور الطبع منه " [3].

" ويقصد بهذا الالتفات تنديمهم على استعجالهم لنا عساه هالكهم، فستندمون على الاستعجال أو تعرفون الخطأ منكم فيه "[4]، ويتلخص غرض الالتفات في الآية السابقة بأن " الغرض هو المبالغة في إنكار استعجاله بإخراجه من حيز الإمكان. [5].

◈وقوله تعالى: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَنْ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾[6] في الآية السابقة التفات من الخطاب إلى الغيبة متمثلاً في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ﴾ والفاء هنا فصيحة، والخطاب للنسوة، والإشارة إلى يوسف بالعنوان الذي وصفنه به الآن من الخروج في الحسن والجمال عن المراتب البشرية [7]، هذه كانت صيغة الخطاب التي التفت منها إلى الغيبة في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَعْصَمَ﴾.

---

(1) يونس: (50).

(2) انظر:إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج4، ص 145، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ج2، 351، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ج3، ص 115، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط1، 1418 هـ.

(3) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، ج16، ص214، دار القلم، دمشق.

(4) فتح القدير: ج 2، 513.

(5) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج4، ص 152.

(6) يوسف: (32).

(7) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج4، ص 137، وتفسير الشعراوي – الخواطر: محمد متولي الشعراوي، ج 11، ص 6938.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" والحديث عن الاستعصام بالغائب لفت إلى مبالغة يدل على الامتناع البليغ، والتحفظ الشديد، كأنه في عصمة، وهو يجتهد في الاستزادة منها " [1].

◈وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[2]" التفت من الخطاب الموجه إلى سيدنا يوسف عليه السلام بأمره وهذا فيه خطاب تحنين، خطاب أب لابنه ليدل على القرب من القلب "[3].

يظهر مما سبق أنه يأمره بأن لا يقصص على إخوته رؤياه، فالالتفات إلى الغيبة متمثلاً في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ حيث عقب سيدنا يعقوب على ذكر ابنه، وفي هذا القول ما يثير في نفس يوسف عليه السلام حقداً على إخوته وكراهية لهم.

" فأراد أبوه أن ينسب أسباب الكيد إلى عداوة الشيطان للإنسان، ليؤكد ليوسف عليه السلام أن كيد إخوته – فيما لو حدث – ليس صادراً عن طبع فيهم وسجية، بل إنه من وساوس الشيطان، فيدفع بذلك ما قد يثار في نفس يوسف على إخوته " [4]، " وظاهرة العداوة فلا يألوا جهداً في إغواء إخوته وإضلالهم وحملهم على ما لا خير فيه... فقال ليوسف إن الشيطان يحملهم على ذلك " [5]، وهذا كان مناسباً للالتفات إلى الغيبة ليناسب المقام .

لقد حظي هذا الالتفات نصيباً كبيراً من إعجابي وتعمقت في تفسيره لما حمل من حكمة بليغة وهي إظهار أن الشيطان عدو مبين ظاهر العداوة لما فعل بآدم عليه السلام وحواء فلا يألو جهداً في تسويلهم وإثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد، وهذا ما أراد أن يوصله أبوه ليوسف بنسب الكيد لعداوة الشيطان، حتى لا يكره يوسف إخوته.

◈وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾[6] إن صيغة الخطاب في الآية الكريمة موجهة إلى النبي ﷺ في إشارة لما سبق من نبأ يوسف، لما له في جميع ما لا يتناهى من المحاسن والأسرار حتى صار معجزاً بمعنى

---

(1) التحرير والتنوير: ج 12، ص 264، زهرة التفاسير: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، ج7، ص 3820، دار الفكر العربي.

(2) يوسف: (5).

(3) تفسير الشعراوي – الخواطر: ج 11، ص 6847.

(4) التحرير والتنوير: ج 12، ص 214.

(5) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج4، ص 253.

(6) يوسف: (102).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نوجبه إليك ونعلمك به، لما فيه من العبرة والاتعاظ [1]، وتمثل الالتفات إلى الغائب في الضمائر التالية (أَجْمَعُوا – أَمْرَهُمْ – وَهُمْ) لتدل على آيات سابقة وهي ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ * وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ * أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[2]وفحواها إلزام المكذبين والمعنى ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك إذ لا سبيل إلى معرفتك إياه سوى ذلك، إذ عدم سماعك ذلك من الغير وعدم مطالعتك للكتب أمر لا يشك فيه المكذبون [3]، " ولتثبيت فؤادك أيضاً وتشجيعاً لقلبك ولتصبيرك على ما نالك من الأذى من قومك "[4].

◈قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[5]

الالتفات في الآية الكريمة من الخطاب في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ " والمقصود بهذا هو البعث والجزاء على الأعمال " [6]، حيث يخبرهم بأنه وعدهم كون هذا اليوم فصدقهم، ووعدهم أنه لا يكون فأخلفهم الوعد، وما كان له من سلطان، أي حجة [7]، ثم انتقل الأسلوب إلى الغيبة في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَلُومُونِي

(1) فتح القدير: ج 3، 69، محاسن التأويل: ج6، ص 224.
(2) يوسف: (103 –107).
(3) انظر :إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج4، ص 309.
(4) جامع البيان في تأويل القرآن: ج 16، ص 283.
(5) إبراهيم: (22).
(6) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ج2، ص 550.
(7) انظر:زاد المسير في علم التفسير: زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ج 2، 290، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1422 هـ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، 3، ص 510، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1،1418 هـ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ فكان مناسباً لأن ينتقل الأسلوب إلى الغيبة لأنه يتحدث عن نفسه في عدم لومه.

" فعليهم لوم أنفسهم لأن الإنسان هو الذي يختار الشقاوة أو السعادة لنفسه، وليس من الله إلا التمكين " [1].

وورد أيضاً أن الالتفات هنا دفعه قبل وقوعه، وأنه يتوجه إليه بطريقة التعريض، فجملة " وقال الشيطان" عطف على جملة " فقال الضعفاء " [2].

◈وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾[3]الالتفات في الآية السابقة من الخطاب إلى الغيبة متمثلاً أسلوب الخطاب في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ﴾ إلى الغيبة في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ وكان مقتضى السياق – وما يخفى عليك من شيء – ولكن الالتفات إلى الغيبة هنا مناسبٌ للسياق وأبلغ لحاجة المعنى إلى لفظ الجلالة، وإظهار العبودية لله والخشوع لعظمته والتذلل لعزته.

فقد علت نفس سيدنا إبراهيم عليه السلام، وارتفع إلى آفاق السماء، وعلم أن الذي يناجيه بهذا الدعاء ويتضرع إليه إنما هو الله الذي لا يخفى عليه من شيء في الأرض ولا في السماء، فقد قال أحد المفسرين " إنه كلام إبراهيم لاكتناف ما قبله وما بعده بكلام إبراهيم " [4].

فكان الالتفات من الخطاب قوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[5] للإيذان بعمومه لأنه ليس بشأن يختص به أو بمن يتعلق به شامل لجميع الأشياء، فالمناسب ذكره تعالى بعنوان مصحح لمبدأ الكل [6].

---

(1) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ج2، ص 550.
(2) انظر: التحرير والتنوير: ج 5، ص 43.
(3) إبراهيم: (38).
(4) انظر: البحر المحيط في التفسير: ج6، ص 446.
(5) الملك: (14).
(6) انظر:إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج5، ص 53.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد جاء الالتفات إلى الغيبة للدلالة على عظمة الخالق سبحانه وتعالى وكبريائه وإحاطته للأمور كافة، ليس هذا فحسب إنما أيضاً للمبالغة في هذه القدرة، ولهذا جاء الالتفات والله أعلم.

◈وقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾[1]" هذا شروع في بيان أحداث قصة الكهف، وهي القصة الأولى في قصص سورة الكهف، وإنما قدمت لأهميتها، لتعلقها بأعظم شيء هو الإيمان... فما نلاحظه أن (أَمْ) منقطعة مقدرة ببل التي هي الانتقال من حديث إلى آخر، لا للإبطال "[2]، و﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ يعني: يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا أي ليس أمرهم عجيباً في قدرتنا وسلطاننا، فهنا خطاب موجه إلى سيدنا محمد ﷺ[3]، "حيث ظهر الالتفات من الخطاب إلى الغيبة في الآية السابقة ليلفت القارئ أن الله – سبحانه – أتاه من العلم والسنة والكتاب أفضل من شأن أصحاب الكهف[4]والرقيم[5].

وقيل الغرض من الالتفات إلى الغيبة هو لفت النبي ﷺ بأنهم ليسوا بأعجب من آياتنا، فإن ما خلقت من السموات والأرض وما فيهن من العجائب أعجب [6].

وهنا " لم ينه عن التعجب، إنما أراد أن يبين له أن كل آياتنا كذلك " [7]، وقيل " الالتفات جاء للفت عقول السائلين عن الاشتغال بعجائب القصص إلى أن الأولى لهم الاتعاظ بما فيه العبر والأسباب وآثارها " [8].

يتضح مما سبق أن الحكمة من الالتفات إلى الغيبة إثبات أن كل آيات الله عجبا، فإن من كان قادراً على تخليق السموات والأرض ثم يزين الأرض بأنواع المعادن والنبات والحيوان ثم

---

(1) الكهف: (9).
(2) البحر المحيط في التفسير: ج7، ص 141، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج5، ص 273.
(3) انظر :إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج5، ص 309.
(4) الكهف: هو الغار في الجبل / انظر: تفسير القرآن العظيم: ج 5، ص 333.
(5) الرقيم: هو لوح مكتوب فيه أسماء أصحاب الكهف وقصصهم / انظر: تفسير القرآن العظيم: ج 5، ص 139.
(6) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج5، ص 206.
(7) البحر المحيط في التفسير: ج7، ص 141.
(8) التحرير والتنوير: ج 8، ص 333.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يجعلها بعد ذلك صعيداً خالية، كيف يستبعد من قدرته وحفظه ورحمته حفظ طائفة مدة ثلاثمائة سنة وأكثر نوم، وهنا تظهر قدرة الله الخارقة.

◈وقوله تعالى: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا﴾[1] بدأت الآية القرآنية بالخطاب في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ خطاب من بعضهم لبعض، أي إذا اعتزلتم أيها الفتية قومكم الذين اتخذوا من دون الله آلهة [2]، والاعتزال يشمل مفارقة أوطان قومهم ومعتقداتهم، فهو اعتزال جسماني وقلبي، و(مَا) معطوف على المفعول في اعتزلتموهم أي واعتزلتم معبودهم، وهنا التفت إلى الغائب للتنبيه للاعتزال باستثناء متصل إلا الله، وإن كان قومهم يعبدون إلا الله، " والمقام كان مناسباً للفت الخطاب إلى الغيبة في الحديث عن هؤلاء الفتية " [3]، لأنهم كانوا يعبدون الله ويعبدون آلهة فاعتزلت الفتية عبادة تلك الآلهة ولم تعتزلوا عبادة الله [4].

◈وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾[5] "الخطاب موجه للرسول ﷺ أو لكل أحد ممن يصلح للخطاب، وليس المراد به الإخبار بوقوع الرؤية تحقيقاً، بل الإنباء بكون الكهف بحيث لو رأيته ترى الشمس"[6].

ويبدو أن استخدام ضمير المخاطب المفرد يعيد استحضار اللحظة الزمنية والمكانية ليصبح المتلقي مطالباً بتوجه الحدث توجيهاً خاصاً يصب في غايات القص القرآني، أي إدراك قدرة الخالق والإيمان الجبارة.

---

(1) الكهف: (16).
(2) جامع البيان في تأويل القرآن: ج 17، ص 617.
(3) البحر المحيط في التفسير: ج7، ص 150.
(4) التحرير والتنوير :ج 11، ص 87.
(5) الكهف :(17).
(6) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج5، ص 211، والبحر المديد في تفسير القرآن المجيد: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، ج5، ص 230، حسن عباس زكي، القاهرة، ط1419 هـ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالالتفات هنا من الخطاب في قوله تعالى ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ﴾ إلى الغيبة فيه لفت إلى ما في حالهم من العبرة لمن لو رآهم من الناس مدمج فيه بيان لكرامة أهل مكة عند الله سبحانه وتعالى قبل أن سدد قيانوس باب الكهف وكذلك بيان حقيقة التوحيد وعظيم قدرة الله في شأنهم، وهو تعجيب من حالهم لمن لو رآه من الناس فهي خرق للعادة [1].

◈وقوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾[2] الآية السابقة بدأت بخطاب موجه لكل أحد، أي تظنهم يا مخاطب أيقاظاً لانفتاح أعينهم، وهم رقود مستغرقون في النوم، بحيث لا ينبههم صوت [3].

ثم التفت الأسلوب في الآية الكريمة إلى صيغة الغائب في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾ وهذا انتقال فيه من العبرة لمن رآهم من الناس [4]، " وهم مفتحة أعينهم للهواء ليكون أبقى لها، ولكثرة حركاتهم وتقلباتهم بحسب ما ينفعهم كما يكون النائم " [5].

يستنتج مما سبق أن الالتفات إلى الغائب أشعرنا ببيان لكرامتهم وعظيم قدرة الله في شأنهم، وهو تعجيب أيضاً من حالهم لمن لو رآهم من الناس على هذه الشاكلة في الكهف.

◈وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾[6] كان بأسلوب الخطاب الموجه للمؤمنين إلى الغيبة لتأكيد الإنكار وتشديده، و﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ﴾ أي الواضعين للشيء في غير موضعه ﴿بَدَلًا﴾ من الله سبحانه وتعالى، وكان الالتفات إلى

---

(1) انظر: صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، ج2، ص 170، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1417 هـ - 1997 م، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: ج5، ص 225، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج5، ص 211، والتحرير والتنوير: ج 15، ص 280، وروح البيان: ج 5، ص 255.

(2) الكهف: (18).

(3) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج5، ص 212، والدر المنثور: ج5، 372، ومحاسن التأويل: ج7، ص 12.

(4) التحرير والتنوير: ج 15، ص 280.

(5) محاسن التأويل: ج7، ص 12، التحرير والتنوير: ج 15، ص 280.

(6) الكهف: (50).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الغيبة وضعت موضع الضمير المضمر من الإيذان بكمال السُخط والإشارة إلى أن فعلوه ظلم قبيح[1]، "لأنهم الواضعون للشيء في غير موضعه المستبدلون بطاعة ربهم الشيطان، فبئس ذلك المبدل الذي استبدلوه عن الله سبحانه"[2]، "وكان من المناسب أن ينتقل من الخطاب إلى الغيبة حتى على ليدل على بئس الاختيار بأخذ الشيطان وذريته أولياء لهم من دون الله"[3].

"وذكر المقام ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ بعد ذكر القيامة وأهوالها ومصير كل من الفريقين السعداء والأشقياء"[4].

◈وقوله تعالى: ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾[5] بدأت الآية الكريمة بصيغة الخطاب في قوله تعالى: ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ ثم التفتت إلى الغيبة في قوله تعالى: ﴿قَالَ انْفُخُوا﴾، وإذا لاحظنا أن الحديث الذي بدأ بالخطاب كان الحضور بارزاً فيه لذي القرنين في أحداث المشهد.

" حيث كان في ذلك الوقت مشغولاً بالتسوية بين طرفي الجبلين " [6]، وبعد الانتهاء من تسوية الجبلين عاد الحضور مرة أخرى ﴿قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾. إن الحضور يعيد القوة في الظهور وهذا ما يضفيه أسلوب الالتفات من جمال على النص وظلاله.

◈وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ * وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾[7]

(1) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج5، ص 228.
(2) فتح القدير: ج 3، 346.
(3) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلى اللويحق، ج1، ص 479، مؤسسة الرسالة، ط 1، –2000 م.
(4) محاسن التأويل: ج7، ص 47، وتفسير القرآن العظيم: ج5، ص 169.
(5) سورة الكهف: (96).
(6) معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي): ج5، ص 205.
(7) لقمان: (30 – 31).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"الالتفات في الآية السابقة من الخطاب في قوله تعالى:﴿لِيُرِيَكُمْ﴾ إلى الغيبة في قوله﴿غَشِيَهُمْ﴾ " [1].

فلما تقدم ذكر جرى الفلك في البحر، وكان في ذلك ما لا يخفى على راكبه من الخوف، وتقدم ذكر النعمة، ناسب الختم بالصبر، وبالشكر على ما أنعم الله به [2]، ثم تحولت الصيغة إلى الغيبة في قوله تعالى ﴿غَشِيَهُمْ﴾ وذلك لحكمة رائعة متمثلة برسم صورة ذلك الموج بصورة تبعث الخوف والرهبة الشديدة [3].

المطلب الرابع: الالتفات من الغيبة إلى الخطاب

ومن أمثلته في القصص القرآني :

◈قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [4]في الآية السابقة التفات من الغيبة إلى الخطاب في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، وفي هذا الالتفات إنكار وتوبيخ وتقريع [5].

" حيث أظهر الله سبحانه وتعالى أنه هو الخالق القادر على كل شيء، ومع ذلك تستبعدون أن يكون الرسول بشراً، بمعنى فهلا تذكرتم قدرة الله وحكمته حتى تثوبوا إلى رشدكم"[6]. " إذن

(1) البحر المحيط في التفسير: ج8، ص 423، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي المسماة: عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي، ج7، ص 143، دار صادر، بيروت.

(2) انظر: البحر المحيط في التفسير: ج8، ص 423.

(3) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ج 20، ص 56، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج4، ص 217.

(4) يونس: (3).

(5) فتح القدير: ج 7، 23.

(6) التفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي، ج 4، ص 234، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يفيد الالتفات هنا الحض على التدبر والتفكر في الدلائل الدالة على ربوبيته وإمحاض العبادة له "[1].

◈وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾[2] الالتفات في قوله تعالى: ﴿مَا تَمْكُرُونَ﴾ بصيغة الخطاب، وذلك بعد ورود ذكرهم بصيغة الغائب في أول الآية في قوله تعالى: ﴿الناس﴾ وكذا في ﴿مَسَّتْهُمْ﴾ وكذا في ﴿لَهُمْ﴾ عدة مواضع تؤكد بعضها بعضاً، كلها بضمير الغيبة ثم يتحول الأسلوب إلى الخطاب المباشر في قوله تعالى: ﴿تَمْكُرُونَ﴾[3].

" والخطاب هنا مبالغة لهم في الإعلام بحال مكرهم والتفاتاً لقوله ﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ أن ما يأتيهم من العقاب أسرع في إهلاكهم مما أتوه من المكر في إبطال آيات الله [4]، " أي قل لهم فناسب الخطاب "[5].

◈وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[6] هنا التفات من الغيبة في أول الآية ﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ﴾ بمعنى أن الله أنجاهم من هذه المحنة التي وقعوا فيها، وأجاب دعاءهم لم يفعلوا بما وعدوا أنفسهم [7]، " إذ هم يبغون بغير الحق، فإن هذا ليس من شيم المؤمنين فتمحض ضمير الغيبة هذا للمشركين، وهذا ضرب من الالتفات لم ينبه عليه أهل المعاني وهو كالتخصيص بطريق الرمز"[8]، "ومن الغيبة كان الالتفات إلى الخطاب، وكان مقتضى السياق – إنما بغيهم على أنفسهم – ﴿فنبئهم بما كنتم

(1) البرهان في علوم القرآن: ج 3، ص 317.
(2) يونس: (21).
(3) انظر: القراءات وأثرها في علوم العربية: محمد سالم محيسن، ج 2، ص 101.
(4) انظر: التحرير والتنوير: ج 11، ص 31، ومحاسن التأويل: ج6، ص 16.
(5) البحر المحيط في التفسير: ج6، ص30، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ج6، ص167.
(6) يونس: (23).
(7) انظر: التحرير والتنوير: ج 11، ص 135، فتح القدير: ج 2، 495.
(8) زهرة التفاسير: ج7، ص 3546.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعملون﴾" [1]، ولكنه سبحانه وتعالى جعل النداء عامة لكل الناس لعلمه السابق بأن النفس أمارة بالسوء، حيث خاطب الناس كافة بهذا النداء ليحذرهم جميعاً، وكان يحمل هذا الالتفات بين طياته تحذيراً للمؤمنين وزجراً للكافرين، ونبه أيضاً بالمواجهة والتصدي لبيان شرهم [2].

"وكأنه يقول لمن أساء: سأضربك بما صنعت، وهذا فيه أشد وعيد، وأفظع تهديد "[3].

◈وقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[4]" الالتفات من صيغة الغائب في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يعني المشركين"[5] إلى الخطاب في قوله ﴿تُرْجَعُونَ﴾ وكان مقتضى السياق – و﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، ولكن صيغة الخطاب أبلغ في المواجهة بهذا المصير المحتوم تفيد أيضاً عمومية الزجر.

" ففي هذا الخطاب إفادة بتنبيههم لبيان قدرة الله، وبيان عظم ملكوته ونفاد وعده"[6]، " وأنه لا يتعذر عليه فعل ما أراد فعله من إحياء هؤلاء المشركين إذا أراد إحياءهم بعد مماتهم "[7].

إن الالتفات إلى الخطاب في قوله تعالى ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ فيه نبرة تهديد أو إشعار بالخوف لأن مرجعه وجزائه عند الله – سبحانه – فيخاف ويرجى.

◈وقوله تعالى: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[8] الالتفات في هذه الآية أنه خاطبهم سبحانه وتعالى بعد ذكرهم عن طريق الغيبة في قوله تعالى:﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾

---

(1) المرجع السابق، ج 2، 3514.

(2) انظر: فتح القدير: ج 2، 496، ومحاسن التأويل: ج 6، ص 17، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ج 6، 93.

(3) زهرة التفاسير: ج7، ص 3546.

(3) المرجع السابق، ج 2، 3514، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج4،ص 135.

(4) يونس: (55 – 56).

(5) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ج 2، ص 104.

(6) التفسير الوسيط للقرآن الكريم: ج 7، ص 87.

(7) جامع البيان في تأويل القرآن: ج 15، ص 104، اللباب في علوم الكتاب: ج 10، ص 356.

(8) يونس: (68).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولو سار السياق على نفس النمط لكان – إن عندهم من سلطان بهذا أيقولون على الله ما لا يعلمون – استكمالاً لما بدأت به الآية ولكن الالتفات إلى مخاطبتهم، المزيد من المبالغة في إلزامهم وإفحامهم بذنبهم الذي افتروه على الله [1]، وتقريعهم بهذا التساؤل المفحم بقوله عز وجل من قائل: ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وفيها مزيد من التوبيخ والتقريع على جهلهم واختلافهم، وفيه تنبيه على أن كل مقالة لا دليل عليها، فهي جهالة وأن العقائد لا بد لها من برهان قطعي، وأن التقليد بمعزل من الاعتداد به [2].

◈وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾[3] " الالتفات في قوله تعالى: ﴿أَبْلَغْتُكُمْ﴾ بصيغة الخطاب وذلك بعد ذكرهم الغيبة في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ وكان مقتضى السياق ﴿قد أبلغكم﴾ " [4].

ولكنه – سبحانه – نقلنا مباشرة إلى المشهد ليعطي الصورة روح الحياة، ويجعل المتلقي داخل دائرة هذا التبليغ فيتحمل تبعيته، قال ابن عطية " قرأ الجمهور ﴿تولوا﴾ بضم التاء واللام [5]، وعلى هاتين القرآءتين فلا التفات ولكنه استدراك.

وقال " يحتمل أن يكون ﴿تولوا﴾ فعلاً ماضياً ويجيء في الكلام رجوع من الغيبة إلى الخطاب، أي فقل: قد أبلغكم " [6].

وبعد اطلاعي استنتج أن قوله تعالى: ﴿أَبْلَغْتُكُمْ﴾ التفات للخطاب ويحمل معنى التهديد والوعيد بمعنى فقد أبلغتكم وما أرسلت، فقد أديت ما علي من الإبلاغ وإلزام الحجة، فلا تفريط مني ولا عذر لكم فقد أبلغتكم ما أُرسلت به إليكم.

---

(1) انظر :روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ج 6، ص 147، تفسير المنار: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، ج11، ص 456، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م.

(2) انظر :إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج، ص 163.

(3) هود: (57).

(4) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ج3، ص 182.

(5) انظر: المرجع السابق، ح3، ص 183.

(6) المرجع السابق، ج3، ص 183.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

◈وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[1] هنا أسلوب فيه التفات من الغائب إلى الخطاب ﴿تُنَبِّئَنَّهُمْ﴾ والنبأ عادة ذو فائدة عظيمة يحض به علم أو غلبة الظن.

فلقد أوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبيه يوسف عليه السلام أن ينبأ إخوته ﴿بأمرهم هذا﴾ أي يفعله هذا الذي فعلوه به ﴿وهم لا يدرون﴾ بهذا الوحي وإعلامه إياه بذلك، ومعناه وهم لا يشعرون أنك يوسف [2]، " .

◈وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[3] الالتفات من الغيبة في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ﴾ وهنا إخبار عن سيدنا يوسف عليه السلام عندما دخل إليه منفرداً معه ضمه إليه وأنزل معه [4]، إلى الخطاب في قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا أَخُوكَ﴾ هنا لفت لما قال يوسف لأخاه ﴿إِنِّي أَنَا أَخُوكَ﴾ بعد هذا الفراق الطويل، وأنهما شقيقان، " لأن حقد إخوتهم عليهم جعلهما ينحازان في منحاز واحد من قبل إخوتهم "[5]، فبهذا يكون " لفت انتباه بقوله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا أَخُوكَ﴾ بدل من أخيك يوسف "[6].

◈وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا

---

(1) يوسف: (15).

(2) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، ج 15، ص 575، والكشف والبيان عن تفسير القرآن: ص 201.

(3) يوسف: (69).

(4) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل ج 2، ص124، والجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ج9، ص 229، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط2، 1384هـ – 1964 م، وزاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ج 1، 290، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1422 هـ، أوضح التفاسير: محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب، ج1، ص 290، المطبعة المصرية ومكتبتها ط 6، رمضان 1383 هـ – فبراير 1964 م.

(5) زهرة التفاسير: ج7، ص 3843.

(6) فتح القدير: ج 3، 50.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿تَعْقِلُونَ﴾[1]" الالتفات في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ وذلك بعد الغيبة في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾"[2]، " والمقصود هنا هؤلاء المشركون المنكرون لنبوتك في الأرض"[3].

يظهر مما سبق أن وجود هذا الخطاب أحدث هزة نفسية قوية للمؤمنين الواقفين على الآية زمن النبي ﷺ إلى أن تقوم الساعة، فالخطاب هو الأدعى لأسلوب الدعوة إلى الله.

" والتحذير مما وقع فيه أولئك الأقوام فيصيبهم ما أصابهم " [4]، " خاصة إذا كذبوا رسلنا، فنحل بهم عقوبتنا، فنهلكهم، وننج منها رسلنا وأتباعنا، فيتفكروا في ذلك ويعتبروا " [5].

◈وقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ * رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾[6] الالتفات في قوله تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي﴾ بصيغة الخطاب وذلك بعد ذكره – سبحانه – بصيغة الغيبة عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي﴾ ونكتته أنه عليه السلام لما تذكر أن ربه ﷻ سميع الدعاء شرع في مناجاته ودعائه بما يريد [7]، وكان الخطاب في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ وهي للمبالغة العاملة عمل الفعل، أضيف إلى مفعوله بإسناد السماع إلى الله تعالى مجازاً وهو مع كونه من تتمة الحمد والشكر، فهو له تعالى بأن ذلك الجميل سنته المستمرة تعليل على طريقة التذييل للهبة التي وهبه إياها، وفي ذلك إيذان بتضاعيف النعمة فيها، حيث وقعت بعد الدعاء بصيغة الغيبة في قوله تعالى: ﴿وَهَبَ لِي﴾ من الصالحين فاقترنت الهبة بقبول الدعوة [8].

---

(1) يوسف: (109).
(2) فتح القدير: ج 3، 42.
(3) زاد المسير في علم التفسير: ج 2، 477، وجامع البيان في تأويل القرآن: ج 16، ص 293، والكشف والبيان عن تفسير القرآن: ج5، ص 264.
(4) جامع البيان في تأويل القرآن: ج 16، ص294.
(5) التحرير والتنوير ج 13، ص 69.
(6) إبراهيم: (39–40).
(7) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ج2، ص 561.
(8) انظر: التحرير والتنوير: ج 13، ص 346، والتفسير المظهري: 5، ص 278، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج5، ص 54، والبحر المديد في تفسير القرآن المجيد: ج3، ص 68.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

◈وقوله تعالى: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آَتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾[1]، إذ ظرف يدل على وقت مضى، وهو ظرف ل (عجبا)، وهو تفصيل للأمر العجيب، حيث ذكر مادة الإيواء (أوى) دون الذهاب أو الخروج، ودلالة على الحاجة للمأوى[2]، " ثم التفت من الغائب لأحداث مضت إلى الخطاب ﴿رَبَّنَا آَتِنَا﴾ دلالة على المبادرة بالابتهال والتضرع لله سبحانه وتعالى "[3]، والرجاء من الله سبحانه وتعالى خاصة وأن الطلب يستوجب المغفرة والرزق والأمن من الأعداء [4]، " والتيسير لما يبتغي من رضاه وطاعته، وسداد إلى العمل الذي يحبه الله تعالى، وأن يرزقهم المغفرة [5].

وقيل " نخبرهم بالحق أي قصصناه بالحق أو ملتبساً بالحق، وهنا حدث التفات من الغيبة إلى الخطاب في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آَمَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾ والجملة مستأنفة لتقدير سؤال والفتية جمع قلة "[6]. وقيل: إن الصيغة جاءت بأسلوب الغائب ليظهر الله سبحانه وتعالى أنهم كانوا على هذه الصفة حين أووا [7].

إن الالتفات يفيد هنا لفتاً لعقول السائلين عن الاشتغال بعجائب القصص إلى أن الأولى لهم الاتعاظ مما فيها من العبر والأسباب وآثارها، ولذلك ابتدئ ذكر أحوالهم بقوله تعالى:﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾، "فاعلم الناس بثبات إيمانهم بالله ورجائهم فيه"[8].

◈وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾[9]"التفت

(1) الكهف: (10).
(2) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ج2، ص 705.
(3) التحرير والتنوير: ج 15، ص 266.
(4) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج5، ص 206.
(5) فتح القدير: ج 3، 324.
(6) التحرير والتنوير: ج 15، ص 259.
(7) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ج 12، 17.
(8) زاد المسير في علم التفسير: ج 1، 294، وتفسير المراغي: ج15، ص 122.
(9) الكهف: (50).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخطاب من الغيبة في قوله تعالى :﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ إلى الخطاب في قوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ﴾ "فهذا خطاب لآدم عليه السلام وذريته، والهاء في الموضعين لإبليس"[1].

فهنا يوضح الله سبحانه وتعالى أن السبب في خطيئته هو الافتخار والتكبر على الضعفاء، فلم يكن صلاحه مرجواً، ثم سبب عن هذا ما هو جدير بالإنكار، فقال تعالى في أسلوب الخطاب ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ﴾ لأنه أنص على المقصود من التوحيد ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ﴾ أي لا يفسق باستحقاركم فيطرده لأجلكم فيكون ذلك سبباً لأن تتخذوه وذريته شركاء لي [2].

لقد أفاد الالتفات الإنكار والتعجب، أي أعَقيب علمكم بصدور تلك القبائح عنه تتخذونه وذريته أي وأولاده وأتباعه جعلوا ذريته مجازا. وما هو جدير بالإشارة إليه أن قصة آدم عليه السلام وإبليس ذكرت في مواضع كثيرة من القرآن،وهي في كل موضع يشتمل على شيء لم يشمل عليه الآخر، ولها في كل موضع ذكرت فيه عبرة تخالف عبرة غيره [3].

◈وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾[4]، اللفت في الآية السابقة من صيغة الغيبة والإخبار عن الجدار المعهود لغلامين في المدينة، وكان أبوهما صالحاً قيل اسمهما أصرم وصريم، وكان تحت الجدار كنز من ذهب وفضة... [5] إلى الخطاب في قوله تعالى: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾، "وهنا الالتفات إلى الخطاب أفاد في نسبة الإرادة إلى الرب سبحانه وتعالى في أن هذه الإرادة وقعت على قوله أن يبلغا أشدهما "[6].

(1) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 12، 76.
(2) انظر: المرجع السابق، ج 12، ص 76، انظر: فتح القدير: ج 1، 856، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج5، ص 277.
(3) انظر: محاسن التأويل: ج7، ص 42، والتحرير والتنوير :ج 15، ص 34.
(4) الكهف: (82).
(5) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج5، ص 238.
(6) انظر:فتحُ البيان في مقاصد القرآن: ج8، ص 96.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" أما قوله تعالى: ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ فيها الإشعار بأن ربوبيته تقتضي رحمته، وأنه رحيم بعبده"[1]، "وما فعلته عن أمري تصريح بما يزيل إنكار موسى عليه السلام تصرفاته هذه بأنها رحمة ومصلحة فلا إنكار فيها بعد معرفة تأويله"[2].

◈وقوله تعالى: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[3] في قوله تعالى: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ﴾ " التفات من الغيبة إلى الخطاب لقصد مجابهتهم بالاستدلال المفحم " [4].

إن الالتفات إلى الخطاب أشار بحكمة جليلة وهي علم الله الواسع، وإحاطته وشموله وقدرته. حيث يجمع الأجزاء، ويميز بعضها من بعض، ويودعها تلك المعاني، فإذا هي أنفس قائمة كما كانت أول مرة في أسرع من لمح البصر [5].

المطلب الخامس: الالتفات من التكلم إلى الغيبة

ومن أمثلته في القصص القرآني:

◈قوله تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ﴾[6] الالتفات في هذه الآية المباركة في قوله تعالى: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ بصيغة الغيبة عنه سبحانه، وذلك بعد قوله تعالى: ﴿أَنْ أَوْحَيْنَا﴾ وكان مقتضى السياق – عندنا – باستمرار صيغة التكلم، ولكن مما لا شك فيه أن ظهور كلمة ﴿رب﴾ هو الأبلغ في هذا المقام لما تحمل في طياتها من معانٍ جمة تدل على الاعتناء والرحمة والعفو والتبعية ...، ولا تظهر هذه الكلمة العظيمة إلا بالتفات إلى

(1) البرهان في علوم القرآن: ج 3، ص 316، التحرير والتنوير: ج 16، ص 64، تفسير الشعراوي – الخواطر: ج 14، ص 8974.
(2) التحرير والتنوير: ج 14، ص 64.
(3) لقمان: (28).
(4) التحرير والتنوير: ج 21، ص 183.
(5) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ج 10، 199، واللباب في علوم الكتاب: ج 15، ص 463.
(6) يونس: (2).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الغيبة ولهذا تغير الأسلوب إليه ليوضح تلك المعاني العظام التي تحملها الجملة بكاملها ﴿لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾.

روي عن أنس وابن زيد –رضي الله عنهما– هي: الأعمال الصالحة من العبادات، وعن ابن عباس –رضي الله عنهما– وغيره هي السعادة الباقية لهم في اللوح المحفوظ وقيل غير ذلك كثير[1].

" وقيل هي أجراً حسناً وجزاءً موفوراً ودرجة عالية بما قدموا من صالح الأعمال "[2].

إنها جميعاً معاني تدل على الخير العظيم الذي ينتظرهم عند ربهم بسبب أو لآخر ولهذا ظهرت كلمة (رب) وكان الالتفات إلى الغيبة هو الأبلغ للمعنى، لتضمنه بيان التكاليف الواجبة الاتباع، وبيان النواهي الواجبة الاجتناب، فهذا هو الإنذار والتبشير ومقتضياتهما على وجه الإجمال.

◈قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾[3] الالتفات في قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ وكذا ﴿نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ بصيغة التكلم.

وقد بدأت الآية بمخاطبة الرسول ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ يعني بعينك يا محمد في حياتك بعض الذي نعده لهؤلاء المشركين من قومك من العذاب، أو نتوفينك، قبل أن نريك ذلك فيهم، فإلينا مرجعهم ومصيرهم بكل حال إلينا ومنقلبهم، الله شهيد على ما يفعلون [4].

" يقول الله تعالى: أنا شاهد على أفعالهم التي يفعلونها في الدنيا وأنا عالم بها ولا يخفى علي شيء منها، وأنا مجازيهم بها عند مصيرهم إلي ومرجعهم جزاءهم الذي يستحقونه "[5].

---

(1) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج 2، ص 6، وتفسير القرآن العظيم: ج4، ص 246، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج4، ص 117، ومحاسن التأويل: ج6، ص 5، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): ج8، ص 306.

(2) تفسير القرآن العظيم: ج4، ص 246، وجامع البيان في تأويل القرآن: ج 15، ص 14، وفتح القدير: ج 2، 481، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ج2، ص 357.

(3) يونس: (46).

(4)انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ج 6، 122، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج3، ص 115، محاسن التأويل: ج6، ص 26.

(5) جامع البيان في تأويل القرآن: ج 15، ص 98.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" ولبيان هذه الحكمة الجليلة ظهر لفظ الجلالة ليعط بلمحة خاطفة تعليلاً كافيا على شهادته سبحانه عليهم لأنه – الله – ذو الألوهية والعبودية على الخلق أجمعين، فيكون ظهوره لإدخال الروعة وتربية المهابة، وتأكيد التهديد "[1]، " أي أن مصيرهم ومنقلبهم إليه وهو شهيد على أفعالهم بعدك "[2].

◈وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[3]" الالتفات في قوله تعالى ﴿عَنْ رَبِّكَ﴾ بصيغة الغيبة وهذا فيه وصف لإحاطة الله سبحانه وتعالى بكل شيء "[4]، بعد صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ بنون العظمة وكان مقتضى السياق قوله – وما يعزب عنا – باستمرار الصيغة نفسها بدل قوله تعالى: ﴿عَنْ رَبِّكَ﴾ لكنه عز من قائل آثر صيغة الغيبة لتناسب معنى العزوب، فقد أخرج الطبري عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ﴾ قال ما يغيب عنه [5].

إن الالتفات إلى الغيبة في الآية السابقة يبرهن على إحاطة علمه تعالى بحال أهل الأرض، لأن من لا يغيب عن علمه شيء كيف لا يعرف حال أهل الأرض، وما هم عليه مع نبيه ﷺ.

◈وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[6] الالتفات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي﴾ بصيغة الغيبة عنه سبحانه وذلك بعد قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ

(1) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ج 6، 122، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج4، ص 154.
(2) تفسير القرآن العظيم: ج4، ص 272، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ج 3، ص 123.
(3) يونس: (61).
(4) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ج 3، ص 127.
(5) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ج 15، ص 116، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ج 1، ص 52، ومفاتيح الغيب (التفسير الكبير): ج3، ص274.
(6) يونس: (93).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿بَوَّأْنَا﴾ وكذا ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ﴾ كلاهما بصيغة التكلم وكان مقتضى السياق – إننا – بدل قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾، فتغير الأسلوب على الرغم من أن الصيغة للغيبة –عنه سبحانه– إلا أنه يحمل خطاباً لسيد المرسلين ﷺ، فأتت كلمة ﴿رب﴾ يضاف إليها ضميره ﷺ، وفيه معنى المواساة والتحنين للنبي ﷺ، وصاحب الأمر فيه وفي خصومه، فيطلب الرب سبحانه من نبيه ترك أمره لحكمة العدل الناشئ على علمه التام وقدرته الشاملة، وهذا هو الداء الذي تعرض لأهل الدين الصحيح وهو: أن الشيطان إذا أعجزه أن يطيعوه في ترك الدين بالكلية، سعى في التحريش بينهم، وإلقاء العداوة والبغضاء.... [1].

" وهذا اختلاف لا يمكن زواله في الدنيا وأنه تعالى يقضي فيه في الآخرة فيميز الحق من الباطل، والصديق من الزنديق ويجزي كلاً جزاؤه "[2].

وهذا القضاء العدل من الحق تبارك وتعالى لأمر لا يقدر عليه غيره كان هو الداعي لتغير الأسلوب إلى الغيبة في كلمة ﴿ربك﴾.

◈وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾[3] في الآية السابقة الالتفات من التكلم في قوله تعالى: ﴿مِمَّا أَنْزَلْنَا﴾ أي مما أنزلنا إليك من القصص التي من جملتها قصة فرعون وقومه [4]، وهنا الالتفات إلى الغيبة في قوله تعالى: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ وكان مقتضى السياق استمرار هذه الصيغة فتكون – الحق منا – بدل من ربكم، ولكن للنكتة التي ذكرت آنفاً، آتى الالتفات إلى الغيبة ولا شك في أن التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام من التشريف ما لا يخفى [5].

---

(1) انظر :البحر المحيط في التفسير :، ج6، ص 105.

(2) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج4، ص 175، واللباب في علوم الكتاب: ج 10، ص 410، محاسن التأويل: ج6، ص 61، ومفاتيح الغيب (التفسير الكبير): ج17، ص 299، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج 2، ص 40.

(3) يونس: (94)

(4) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج4، ص 174.

(5) انظر: المرجع السابق، ج 4، ص 174.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" وكان عليه لا يشك ولا يسأل كما جاء عن قتادة بلغنا أن رسول الله ﷺ "لا أشك ولا أسأل"[1]، فهنا كان مناسباً لصيغة التكلم من الله – سبحانه – للأخيار بأنه المنزل الذي تفرع عنه هذا الكلام وهو ما أنزل هذه الصورة من القصص [2]، وصح لنا أن نقول "أن الخطاب للنبي ﷺ، أو لكل سامع، والمراد غيره، كما ورد في القرآن في غير موضع"[3] ،"ولهذا نقول أن الالتفات إلى الغيبة في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ فذكر العبد بمصدر هذا الحق الذي لا مراء فيه "[4]، وكان الأبلغ أن يعدل الأسلوب إلى صيغة الغيبة فهو ليوجه حديثه إلى عبده بطريقة التعريض لا علم الرسول ﷺ لأنه ليس بمحل الحاجة لإعلامه أنه على الحق [5].

◈وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آَمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آَمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ * وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآَمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[6] الالتفات من التكلم في قوله تعالى: ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ﴾ وهنا بصيغة التكلم بمعنى كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا، فكان الحديث فيه نوع من التوبيخ [7]، وكان هذا الانتقال إلى الغيبة في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ﴾. " وكان مقتضى الظاهر – ولو شئنا – وقد روى ابن عباس قوله ولو شاء ربك يا محمد لأذن لأهل الأرض كلهم في الإيمان بما جئتهم به، فآمنوا كلهم "[8]، فإن رسول الله ﷺ كان يحرص أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى فأخبره الله أنه في الذكر الأول، ولا يضل إلا من سبق له من الله الشقاء في الذكر الأول [9].

---

(1)المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ج3، ص 621.
(2) انظر: التحرير والتنوير :ج 11، ص 214.
(3) فتح القدير: ج 2، 537.
(4) المرجع السابق: ج 2، 537.
(5) انظر:التحرير والتنوير: ج 11، ص 286.
(6) يونس: (98- 99).
(7) انظر: البحر المحيط في التفسير: ج6، ص 107.
(8) البحر المحيط في التفسير: ج6، ص 108، وتفسير القرآن العظيم: ج4، ص 298.
(9) انظر :جامع البيان في تأويل القرآن: ج 15، ص 211، وفتح القدير: ج 2، 539، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج3، ص 124، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ج 3، ص 145، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج4 ص 177، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ج 6، 181.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فأخبره الله عز وجل بأسلوب اللطف واللين هذا الخبر الذي قد يكون وقعه على قلبه ﷺ مؤلماً ولكن ظهور كلمة ﴿رَبُّكَ﴾ خففت ذلك الألم، ورفعت ما فيه من حرج، وكانت له عزاء بعدم تحقق ما له[1].

وربما أنها "جاءت بصيغة الغيبة" لبيان القدرة القاهرة والمشيئة النافذة أنها ليست إلا له

تعالى"[2].

يظهر من اطلاعي على التفاسير أنني أوافق الرأي الأول الذي ورد في تفسير ظلال القرآن من حيث أن الالتفات يدل على تخفيف الألم، ورفع الحرج عن الرسول ﷺ، وليس ذلك فحسب، إنما أيضاً فيه تسلية له ﷺ وترويح لقلبه مما كان يحرص عليه من إيمانهم.

◈وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾[3] وكذلك قوله تعالى﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾[4]الالتفات في الآية الكريمة من التكلم في قوله تعالى: ﴿نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ إلى صيغة الغيبة في قوله تعالى: ﴿أَمْرُنَا–جَعَلْنَا– أَمْطَرْنَا﴾ وكان مقتضى السياق – عندنا – وفيما أظن أن الغيبة هنا أبلغ وأروع في التصوير لأن التنجية لسيدنا صالح والذين آمنوا معه من العذاب النازل بقومه كانت برحمة من المولى عز وجل.

وهذا ما أبلغنا به ابن عطية أن جبريل عليه السلام أدخل جناحه تحت مدائن قوم لوط عليه السلام واقتلعها ورفعها حتى سمع أهل السماء الدنيا صراخ الديكة ونباح الكلاب ثم أرسلها معكوسة، اتبعهم الحجارة من السماء، وروى أنه أخذهم بخوافي جناحه، وأن مدينة منها نجيت كانت للوط عليه السلام يقال لها: زغر [5].

(1) انظر في ظلال القرآن: ج 3، ص 1821، محاسن التأويل، ج6، ص 66.
(2) البحر المحيط في التفسير: ج6، ص 108.
(3) هود: (66).
(4) هود: (82– 83).
(5) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ج 3 ،186، والتحرير والتنوير: ج 12، ص 114.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالالتفات إلى الغيبة وجعله المولى ﷻ بصيغة الغيبة ليزيد من الترهيب به لأن النفس أصلاً دائماً تهاب الغائب والمجهول.

" وفي هذا الالتفات فيه لفت لمزيد من العذاب وكأنه خاص لقوم لوط وعام لكل من أعرض عن آيات الله ونسي ربه " [1].

◈وقوله تعالى: ﴿مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾[2] الالتفات في الآية الكريمة إلى الغيبة في قوله تعالى ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾، وذلك بعد التكلم في قوله تعالى ﴿مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ﴾.

وبعد اطلاعي على التفاسير وعلمت أن هذا الحديث بالغيبة كان بخصوص أهل مكة، أدركت أن الالتفات إلى الغيبة يفيد نوعاً من التهديد والوعيد للمشركين منهم.

وهذا ما قاله جبريل عليه السلام للرسول ﷺ يعني ظالمي أمتك ما من ظالم منهم إلا وهو بعرَض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة[3].

◈وقوله تعالى: ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ * يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾[4] الالتفات في الآية السابقة من التكلم في قوله تعالى ﴿وما نؤخره﴾ إلى صيغة الغيبة في قوله تعالى: ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ وكان مقتضى السياق – إلا بإذننا – بدل قوله تعالى: ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ ولكن الله عدل من التكلم إلى الغيبة لحكمة منها: ليلفت السامع لعز سلطانه في التكلم كقوله تعالى: ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾[5] "وفيها تفخيم لشأن اليوم" [6].

---

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ج 3، 223.

(2) هود: (83).

(3) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج 2، ص 392، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، ج3، ص 193، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، 1415 هـ – 1995 م.

(4) هود: (104 – 105).

(5) النبأ: (38).

(6) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج4، ص 241، فتح القدير: ج 2، ص 595.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يبدو مما سبق أن الالتفات يفيد بحكمة جليلة وهي لفت النظر إلى ذلك اليوم المشهود، وزيادته رهبة وهيبة في النفوس، وهم ينتظرون مصيراً مجهولاً، كل شيء فيه غائب عن دائرة معارفهم، وما أصعب الانتظار الذي سيحدد المصير.

◈وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]" الالتفات من أسلوب التكلم في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي مكنا يوسف في أرض مصر، وجعلناه على خزائنها "[2]، إلى الغيبة ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ فهو سبحانه وتعالى مستولٍ على أمر يوسف يسوسه ويدبره ويحوطه [3] و﴿غالب على أمره﴾ الهاء عائدة على يوسف [4]، والله غالب على أمره حيث أمر يعقوب يوسف عليهما السلام ان لا يقص رؤياه على إخوته فغلب أمر الله حين قص، ثم أراد يعقوب أن لا يكيدوا فغلب أمره حتى كادوا، ثم أراد أخوة يوسف قتله فغلب أمره حتى لم يقتلوه، ثم أرادوا أن يلقوه في الجب ليلتقطه بعض السيارة ليكون مملوكاً فغلب أمره حتى صار ملكاً، ثم أرادوا أن يخلو له وجه أبيهم، فغلب أمره حتى ساق عليهم قلب أبيه...[5].

" فالله سبحانه وتعالى لا يمنع عما يشاء ولا ينازع فيما يريد، بل إن أمره لشيء إذا أراد أن يقول له كن فيكون [6]، " فعال لما يشاء " [7].

لقد كان مناسباً ذكر ضمير الغيبة ليلفت هذا الاسم الجليل ليعظم ما عظم، ويوضح ما وضح، ويزيد المقام مهابة وتقديراً، فأفاد قوة في المعنى إلى جانب قوة اللفظ.

---

(1) يوسف: (21).
(2) الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ج5، ص 206.
(3) جامع البيان في تأويل القرآن: ج 15، ص 30، والكشف والبيان عن تفسير القرآن: ج5، ص 206.
(4) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ج 15، ص 30.
(5) انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ج5، ص 206.
(6) انظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج4، ص 26، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ج 6، 1398، والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: وهبة بن مصطفى الزحيلي، ج 12، ص 236، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2، 1418 هـ، وتفسير القرآن العظيم: ج4، ص 378.
(7) تفسير القرآن العظيم: ج4، ص 378.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

◈وقوله تعالى: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[1] الالتفات من التكلم في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ أي صنعنا ودبرنا لأجل عرض من المقدمات التي رتبها من دس الصواع [2]، " جزاء لهم على كيدهم بيوسف عليه السلام"[3]، إلى صيغة الغيبة في قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أي إلا حال مشيئته وإذنه بذلك، وإرادته له وهي تعليل لما صنعه الله من الكيد ليوسف أو تفسير له [4].

والالتفات إلى الغائب لفتنا في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ إلى أن الأمر كان بمشيئته تعالى وتدبيره، لأن ذلك كله كان إبهاماً من الله ليوسف وإخوته، حتى جرى الأمر وفق المراد[5].

والالتفات إلى صيغة الغيبة من الدلالة على فخامة شأنه عز وجل، مقدار علمه المحيط بما لا يخفى [6]، " حيث نسب فيه الرفع إلى من نسب إليه الفوقية لا إلى درجته " [7]، " وأن علم الله فوق كل عالم " [8].

وفيما يبدو أن الالتفات إلى الغيبة أعطى قدراً رفيعاً من بلاغة القول ودقته ومناسبته للمقام.

◈وقوله تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[9] الالتفات في الآية السابقة من التكلم في قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ

---

(1) يوسف: (76).
(2) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج4، ص 296.
(3) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ج 10، 172.
(4) انظر :فتح القدير: ج 3، 52، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج 2، ص 126، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج4، ص 297.
(5) انظر: محاسن التأويل: ج6، ص 42.
(6) انظر :إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج4، ص 297.
(7) المرجع السابق، ج 4، 298.
(8) جامع البيان في تأويل القرآن: ج 16، ص 191، والدر المنثور: ج4، 298، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج4، ص 298، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج 2، ص 126.
(9) إبراهيم: (1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ إلى الغيبة في قوله تعالى: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ وكان مقتضى السياق – بإذننا – بدل ﴿بإذن الله﴾.

وهنا ناسب السياق أن يكون في البداية في صيغة التكلم حيث أسند الإنزال إلى نون العظمة ومخاطبته تعالى بقوله ﴿إليك﴾ وإسناد الإخراج إليه عليه الصلاة والسلام تنويه عظيم وتشريف له ﷺ من حيث المشاركة في تحصيل الهداية بإنزاله تعالى، وإخراجه عليه ﷺ[1].

" كما ناسب أيضاً ذكر الرب هنا تنبيهاً على فئة المالك وكونه ناظراً في حال عبيده" [2]، فالله هو الهادي لمن قدر له الهداية، بمعنى بقضاء ربهم لأنه لا يهتدي مهتد إلا بإذن الله سبحانه وتعالى ثم بين أيضاً في الآية الكريمة ذلك النور فقال تعالى :﴿إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[3] ،" فلفظ ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ بتوفيقه وتسهيله مستعار من الإذن الذي هو تسهيل الحجاب" [4].

" وقيل ﴿رَبِّهِمْ﴾ للإشعار بالتربية واللطف والفضل، وبأن الهداية لطف محض، وفيه أن الكتاب والرسول والدعوة لا تجدي دون إذن الله تعالى" [5]، وقيل إنه أضيف إلى ضميرهم اسم ﴿الرب﴾ المفصح عن التربية التي هي عبارة عن تبليغ الشيء إلى كماله المتوجه إليه وشمول الإذن بهذا المعنى للكل واضح وعليه يدركون الإنزال لإخراجهم جميعاً، وعدم تحقق الإذن بالفعل في بعضهم لعدم تحقق شرطه المستند إلى سوء اختيارهم غير مخل بذلك [6].

◈وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[7] الالتفات في قوله تعالى: ﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي

(1) انظر: البحر المحيط في التفسير: ج6، ص406.
(2) المرجع السابق: ج6، ص 406.
(3) انظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ج 1، ص 577، ومفاتيح الغيب (التفسير الكبير): ج19، ص 75، وتفسير القرآن العظيم، ج4: ص 476.
(4) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج3، ص 192.
(5) روح المعاني: ج 5، ص 27.
(6) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج5، ص 30.
(7) إبراهيم: (4).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ بصيغة الغيبة عن الله عز وجل، وهذا بعد قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا﴾ بصيغة التكلم، ولو سار الأسلوب على سياق سابقه لجاءت الآية – فنضل من نشاء ونهدي من نشاء وأنا العزيز الحكيم – ولكنه سبحانه وتعالى جاء بصيغة الغيبة لحاجة المقام إلى ظهور كلمة ﴿الله﴾ الاسم الجليل المنطوي على صفات الكمال لتفخيم شأنه تعالى [1].

وأن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء: هذا حكم الله، أن يضل المكذبين ويهدي المصدقين، لكن الوجه أن يضل من آثر سبب الضلال، ويهدي من يشاء هذا حكم الله، ويهدي المصدقين، أي من آثر سبب الاهتداء [2].

لقد حمل الالتفات إلى الغيبة فائدة بلاغية عظيمة حيث أفادت في فهم أن حصول الهداية لا تتم إلا إذا جعله الله سبحانه واسطة وسبباً وتقديم الإضلال على الهداية لأنه متقدم عليها، إذ هو إبقاء على الأصل والهداية إنشاء ما لم يكن [3].

والالتفات إلى الغيبة جاء ليوضح عظم شأن الضلال فهو نقمة من الله – أعاذنا الله منها – وكذا عظم شأن الهداية فهي نعمة من الله سبحانه وتعالى، وأن ندعو دائما بدوامها وإبقائها.

◈وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[4] الالتفات في الآية الكريمة من صيغة الغيبة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى﴾ إلى صيغة الغيبة في قوله تعالى: ﴿بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ وكان مقتضى السياق – بأيامنا – بدل ﴿بأيام الله﴾ "أي بنعم الله وآلائه" [5].

إن الالتفات إلى الغيبة حمل في طياته نفحة بلاغية وهي نسب هذه النعم إلى الله عز وجل للإعلام بفخامة شأنها طالما هي منسوبة إلى الله عز وجل.

---

(1) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج5، ص 32.

(2) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ج 17، ص 517، والدر المنثور: ج5، ص5، وتفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) ج6، 363.

(3) فتح القدير: ج 3، ص 112، روح المعاني: ج 5، ص 70.

(4) إبراهيم: (5).

(5) الدر المنثور: ج5، ص6.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكذلك " للإشعار بعدم اختصاص ما فيها من المعاملة بالمخاطب وقومه كما توهمه الإضافة إلى ضمير المتكلم، أي عظهم بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد " [1].

◈وقوله تعالى: ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ* وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾[2] الالتفات في قوله تعالى ﴿وَعِنْدَ اللَّهِ﴾ بصيغة الغيبة التي يحملها لفظ الجلالة وذلك بعد صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ فَعَلْنَا﴾ وكذلك في ﴿ضَرَبْنَا﴾[3].

الالتفات إلى الغيبة كان مناسباً للمقام في ظهور لفظ الجلالة – الله – الذي دل على شدة الوعد والوعيد والتهديد أيضاً.

" حيث إن مكرهم هذا مكتوب عند الله – سبحانه – فهو لا محالة مجازيهم عليه ومعذبهم عليه أو عنده ما يكفيهم جزاء لمكرهم وإبطالاً له" [4].

فمعنى ذلك أنكم قد رأيتم أننا قد أحللنا بالأمم المكذبة قبلكم، ومع هذا لم يكن لكم فيهم معتبر ولم يكن فيما أوقعنا بهم لكم مزدجر[5].

◈ وقوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آَمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾[6]﴿نحن نقص عليك﴾ كان بأسلوب التكلم من الله سبحانه وتعالى لأنه يخبر ويبين خبر أصحاب الكهف، حيث قال نقص عليك، نقص قصاً ملتبساً بالحق أو الصدق وفيه إشارة إلى أن القصاص كثيراً ما يقصون الباطل وينقصون فجاء بأسلوب التكلم [7].

(1) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج5، ص 30.
(2) إبراهيم: (45 – 46).
(3) انظر :إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج5، ص 57.
(4) انظر التسهيل لعلوم التنزيل ،ج3، ص 203، وتفسير المراغي، ج 13، ص 167، وتفسير القرآن العظيم، ج4: ص 516، ومفاتيح الغيب (التفسير الكبير): ج19، ص 110.
(5) انظر: تفسير القرآن العظيم، ج4: ص 516.
(6) الكهف: (13).
(7) انظر :إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج5، ص 209، وروح البيان: ج 5، ص 221.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال تعالى: ﴿آَمَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾ فيه التفات من التكلم إلى الغيبة إذ لو جاء على نسق الكلام لقيل: إنهم فتية آمنوا بنا [1]، " وإنهم فتية استئناف مبني على تقدير السؤال من قبل المخاطب، والفتية جمع قلة للفتى كالصبية للصبي، ﴿آَمَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾ والهاء لجماعة أصحاب الكهف، ولا لسيدنا محمد ﷺ، فلا يقال إنه على طريق الالتفات من الخطاب في عليك إلى الغيبة في هاء ربهم، فلا تهم، وإنما الالتفات من تكلم نحن نقص عليك، وما قبله إلى غيبة لفظ الرب، ومقتضى الظاهر ﴿آمنوا بنا﴾ [2].

وأوثر الالتفات للإشعار بغلبة وصف الربوبية ولمراعاة ما صدر عنهم من المقالة حسبما سيحكى عنهم، ثم انتقل الخطاب إلى التكلم في قوله ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ بأن ثبتناهم على ما كانوا عليه من الدين، وأظهرنا لهم مكنونات محاسنه، ولبيان العظمة ومن هنا كان الالتفات من الغيبة إلى التكلم قال تعالى عاطفاً على ما تقديره : فاقتدوا بإيمانهم: ﴿وَزِدْنَاهُمْ﴾ بعد أن آمنوا ﴿هُدًى﴾ بما قذفنا في قلوبهم من المعارف، وشرحنا في صدورهم من المواهب التي حملتهم على ارتكاب المعاصي [3]، وهنا يفيد الالتفات " بالدلالة على أنهم أبطلوا الشرك وسفهوا أهله تعريضاً بأن حق السامعين أن يقتدوا بهداهم "[4].

◈وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ [5] "الالتفات في الآية السابقة خرج من ضمير المتكلم ﴿بَعَثْنَاهُمْ﴾ إلى ضمير الغيبة في قوله تعالى ﴿لِنَعْلَمَ﴾"[6]، وهنا لفت لعقول السامعين بقدرة وعلم الله سبحانه وتعالى، فيظهر معلومه – سبحانه – بين الطائفتين المتنازعين فيهم أحصى مدة لبثهم وغاية بقائهم نياماً، فيظهر عجزهم، ويعرفوا ما صنع الله بهم، فيستعجبوا من كمال قدرة الله على البعث [7].

---

(1) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ج7، ص453.
(2) البحر المحيط في التفسير: ج7، ص 139.
(3) انظر :إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج5، ص 210، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ج 12، 453، والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: ج 15، ص 210.
(4) التحرير: ج 5، ص 259.
(5) الكهف: (12).
(6)إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ،ج5، ص 207.
(7) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج5، ص 207، والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: ج 15، ص 217.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

◈وقوله تعالى: ﴿ كَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾[1] في الآية السابقة التفات من التكلم في قوله تعالى: ﴿ كَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ ﴾ والحديث عن إيقاظ الله سبحانه وتعالى أصحاب الكهف من تلك النومة الشبيهة بالموت [2].

" جاء بصيغة الغيبة إظهاراً للفاعل على طريقة الالتفات " [3]، وصولاً للإجابة عن مدة لبثهم في الكهف، فقال بعضهم لبثنا يوماً أو بعض يوم، وقالوا ﴿ربكم أعلم بما لبثتم﴾[4].

◈وقوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴾[5] الالتفات في الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ بصيغة الغيبة في لفظ الجلالة وهذه الغيبة جاءت بعد صيغة التكلم في قوله تعالى:﴿ أَعْثَرْنَا ﴾ وكان مقتضى الظاهر – وعدنا – باستمرار صيغة التكلم.

ظهر الالتفات من الخطاب إلى الغيبة لحاجة المقام إلى لفظ الجلالة ﴿ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا ﴾ فكيف لله سبحانه وتعالى جل وعلا يوفي نفوسهم، وأمسكها ثلثمائة سنة وأكثر حافظاً أبدانها من التحلل والتفتت، ثم أرسلها إليها.

" لا ليبقي له شائبة في أن وعده تعالى حق وأنه يبعث من في القبور، فيرد إليهم "[6]، وهذه المعاني العظام لا يظهرها إلا الاسم الجليل، ولهذا جاء الالتفات إلى الغيبة بعد التكلم [7].

---

(1) الكهف: (19).
(2) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج5، ص 213.
(3) فتح القدير: ج 3، 323.
(4) انظر :إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج5، ص 213.
(5) الكهف: (21).
(6) جامع البيان في تأويل القرآن: ج 15، ص 149.
(7) انظر :إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج5، ص 214.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

◈وقوله تعالى: ﴿فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾[1] إن حالة الغرور والكبرياء التي كانت تملأ قلب الكافر بلغت ذروتها، واشتد الصراع، وباتت أي محاولة إقناع متعذرة، لأن داء هذا الكافر استفحل، وصار لا يرجى منه شفاء، حيث لجأ المؤمن إلى ربه بالدعاء والتضرع بلغة التكلم إلى ربه، بأن يؤتيه خيراً منها التي يعجب بها ويفتخر في الآخرة الباقية [2].

وهنا تحول الخطاب إلى صيغة الغائب للترجي من الله سبحانه وتعالى بأن يرسل عليها صواعق وعذاباً يهلك الزرع فتصبح جنته الزاهية الزاهرة المثمرة الناضرة أرضاً جرداء لا تثبت عليها قدم [3].

وهذا الرجاء لم يكن ناجماً عن حبه في المتاع العاجل، ولا نكاية في صاحب الجنتين، وحسداً فيما أوتي، ولكن صدر عن رغبته في تجلية العبرة لصاحبه، حتى يعاين تصرفه.

◈وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾[4]، الالتفات في قوله تعالى: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾" أي خرج عن طاعته كما تنبئ عنه الفاء أو صار فاسقاً كافراً بسبب أمر الله تعالى إذ لولاه أبى وتعرض لوصف الربوبية المنافية للفسق لبيان كمال قبح ما فعله "[5]، وهنا التفت من التكلم إلى الغيبة تمشياً مع قوله تعالى: ﴿قُلْنَا﴾ ولكنه – سبحانه أتى بصيغة الغيبة لحاجة المقام لكلمة (رب) أي الذي يرعاه والتي تعطي للمتأمل أبشع صورة لفسق هذا الفاسق اللعين الذي خرج عن طاعة الله سبحانه وتعالى [6]" بترك السجود "[7].

---

(1) الكهف: (40).
(2) انظر :أوضح التفاسير: ج1، ص 357.
(3) انظر: فتحُ البيان في مقاصد القرآن: ج8، ص 54، أوضح التفاسير: ج1، ص 357، زهرة التفاسير: ج2، ص 4533، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ج1، ص662، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج8، ص 240.
(4) الكهف: (50).
(5) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج5، ص 277.
(6) انظر: فتح القدير: ج 2، 292، وتفسير القرآن العظيم: ج2، ص 90.
(7) البحر المحيط في التفسير: ج6، ص126، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل: ص 294، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل :، ج2، 488.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويرى الالتفات إلى الغيبة كلن مناسباً لوصف الربوبية المنافية للفسق لبيان كمال قبح ما فعله والمراد تجديد النكير على المتكبرين المفتخرين بأنسابهم وهكذا رسم صورة لإبليس من أبشع الصور، وبدافع الحسد لآدم وذريته بهذا الفعل الشنيع قلاه الله عن رحمته بطرده من الجنة.

وقيل: إن الالتفات من التكلم إلى الغيبة جاء مناسباً للموضع حيث قال تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ﴾ والملائكة ليس لهم ذرية ولا نسل، فوجب أن يكون إبليس من الملائكة، بقي أن يقال: إن الله تعالى أمر الملائكة بالسجود فلو لم يكن إبليس من الملائكة، فكيف تناوله ذلك الأمر، وأيضاً لو لم يكن إبليس من الملائكة يصح استثناؤه منهم ؟ والإجابة كانت مناسبة ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾[1].

يستنتج مما سبق أن الالتفات إلى الغيبة هنا يعني إعراضاً من أولياء إبليس وتحقيراً لشأنهم.

◈ وقوله تعالى: ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾[2] أسلوب الخطاب هنا انتقل من المتكلم إلى الغائب، فإذا قرأنا هذه الآية بتأمل وتمعن، فإننا نشعر أمام مشهد فني تصويري حيث قال موسى لفتاه أمر الحوت وفقده، وتحرك موسى عليه السلام وفتاه مقبلين، ننظر إليهما ونسمع كلامهما في لحظة حضور، فكان أسلوب الكلام للمتكلم والحضور [3].

" حيث انتقل الحديث مباشرة بعد أن وجد الإشارة، فرجعا يقصان آثارهما لئلا يخطئا "[4].

وفيما أظن أنهم هنا استدارا ورجعا إلى الوراء، معنى هذا أننا لم نعد نرى وجوههم ولا نسمع كلامهم، وهنا أصبحوا في حالة الغياب بالنسبة للمستمع لذلك الالتفات إلى الغائب كان التعبير الأدق في رسم الفاعلية والتأثير على المشهد.

---

(1) انظر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): ج5، ص 117، وفتح القدير: ج 1، 864.

(2) الكهف: (64).

(3) انظر: فتح القدير: ج 2،ص 868، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): ج10، ص 391.

(4) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): ج10، ص 391، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج5، ص 234.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب السادس: الالتفات من الغيبة إلى التكلم

ومن أمثلته في القصص القرآني:

◈قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[1] في الآية السابقة التفات من الغيبة إلى التكلم لأن سياق الآية يقتضي الغيبة، فيقال يفصل أي الله تعالى، ولكن التفت إلى التكلم على أنه إخبار من الله تعالى من نفسه بأنه وحده هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً، وقدره منازل لمعرفة عدد السنين والحساب، وأنه يوضح هذه الآيات الدالة على وجود الله تعالى وعلى أنه لا ينبغي أن يعبد غيره، ولو ظل السياق القرآني على الغيبة لما تحقق هذا المعنى البلاغي [2].

◈وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[3] هنا " التفات من الغيبة في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ﴾ أي لو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لو عجل الله للناس العقوبة كما يتعجلون بالثواب والخير لأهلكهم "[4] إلى صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ وكان مقتضى السياق – فنذر – باستمرار صيغة الغيبة بدل قوله تعالى ﴿فَنَذَرُ﴾ وتتبعها في الضمير نفسه – الذين لا يرجون لقاء الله بدل قوله تعالى: ﴿لِقَاءَنَا﴾ ولكنه سبحانه وتعالى التفت إلى التكلم لحكمة نتلمس بعضاً منها: قال الزمخشري: قوله ﴿ولو يعجل ﴾ متضمن معنى التعجيل كأنه قيل: ولا تعجل لهم الشر ولا نقضي إليهم أجلهم فنذرهم ﴿في طغيانهم﴾[5].

ويرى الباحث أن الزمخشري عندما شرح الآية استخدم صيغة التكلم فقط، ولكن القرآن بأسلوبه المعجز التفت من الغيبة إلى التكلم تحقيقاً لأغراض بلاغية تخدم المعنى عمقاً ووضوحاً فقوله

---

(1) يونس: (5).
(2) انظر: القراءات وأثرها في علوم العربية: ج 2، ص 117.
(3) يونس: (11).
(4) البحر المحيط في التفسير: ج6، ص 18، وفتح القدير: ج 2، 487.
(5) انظر: البحر المحيط في التفسير: ج6، ص 19، ومفاتيح الغيب (التفسير الكبير) :، ص 219.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جل ثناؤه: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ﴾ ناسب ظهور الجلالة في هذا المقام لما فيه من دلالة عظمى على صفات الكمال والاقتدار.

حيث التفت سبحانه وتعالى إلى التكلم بنون العظمة الدالة على التشديد في الوعيد[1].يظهر مما سبق أن الالتفات إلى التكلم يجعل طلبهم للعذاب حسرة في نفوسهم وليذكرهم سبحانه بأنه تاركهم إمهالاً واستدراجاً حتى يأتي العذاب المضاعف وهذه معان تستحق وقفة تأمل أوجدها الالتفات.

◈وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾[2] الالتفات في الآية السابقة من صيغة الغيبة في قوله تعالى ﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ إلى صيغة التكلم في قوله تعالى ﴿إِنَّ رُسُلَنَا﴾ وهنا لنكتة بلاغية لإعلامهم " بأن ما تظنونه خافياً مطوياً لا يخفى على الله وهو منتقم منك[3].

فالمعنى أن هؤلاء الكفار لما قابلوا نعمة الله بالمكر، فالله سبحانه وتعالى قابل مكرهم بمكر أشد من ذلك، وهو ما أعد لهم يوم القيامة من العذاب الشديد، وفي الدنيا من الفضيحة والخزي والنكال هذا أولاً، أما ثانياً أن الرسل يكتبون مكرهم ويحفظونه، وتعرض عليهم ما في بطونهم الخبيثة يوم القيامة ويكون ذلك سبباً للفضيحة التامة والخزي والنكال [4].

◈وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[5] الالتفات في قوله

(1) انظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج4، ص 125، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ج 6، 75.
(2) يونس: (21).
(3) انظر البحر المحيط في التفسير: ج6، ص 31، ومفاتيح الغيب (التفسير الكبير): ج17، ص 232، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ج2، 337.
(4) انظر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): ج17، ص 232، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ج 6، 89، والبحر المحيط في التفسير: ج6، ص31.
(5) يونس: (22).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ﴾ بصيغة التكلم وذلك بعد ذكره نفسه ﷻ بصيغة الغيبة في قوله تعالى:﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ﴾ وكانت بصيغة الغيبة لأنها إجابة لدعائهم [1].

" وكان مقتضى السياق – ثم إليه مرجعكم فننبئكم – باستمرار صيغة الغيبة ولكنه سبحانه وتعالى عدل إلى التكلم لمناسبة الخطاب الموجود في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، وتوجيه " أولئك الباغين للتشديد في التهديد والمبالغة في الوعيد" [2].

" ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾ ثم إلينا ذلك معادكم ومصيركم وذلك بعد الممات"[3]، بجميع أعمالكم ونوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه [4].

ويبدو أن هذه أمور تحتاج إلى المواجهة ولذا عدل بالضمير إلى التكلم.

◈وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾[5] الالتفات من الغيبة في قوله تعالى: ﴿يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ﴾ في كل أمر ويدخل الافتراء بنسبة الولد والشرك إلى الله تعالى، وكان بصيغة الغيبة لأن الله تعالى يصفهم إن من تكون هذه صفتهم كائناً ما كانوا لا ينجون من مكروه ولا يفوزون بمطلوب أصلاً [6].

ومن صيغة الغيبة انتقل إلى صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ﴾وكان مقتضى السياق في لفظ الجلالة في لفظ الجلالة – الله – ثم إلى الله مرجعهم ثم يذيقهم باستمرار ضمير الغائب فورود ضمير المتكلم بدل الغيبة لحكمة عنده سبحانه

(1) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج3، ص 109.
(2) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود، ج4، ص 135، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ج 6، 95.
(3) جامع البيان في تأويل القرآن: ج 15، ص 54.
(4) انظر: المرجع السابق، ج15، 54.
(5) يونس: (69 – 70).
(6) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ج 6، 147.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتعالى منها لما بين – سبحانه – بالدليل القاهر أن إثبات الولد لله تعالى قول باطل، ثم بين افتراء على الله ونسبه لما لا يليق به إليه فيبين أن من هذا حاله فإنه لا يفلح البته... [1].

" وأنه سيذيقهم بعد مرجعهم بالموت الشقاء المؤبد والعذاب الشديد بما كانوا يكفرون بسبب كفرهم "[2]، وفيما يبدو أن الالتفات جاء ليفاجئهم بضميره حتى يستشعروا معه مدى ضعفهم أمام عظمته فلعلهم يؤبون إلى رشدهم أن يكون ذلك الوعيد الشديد الحاصل لا محالة والله أعلم.

◈وقوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ * فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ * فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾[3] الالتفات إلى التكلم في قوله تعالى ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا﴾ بعد الغيبة في قوله تعالى: ﴿نَاقَةُ اللَّهِ﴾ وكذا ﴿أَرْضِ اللَّهِ﴾ وكان مقتضى السياق – أمر الله – حيث يروى أن قوم صالح عليه السلام خرجوا من عِيد لهم فسألوه أن يأتيهم بآية وأن يخرج لهم من صخرة معينة أشاروا إليها ناقة، فدعا صالح ربه فخرجت الناقة كما سألوا، فتلك الناقة كانت المعجزة [4].

يستنتج مما سبق أن سر الالتفات إلى التكلم يتمثل في إظهار الأمور المعجزة المنسوبة لله – سبحانه – زيادة في التهويل والتعظيم.

◈وقوله تعالى: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ * وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾[5] الالتفات في الآية السابقة من الغيبة في قوله تعالى ﴿قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ إلى التكلم في قوله

(1) انظر :إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج4، ص 163، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ج 6، 147، وفتح القدير: ج 2، 524، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ج2، 358، وتفسير القرآن العظيم: ج4، ص 283.

(2) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج3، ص 119، وتفسير القرآن العظيم: ج4، ص 283.

(3) هود: (64 – 65 – 66).

(4) انظر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): ج18، ص 369.

(5) هود: (76 – 77).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعالى ﴿رُسُلُنَا﴾ وكان مقتضى السياق – ولما جاءت رسل ربك – ولكن الالتفات هنا إلى التكلم حمل في طياته حكمة بليغة وهي: أن هذا الحديث انتقل إلى الحق – سبحانه – وهذا تنبيهاً للنبي محمد ﷺ، حيث كان الحديث موجهاً للنبي إبراهيم عليه السلام في قوله ﴿قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ فكلن مناسباً للالتفات إلى التكلم لاختلاف المقام، لأن الحوار كان قائماً بين الملائكة وسيدنا إبراهيم عليه السلام حتى يشعر الغافل هذا غير ذاك [1].

والالتفات إلى نون العظمة أكسبتهم قدراً عظيماً من التشريف والتعظيم.

◈وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2] " الالتفات في قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ﴾ بصيغة التكلم وذلك بعد الغيبة في قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ والتفت – سبحانه – إلى ضمير التكلم مناجاة لنبيه محمد ﷺ لأن الحضور أنسب مقام مع المناجاة تثبيتاً لفؤاده ﷺ على أداء الرسالة وعلى الصبر واحتمال الأذى " [3].

إن الالتفات إلى التكلم أنسب في الود والقرب في هذا المقام من صيغة الغيبة، بالإضافة إلى أن قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ﴾ بصيغة التكلم يشير إلى عظم النبأ الذي سيقصه عليه، والله أعلم.

◈وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[4] الالتفات في الآية السابقة في الآية السابقة من أسلوب الغيبة في قوله ﴿آتَيْنَاهُ﴾ إلى أسلوب التكلم في قوله ﴿نَجْزِي﴾ تنبيهاً على أنه كان محسناً في عمله، متقياً في عنفوان أمره، وأن الله آتاه

(1) انظر: فتح القدير: ج 2، ص 579، ومفاتيح الغيب (التفسير الكبير): ج18، ص 377، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: ج2، ص 544.
(2) هود: (118 – 119 –120).
(3) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): ج18، ص 412، وفتح القدير: ج 2، ص 604، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ج2، ص 438.
(4) يوسف: (22).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحكم والعلم والجزاء على إحسانه، وعن الحسن: من أحسن عبادة ربه آتاه الله الحكمة في اكتهاله [1].

وكذلك تنبيهاً للنبي ﷺ فكأنه يقول له بأن لا يهولنك فعل الكفرة بك وعتوهم عليك فالله تعالى يصنع للمحسنين أجمل صنع[2]، وجزاء على صلاحه وتقواه وزيادة تفضل من الكريم المنان وقد وهب يوسف عليه السلام أعظم هبة يهبها عباده الأخيار ألا وهي " النبوة أنه حباه بها بين أولئك الأقوام [3].

"ويحتمل أن يريد الحكمة والنبوءة وهذا الأشد الأعلى، ويحتمل الحكمة والعلم دون النبوءة "[4]، "ويحتمل سلطاناً في الدنيا وحكماً بين الناس بالحق "[5].

يظهر مما سبق أنه أي ما كان ذلك فهو عطاء جزيل من لدن وهاب كريم يستحق تلك الوقفة بذلك الالتفات.

◈وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[6] في الآية السابقة التفات من أسلوب الغيبة في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ بضمير الغيبة في لفظ الجلالة إلى قوله تعالى: ﴿لِمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ في ضمير التكلم.

" ويفيد الالتفات هنا بمدح وثناء للنبي يعقوب عليه السلام بالعلم من علم النوءة " [7].

وللدلالة أيضاً " على جلالة شأن يعقوب عليه السلام وعلو مرتبة علمه وفخامته "[8]، لأن يعقوب عليه السلام عمل الأسباب واجتهد في توفيتها وهو مقتضى الحكمة ثم رد الأمر كله لله تعالى

(1) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ج2، 454.
(2) انظر تفسير القرآن العظيم: ج4، ص 375، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ج 3، ص 232، والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: ج 12، ص 334.
(3) انظر تفسير القرآن العظيم: ج4، ص 387.
(4) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ج 3، ص 231، وتفسير القرآن العظيم: ج4، ص 378.
(5) تفسير القرآن العظيم: ج4، ص 378
(6) يونس: (68).
(7) التحرير والتنوير: ج 13، ص 25، والجواهر الحسان في تفسير القرآن: ج3، ص 338.
(8) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج4، ص 293، ومحاسن التأويل: ج6، ص 198.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

واستسلم إليه، وهو حقيقة التوحيد فقال ﴿مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ إن الحكم إلا لله " فأثنى الله تعالى عليه من أجل جمعه بين هاتين الحلتين العظيمتين [1].

" وكان ثناؤه بتلك النون التي تدل على العظمة، فالله سبحانه وتعالى وهب إلى نبيه يعقوب علماً عظيم الشأن وقد حفظه عليه الصلاة والسلام وعمل به على أكمل وجه "[2].

لذا أظن أنه أسند هذا العلم لله سبحانه وتعالى بهذا الضمير الذي يدل على التعظيم.

◈وقوله تعالى: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[3] الالتفات في الآية السابقة من الغيبة إلى التكلم لأن سياق الآية في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ يقتضي الغيبة فيقال ﴿يرفع درجات من يشاء﴾ ولكن التفت إلى التكلم في قوله تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ﴾على أنه إخبار من الله تعالى عن نفسه بأن مقاليد جميع الأمور بيده، فهو الذي يغفر لمن يشاء، وهو الذي بيده الخير وهو على كل شيء قدير، ولو ظل الأسلوب القرآني على الغيبة لما تحقق هذا المعنى.

وهنا كان " إلتفاتاً إلى مقام التكلم تقوية للكلام، وزيادة إشعار بالعظمة "[4].

إن الالتفات إلى التكلم أشار إلى قدرة الله – سبحانه – بمنح رتب عالية من العلم، خاصة أن اللفظ جاء بصيغة الجمع للتعظيم.

◈وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ * قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آَمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾[5] الالتفات في الآية الكريمة من الغيبة في قوله تعالى ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ إلى ضمير التكلم في قوله تعالى ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ﴾ وكان مقتضى السياق – قل لعباد

(1) انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ج3، ص 338.
(2) تفسير القرآن العظيم: ج4، ص 400.
(3) يوسف: (76).
(4) صفوة التفاسير: ج10، ص 177.
(5) إبراهيم: (30 – 31).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الله – مسايرة لما قبله ولكنه – سبحانه – حيث " خصهم بالإضافة إليه تعالى رفعاً لهم وتشريفاً وتنبيهاً على أنهم المقيمون لوظائف العبودية الموفون بحقوقها " [1].

" وهذا الحديث يدور عن الذين حكى الله عنهم بدلوا نعمة الله كفرا، فأولئك كانوا في الدنيا في نعمٍ كثيرة فلا حَرَمَ حَسُنَ قوله ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا﴾ " [2].

يظهر مما سبق أن الحديث السابق فيه وعد ووعيد وتهديد بأن عاقبة التمتع بالدنيا والمبالغة في المجاهدة بالنفس والمال، فما يفيد الالتفات إلى التكلم هنا بوجوب أمر الطاعة والتيقظ لأنفسهم وإلزام عمودي الإسلام الصلاة والزكاة قبل مجيء يوم القيامة.

◈وقوله تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾[3] الالتفات في الآية السابقة من الغيبة إلى التكلم، كان في قمة التشويق من خلال أفق توقعي لحدث قد يأتي، " فصيغة الغيبة في قوله تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ أي ألهمناهم الصبر، وشددنا قلوبهم بنور الإيمان حتى عزفت أنفسهم عما كانوا عليه من خفض العيش [4]، التفت إلى صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا رَبُّنَا﴾ وهنا لفت لأفق توقعي لحدث قد يأتي، وإن رحلة المكث والمبيت في الكهف، ثم إيقاظهم ليكونوا عبرة، تؤكد الغاية التي سيقت من أجلها هذه القصة، فقد لفت أسلوب التكلم إلى حدث سيقع وهو قيامهم بين الجبار دقيانوس الذي يتوقع أنه سيعاتبهم على ترك عبادة آلهته، فقالوا ربنا رب السموات والأرض [5].

◈وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا * وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ

(1) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج5، ص 46.
(2) البحر المحيط في التفسير: ج6، ص437، ومفاتيح الغيب (التفسير الكبير): ج19، ص 95.
(3) الكهف: (14).
(4) انظر جامع البيان في تأويل القرآن: ج 17، ص 651، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج2، ص 274، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ج7، ص45، ومفاتيح الغيب (التفسير الكبير): ج21، ص 442.
(5) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ج 17، ص 651، وزاد المسير في علم التفسير: ج 3، 69.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾[1]"الالتفات في قوله تعالى:﴿وَنُقَلِّبُهُمْ﴾ بصيغة التكلم بعد ذكره سبحانه وتعالى إلى الغيبة في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ فقرأ الجمهور أن سر الالتفات هنا في التكلم ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ﴾ فيها نون العظمة "[2].

وأظن أنه الأنسب لهذه المعجزة لأن القوم ناموا أمداً بعيداً ولو ظلوا على حال واحدة لأكلت الأرض أجسادهم، وإشارة إلى هذه المعجزة الربانية أتت بنون العظمة لتدل على عظم شأن هذا الأمر وأن صاحبه مدبر الكون الحكيم المتعال.

◈وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾[3]هنا الالتفات من الغيبة في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ﴾ بأسلوب في منتهى الدقة إلى التكلم في إحساس من التعاظم والتباهي والتفاخر من قبل الكافر، " لأنه يملك الأموال الكثيرة من الذهب والفضة وغيرهما بما أوتي من نعيم الدنيا " [4]

" فكانت صيغة الغيبة لأنه كان يراجعه الكلام من حار يحور.. يعني وهو يحاوره جملة حالية، والظاهر أن ذا الحال هو القائل أي القائل، أي يراجعه الكلام في إنكار البحث وفي إشراك الله"[5].

وإذا رجع أخذ بيد المسلم يطوف به في الجنتين ويريهما فيهما ويفاخره بما ملك من المال دونه ثم انتقل بالأسلوب إلى المتكلم " أنا أكثر مالاً وأعز نفرا أي أنصاراً وحشماً [6].

يستنتج مما سبق أن الانتقال من المتكلم إلى الغيبة كان ضرورياً ليبين إحساس الكافر بالتعاظم الذي أخذ يسيطر على نفسه، وأخذ ينظر إلى نفسه فتزهو ويتفاخر بها، وبما أوتي من نعيم الدنيا فأقبل من الغياب إلى الحضور.

---

(1) الكهف: (17 –18).
(2) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ج 3، ص 503.
(3) الكهف: (34).
(4) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج 2، ص 300.
(5) البحر المحيط في التفسير: ج7، ص 175، ،ج1،ص 465.
(6) انظر التسهيل لعلوم التنزيل: ،ج1،ص 465، البحر المحيط في التفسير :، ج7، ص 175، والتسهيل لعلوم التنزيل: ج1،ص 465.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

◈وقوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾[1] "ودخل جنته بصاحبه يطوف به فيها ويفاخره بها، ليريه بهجة الجنة ونضارتها " [2].

والخطاب بدأ بأسلوب الغيبة ودخل لأنها إخبار من الله تعالى بدخول ذلك الكافر جنته، ويدل لدخوله إشارة الحضور في قوله ﴿هَذِهِ﴾ إلى الجنة التي دخلها [3]، فانتقل إلى التكلم حيث يثق أن هذه الجنة لن تبيد أبدا، وأنها ستدوم أبد حياته، وذلك لطول أمله وتمادي غفلته، " وقلة عقله، وضعف يقينه بالله، وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها وكفره بالآخرة " [4].

◈ وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾[5] الالتفات في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا﴾ حيث جاءت بصيغة التكلم، وذلك بعد قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ بصيغة الغيبة، وظهور نون العظمة مراعاة للتكلم هنا في ﴿وَجَعَلْنَا﴾ ليدل على عظم ذلك الجعل فهو معجزة لا يقدر عليها إلا فاطر الكون ومبدعه [6].

"وقيل ﴿مَوْبِقًا﴾ هو في وادٍ في جهنم"[7]، "وقيل إنه نهر في النار يسيل ناراً على حافتيه حيات أمثال البغال الدهم"[8].

" فإذا ثارت إليهم لتأخذهم إليهم استغاثوا بالاقتحام بالنار منها "[9]، إذن هو خلق عظيم يناسب نون العظمة التي نبهت الذهن للوقوف.

---

(1) الكهف: (35).
(2) البحر المحيط في التفسير: ج7، ص 176، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج3، ص 281، في ظلال القرآن: ج 4، ص 2270.
(3) انظر :البحر المحيط في التفسير :، ص 176.
(4) تفسير القرآن العظيم: ، ج5، ص 157، وفتح القدير: ج 3، 339.
(5) الكهف: (52).
(6) البحر المحيط في التفسير: ج7، ص 189، وتفسير القرآن العظيم: ج5، ص 169، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ج7، ص509.
(7) الجواهر الحسان في تفسير القرآن: ج 3، ص 531.
(8) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج 2، ص 306.
(9) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ج 5، 198.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

◈وقوله تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[1] انتقل الخطاب من الغيبة وهو مناسب للمقام حيث يخبر فتاه بقصة السفينة، ثم انتقل إلى التكلم لينسب الخضر عليه السلام إرادة عيب السفينة إلى نفسه، ولم ينسبها إلى الله تعالى تنزيهاً له تعالى عما لا يليق [2]. " كما أن الأدب يقضي إسناد الخير إلى الله تعالى، والشر إلى العباد" [3].

وبقصد الاهتمام والعناية بإرادة إعابة السفينة حيث كان عملاً ظاهره الإنكار، وحقيقته الصلاح، وزيادة في تشويق موسى إلى علم تأويله، فقال ﴿أَعِيبَهَا﴾ ولم يقل عبتها ليدل على أنها فعلها عن قصد وتأمل [4].

◈وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾[5]

كان الحديث بالإخبار عن والدي الغلام الذي سيقع في المعاصي والمنكرات، ويؤذي الأفراد والجماعات، وسيتعصب له أبواه وهما مؤمنان، ويدفعان شر الناس عنه، وهذا سبب الفسوق والعصيان ويجرهما إلى الكفر والطغيان، وهما مؤمنان [6].

وهنا انتقل الحديث إلى المتكلم الواحد لإظهار أنه مشارك لغيره في الفعل، وهذا الاستعمال يكون من التواضع لا من التعاظم لأن المقام مقام الإعلام بأن الله أطلعه على ذلك وأمره، فناسبه التواضع ﴿فَخَشِينَا﴾[7].

◈وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ * وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى

(1) الكهف: (79).
(2) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: ج 6، ص 11، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ج 12، ص119، وتفسير الشعراوي – الخواطر: ج 14، ص 8967، ووصفوة التفاسير: ج2، ص 158 ،
(3) التسهيل لعلوم التنزيل: ج1،ص 473.
(4) انظر: التحرير والتنوير: ج 16، ص 12، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: ج 6، ص 16.
(5) الكهف: (80).
(6) انظر: فتحُ البيان في مقاصد القرآن: ج8، ص 92، تفسير الماوردي (النكت والعيون): أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، تحقق: السيد ابن عبد المقصود ابن عبد الرحيم، ج 3، 344، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان، 2002.
(7) انظر: التحرير والتنوير: ج 16، ص 12، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: ج 16، ص 7.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾[1] " الالتفات في الآية السابقة من الغيبة في قوله ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ إلى التكلم في قوله تعالى: ﴿بِآيَاتِنَا﴾ "[2]، فجملة ﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾ فهذا الالتفات فيه وعد وتهديد لهؤلاء الجاحدين بآيات الله.

(1) لقمان: (30 -31).

(2) التحرير والتنوير: ج 21، ص 192.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي

هي إحدى صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر "وفائدته أن الفعل الماضي إذا أخبر به عن الفعل المستقبل الذي لم يوجد بعد كان ذلك أبعد وأوكد في تحقيق الفعل"[1]، وإيجاده؛ لأن الفعل الماضي يعطي من المعنى أنه قد كاد ووجد، وإنما يفعل ذلك إذا كان الفعل المستقبل من الأشياء العظيمة التي يستعظم وجودها [2].

وقد تناول الشوكاني هذا الأسلوب في تفسيره وبين السر البلاغي أو الغرض البلاغي له، ويغلب ذكر هذا الأسلوب أو هذه الصورة كما يقول الشوكاني في تفسيره في الأمور المهولة التي تثير الرعب في القلب، وخاصة في الأمور التي تتحدث عن الغيب كمشاهد يوم القيامة أو العذاب، لذا نجده السر البلاغي أو الفائدة المرجوة من هذا الأسلوب في معظم شواهده بقوله: جاءت للتنبيه على تحقيق وقوع الفعل [3]، " وانه حاصل لا محالة في ذلك ولا يرتابه أدنى شك"[4]، " مثال قوله تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾"[5]، "حيث عبر عن المستقبل بلفظ الماضي تنبيهاً على تحقق وقوعه"[6]

ومن أمثلته في القصص القرآني:

◈قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾[7] لما كان العلم بتكذيبهم حاصلاً مما تقدم من الآيات تعين أن التكذيب المفروض هنا بواسطة الشرط هو التكذيب في المستقبل، أي الاستمرار على التكذيب، وذلك أن كل ما تبين به صدق القرآن هو مثبت لصدق الرسول ﷺ الذي أتى به، أي إن أصروا على التكذيب

---

(1) البلاغة العربية: عبد الرحمن بن حسن الدمشقي، ص 509، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ج2، ص 15.

(2) انظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر :ج2، ص 15، وشرح المقاصد في علم الكلام: سعد الين بن عمر التفتازاني، ج2، ص 219، دار المعارف النعمانية، باكستان، 1401هـ - 1981م.

(3) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة: محمد بن عبد الرحمن القزويني، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، ج2، ص 96، دار الجيل، بيروت، ط3.

(4) البلاغة القرآنية في تفسير الشوكاني: محمد علوان، مجلة الزهراء، جامعة الأزهر، عدد 15، ص 65.

(5) النحل: (1).

(6) فتح القدير: ج 3، 176.

(7) يونس (41).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بعد ما قارعتها به من الحجة فاعلم أنهم لا تنجح فيهم الحجج وأعلن البراءة منهم كما تبرءوا منك [1].

◈وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[2] "عبر عن الإسرار بالمستقبل بلفظ الماضي تنبيهاً على تحقيق وقوعه حتى كأنه مضى، والمعنى: وسيسيرون الندامة قطعاً وكذلك قوله: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾[3].

يستنتج مما سبق أن قوله تعالى: ﴿أَسَرُّوا﴾جاء على لفظ الماضي والقيامة من الأمور المستقبلية إلا أنها لما كانت واجبة الوقوع، جعل الله مستقبلها كالماضي.

◈وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[4] عبر في الآية الكريمة بالفعل الماضي ﴿حَاقَ﴾ مع أن ذلك لم يقع بعد، وإنما سيكون وقوعه في المستقبل، أما سر هذا التعبير فإن الضابط فيها أنه تعالى أخبر عن أحوال القيامة بلفظ الماضي مبالغة في التأكيد والتقرير [5].

يظهر مما سبق: أن التعبير في الآية السابقة بلفظ الماضي عن المستقبل تحقيقاً لوعيده، وتصحيحاً لخبره، وتقريراً لحصول العذاب الذي كانوا به يَسْتَهْزِؤُنَ كأن حصوله حدث وانتهى للتأكيد والتقرير.

◈وقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾[6] في الآية الكريمة عبر الله سبحانه وتعالى عن المستقبل بلفظ الماضي بقوله

---

(1) انظر: التحرير والتنوير :ج 4، ص 234.
(2) يونس: (54).
(3) التحرير والتنوير: ج 11، ص 198، ومفاتيح الغيب (التفسير الكبير): ج17، ص 117.
(4) هود: (8).
(5) انظر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): ج17، ص 321، وجامع البيان في تأويل القرآن: ج 15، ص 254.
(6) هود: (15).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿من كان﴾ وهو موضع الجزم بالشرط، وجوابه ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ﴾ أي من يكن يريد، والأول في اللفظ ماضٍ، والثاني مستقبل [1].

عبر هنا بلفظ الماضي عن المستقبل لأن المعنى يدور حول عمل الخير ولكن الذي يعمل برياء وسمعة أمام الناس للمباهاة به فإن أصحابه يعد من الباخسين في الدنيا والآخرة، وهذا فيه تأكيد ومبالغة في عقابه وجزائه بأن مثواه النار والله أعلم.

وما ورد في التفسير الكبير أنه " من كان يريد بعمل الخير الحياة الدنيا وزينتها من العبادات وإيصال الرحم.... التي سوف تصدر رياءً للسمعة والمباهاة...ستكون آخرته النار " [2].

◈وقوله تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾[3] لقد عُبر في الآية الكريمة بلفظ الماضي في قوله تعالى: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ﴾ وهذا يدل على أمر موجود مقطوع به، فكأنه قيل: "يقدمهم فيوردهم النار لا محالة"[4]، وقد عُبر عن المستقبل أيضاً بلفظ الماضي؛ لوضوح الأمر، وارتفاع الإشكال[5].وقيل: "أنه عُبر بالفعل الماضي عن المستقبل دل على غاية المبالغة "[6].

وقيل إنه ماضٍ لفظاً مستقبلٌ معنىً؛ لأنه عَطَفَ على ما هو نصٌّ في الاستقبال. والهمزة في ﴿أَوْرَدَ﴾ للتعدية، لأنه قبلها يتعدَّى لواحد، وقيل: أوقع الماضي هنا لتحقُّقه، وقيل: بل هو ماضٍ على حقيقته، وهذا قد وقع وانفصل وذلك أنه أوردهم في الدنيا النار. قال تعالى: ﴿النار يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾[7].

وقيل: " أوردهم مُوْجِبَها وأسبابها، وفيه بُعْدٌ لأجلِ العطف بالفاء " [8].

---

(1) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): ج17، ص 328.
(2) المرجع السابق: ج17، ص 328.
(3) هود: (98).
(4) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ج2، ص 426.
(5) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): ج18، ص 314، والتسهيل لعلوم التنزيل ،ج3، ص 147.
(6) التصوير الفني في القرآن الكريم: سيد قطب، ص 30.
(7) غافر: (46).
(8) انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ج6، ص 382.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد ورد لفظ ﴿فَأَوْرَدَهُمُ﴾ عُبر به بلفظ الماضي رغم أنه يخص المستقبل مبالغة في تحقيقه بمعنى نزل النار لهم منزلة الماء فسمى إتيانها مورداً، وليس كما ورد في تفسير الدرر المصون أنه فعل ماضٍ على حقيقته.

" وهذا ما أكده ابن عطية حيث قال: إنه استعمل الفعل الماضي هنا للتعبير عن المستقبل للدلالة على غاية المبالغة " [1].

◈وقوله تعالى: ﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾[2] قُرئت ﴿أُدْخِلَ﴾ فعلاً ماضياً مبنياً للمفعول والفاعل هو الله أو الملائكة [3]، أي أن وقوع دخولهم الجنة والتي سوف تدخلهم الجنة هم الملائكة بإذن الله وتحييهم وتكرمهم أمر حقيقي وحاصل، كأنه صار [4].

يظهر مما سبق أن الله سبحانه وتعالى قد بالغ في شرح أحوال الأشقياء من الوجوه الكثيرة وبصور كثيرة بدخولهم جهنم وبئس المصير، وهنا استخدم الفعل الماضي للتعبير عن المستقبل للمبالغة في شرح أحوال السعداء وكأن الثواب لهم حاصل قد حصل، فهناك فرق بين ما يقول الله سبحانه وتعالى سيدخل ﴿الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ عن ما يقول ﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وفي هذا تطمين للمؤمنين وتشجيع لهم بأن كل مؤمن صالح أحسن إيمانه بأنه على اعتبار أنه أدخل الجنة، ليس هذا فحسب إنما مقرون بالتعظيم والتكريم حيث تدخلهم الملائكة وتحييهم وتكرمهم أحسن تكريم، وأن إدخال الملائكة للذين آمنوا وعملوا الصالحات الجنة أمر حقيقي وحاصل كأنه محقق والله أعلم.

◈وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[5] " استعمل لفظ الماضي ﴿بَرَزُوا﴾ في الآية الكريمة السابقة للتنبيه على تحقق وقوعه " [6].

---

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ج 3، 205.
(2) إبراهيم: (23).
(3) اللباب في علوم الكتاب: ج 11، ص 377.
(4) انظر: محاسن التأويل: ج6، ص 313.
(5) إبراهيم: (48).
(6) فتح القدير: ج 3، ص 142، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ج 10، 403، والتفسير المظهري: ج5، ص 262.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يستنتج بعد اطلاعي على بعض التفاسير لهذه الآية الكريمة أن استخدام لفظ ﴿بَرَزُوا﴾ بالماضي للتعبير عن أحداث مستقبلية لتدل على المبالغة في وصف الصورة أو الحالة، وإظهارها في غاية الصعوبة والشدة حيث برزوا من أجداثهم لله الواحد القهار لمحاسبتهم ومجازاتهم، كما أفاد أيضاً وقوع الفعل الماضي أن كل ما يخبر به الله سبحانه وتعالى حق وصدق وكأنه صار، ودخل الوجود.

◈وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾[1]" أي يكون ما شاء الله، و (مَا) موصولة، و (إِنْ) شرطية قدر ما شاء الله يكن "[2]، " أو فهو واقع و (وَلَوْلَا) تخصيص، والتخصيص لما يستقبل، والدخول هنا عرض، فإن (إِذْ) للزمان الماضي، ودخلت للماضي إلى أول ذلك بالاستقبال "[3]، أو يريد أن يعلمه أن سبيل الإيمان في استقبال النعمة بأن يرد النعم إلى المنعم، لأن النعمة التي يتقلب فيها الإنسان لا فضل له فيها، فكلها موهبة من الله [4].

يظهر مما سبق أنه جاء بلفظ الاستقبال إقراراً بأن الجنة وما فيها بمشيئة الله، إن شاء أبقاها وإن شاء بادها، لا قوة إلا بالله، وهنا أظهر عجز الإنسان وقدرة الله

◈وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾[5] قيل في ﴿وحشرناهم﴾ ماضياً بعد ﴿نُسَيِّرُ﴾ و﴿تَرَى﴾ وهما مستقبلان للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير والبروز ليشاهدوا تلك الأحوال كأنه قال: وحشرناهم قبل ذلك، لأن الحشر هو المهم ؛ لأن من الناس من ينكره كالفلاسفة وغيرهم، ومن أجل ذلك ذكر بلفظ الماضي.

---

(1) الكهف: (39).

(2) محاسن التأويل: ج7، ص 35، والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: ج 15، ص 250، الموسوعة القرآنية: ج 10، ص 254، مؤسسة سجل العرب، ط1405 هـ.

(3) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، ج3، ص259، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط 5 1424هـ/2003م.

(4) انظر :تفسير الشعراوي – الخواطر: ج 14، ص 8911.

(5) الكهف: (47).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أي هنا أطلق الفعل الماضي على المستقبل تنبيهاً على تحقيق وقوعه [1]

" أي تحقيق وقوع الحشر المتفرع على البعث الذي ينكره المنكرون، وعليه يدور أمر الجزاء"[2] وفيما أظن أن حشرناهم ماضياً يسير بعد ﴿نسير﴾ و ﴿ترى﴾ وهما مستقبلان للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير والبروز ليعاينوا تلك الأهوال كأنه قال: وحشرناهم قبل ذلك.

◈وقوله تعالى: ﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾[3] أي جئتمونا كما خلقناكم، أي مجيئنا مثل مجيء خلقكم، أي حفاة عراة، خاليين من المال والولد....، وهنا لفظ ﴿جِئْتُمُونَا﴾ عبر فيه بالماضي وأراد المستقبل، لأن تحقيق وقوع ذلك منزلة الواقع بالفعل [4].

◈وقوله تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[5] المقصود بـ ﴿وَرَاءَهُمْ﴾ يعني أمامهم، والأمام هو الماضي، حيث قال ابن عطية: " إن وراءهم على بابه ولكنه روعي به الزمان فالوراء هو المستقبل، والأمام هو الماضي [6]، وهنا تحدث عن المستقبل بصيغة الماضي ليفيد أن وقوعها حقيقة[7].

" وأن هذه المسألة ليست حكم ذلك العالم، بل كان حكماً مبنيًا على أسباب معتبرة، وإن دل هذا فإنما دل يدل على ان ذلك العالم قد أتاه الله قوة عقلية قدر بها مثل مرتبة موسى عليه السلام في معرفة الشرائع والأحكام "[8].

---

(1) انظر التحرير والتنوير:ج 15، ص335، والبحر المحيط في التفسير: ج7، ص187، والبحر المديد في تفسير القرآن المجيد:ج5، ص276، والإشارات والتنبيهات في علم البلاغة: ص70، والتفسير المظهري: المظهري، محمد ثناء الله ،تحقيق: غلام نبي التونسي، ج2، ص 276، مكتبة الرشدية، الباكستان، ط1412 هـ.

(2) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج5، ص 226.

(3) الكهف: (48).

(4) انظر: روح البيان: ج 3، ص 255.

(5) الكهف: (79).

(6) التسهيل لعلوم التنزيل: ج1،ص 472.

(7) انظر:البحر المحيط في التفسير: ج7، ص 214، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ج 3، ص 535، البرهان في علوم القرآن: ج 3، ص 374.

(8) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): ج 21، ص 491.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

◈وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾[1] لقد كان في قتل الغلام مسافة بعيدة بين دواعي قتله عند العبد الصالح، وبين ظاهر الحال من أمر هذا الغلام، كما أن الحكمة التي سيكشف عنها العبد الصالح لموسى من قتل هذا الغلام، معلق تحقيقها بمستقبل بعيد يستغرق من الزمن، مدة الحمل بالطفل، ثم ولادته، ثم بلوغه مبلغ الرجال، حيث يبدو صلاحه، وينكشف معدنه [2].

" وهذا ما أعلمه الله سبحانه وتعالى للخضر عليه السلام بحاله وأطلعه على سر أمره " [3].

إن الحديث عن المستقبل بالفعل الماضي أكثر وأبلغ وأعظم موقعاً لتنزيله منزلة الواقع، حيث أحضرت صورة الحدث للسامع كأنه شاهده، وإنما يبوح بالماضي ﴿فَكَانَ أَبَوَاهُ﴾ للإشعار بتحقيق الوقوع وثبوته، وأنه كائن لا محالة.

◈وقوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا * وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾[4]" أبلغنا الله سبحانه وتعالى عن يوم القيامة بصيغة الماضي وتنبيهاً على تحقيق حدوثه، وتقريباً بحصوله في خيال المشركين، فأنه القادر على جمع أمة كاملة وراء السد"[5]، فهو بنسب التعظيم لنفسه جعلنا وصيرنا وجمعنا بمقتضى حكمتنا وقدرتنا وإرادتنا.

---

(1) الكهف: (80).

(2) انظر: التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم يونس الخطيب، ج8، ص669، دار الفكر العربي، القاهرة، والبرهان في علوم القرآن: ج 3، ص 237.

(3) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج5، ص 238، التحرير والتنوير: ج 16، ص 31.

(4) الكهف: (99- 100).

(5) انظر: التحرير والتنوير: ج 16، ص 41، والإشارات والتنبيهات، ص 70.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل

ومن أمثلته في القصص القرآني:

◈قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[1] هنا " اختيار صيغة المستقبل في الشرط إن كان المعنى على المضي لإفادة عدم قضاء الأجل لاستمرار عدم التعجيل، فالمضارع المنفي للواقع الماضي "[2].

◈وقوله تعالى: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾[3] في قوله تعالى: ﴿بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾" أي وعدناهم من العذاب ونعجله في حياتك فتراه والعدول إلى صيغة المستقبل لاستحضار الصورة أو الدلالة على التجدد والاستمرار أي نعدهم وعداً متجدداً حسبما تقضيه الحكمة من إنذار والأصل توفيناك"[4].

و﴿نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ أي نتوفينك قبل الإراءة فنحن نريك ذلك في الآخرة، وقيل إن جواب أو نتوفينك هو قوله: فإلينا مرجعهم لدلالته على ما هو المراد من إراءة ﷺ تعذيبهم في الآخرة، والأصل أريناك [5].

◈وقوله تعالى: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ آلْآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾[6] " آلآن استفهام استنكاري عن حصول إيمانهم عند حلول ما توعدهم فعبر عن وقت وقوعه باسم الزمان الحاضر غير داخل تحت القول الذي أمر الله رسوله ﷺ "[7].

ولفظ ﴿آلْآنَ﴾ يستحضر حال حلول الوعد كأنه حاضر في زمن التكلم، وهذا الاستحضار من تخييل الحالة المستقبلية الواقعة، "كأنه يقول لهم: الآن آمنتم به وقد كنتم به تستعجلون،

---

(1) يونس: (11).
(2) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ج 6، 75.
(3) يونس: (46).
(4) فتح القدير: ج 2، 511، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج4، ص 150.
(5) انظر: فتح القدير: ج 2، 511، وفتحُ البيان في مقاصد القرآن :، ج6، ص 72.
(6) يونس : (51).
(7) فتح القدير: ج 2، 513.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أي بالعذاب، تكذيباً منكم واستهزاء، لأن استعجالهم كان على جهة التكذيب والاستهزاء [1]، " وهذا بعد وقوع العذاب " [2].

" وحينها لا ينفعكم الإيمان"[3]، ولذلك يحسن أن نجعل ﴿آلْآنَ﴾ استعارة مكنية لتشبيه الزمن المستقبل بزمن الحال، ووجه الشبه الاستحضار.

◈وقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾[4]"هذا بيان متعلق الوعد المؤكد مرتين بدليله، إن شأنه تعالى يبدأ الخلق وينشئه عند التكوين، ثم يعيده في نشأة أخرى بعد انحلاله وفنائه، فالتعبير بفعل المستقبل " يبدأ بتصوير الشأن، وهو يشمل الماضي والمستقبل"[5].

◈وقوله تعالى: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[6] ورد في الآية الكريمة لفظ ﴿نَرْفَعُ﴾ بصيغة المضارع تعبيراً عن المستقبل " إشعاراً بأن ذلك سنة إلهية مستمرة، غير مختصة بهذه المادة " [7].

◈وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾[8] كان الأصل في جواب ﴿لما﴾ أنه يكون بصيغة الماضي، والمعنى، لما زال عن إبراهيم الروع

(1) انظر :جامع البيان في تأويل القرآن: ج 15، ص 101، والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: ج 11، ص 191، وفتح القدير: ج 2، 514، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ج2، 351.
(2) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: ج 11، ص 191.
(3) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ج2، 351.
(4) يونس: (4).
(5) تفسير المنار: ج11، ص 244.
(6) يوسف: (76).
(7) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج4، ص 249، ومحاسن التأويل: ج 6، ص205.
(8) هود: (74).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جادلنا في قومه، ولكنه عدل عن الماضي إشارة إلى تكرار المجادلة مع تصوير الحال، أي: جادلنا فيهم جدالاً كثيراً [1].

وقيل أنه قد جاء به مضارعا "على حكاية الحال أو لأنه في سياق الجواب بمعنى الماضي كجواب لو، أو دليل جوابه المحذوف مثل اجترأ على خطابنا أو شرع في جدالنا، أو متعلق به أقيم مقامه مثل أخذ أو أقبل يجادلنا"[2].

لقد اختلفت آراء المفسرين حول استخدام لفظ ﴿يُجَادِلُنَا﴾ بصيغة المضارع، وأغلب ظني أن لفظ ﴿يُجَادِلُنَا﴾ مجيئه للتعبير بالمضارع لإفادة الاستمرار في المجادلة وحدوثها متجددة وكانت المجادلة لربه، لأن في القوم لوطا النبي وله به قرابة نسب فهو حريص على نجاته شفيقا عليه، وقد علل سبحانه تلك المجادلة بوصف إبراهيم والدليل على ذلك الحوار الذي اطلعت عليه في التفاسير: أنهم قالوا أنا مهلكوا أهل هذه القرية فقال أرأيتم لو كان فيها خمسون مؤمناً أتهلكونها قالوا لا قال فأربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال أرأيتم إن كان فيها رجل واحد مسلم أتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال إن فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله، فهي تميل لحكاية الحال أكثر[3]، فهذا دليل قاطع على كثرة واستمرار مجادلتهم، بالإضافة إلى أن الآية الكريمة التي جاءت مباشرة بعدها قوله تعالى ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾[4] حيث وصفه الله بأنه حليم وهذا دليل على صبره وتحمله لمجادلتهم كما أنها صفة تقتضي الصفح... والله أعلم.

◈وقوله تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾[5] استعمل الفعل ﴿يَقْدُمُ﴾ مضارعاً لدلالة رائعة في وصف فرعون عليه اللعنة وهو ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ﴾يوم القيامة مع قومه المغرقين [6] بصيغة المضارع في غاية الحسن هنا، فكما كان يقدمهم في

(1) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ج 9، 333، وزهرة التفاسير، ج10، ص 3732.
(2) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج3، ص 142، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج 2، ص 74، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ج2، ص 412.
(3) انظر: زهرة التفاسير، ج10، ص 3732.
(4) هود: (75).
(5) هود: (98).
(6) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ج 3، 205.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الدنيا بطغيانه، وتكبره، واستعلائه على قومه، فهو يقدمهم في الآخرة كذلك عند دخول النار، والجزاء من جنس العمل [1].

◈وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[2]" ورد في لفظ ﴿تُرَاوِدُ﴾ بفعل ﴿المراودة﴾ بصيغة المستقبل الدالة على الاستمرار حيث تطالبه وما زالت تطالبه بمواقعتها له وتتمحل في ذلك وتخادعه، والوقوع حالاً واستقبالاً، وأن هذا شأنها، ولم يقلن راودت فتاها "[3].

وقيل " جاءت بصيغة المضارع تنبيهاً على أن المراودة سارت عادة مستمرة لها، دون الماضي: راودت "[4].

وفيما أظن أن الرأي الأول هو الأصوب حيث إنها استمرت بطلب المراودة منه أكثر من مرة، وهو يمنع نفسه منها، وهذا إن دل فإنما يدل على قوة إيمان سيدنا يوسف عليه السلام.

◈وقوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾[5] هذا الحديث سبق إلى الرسول ﷺ في أواخر أوقات رجائه في إيمانهم إيماء إلى أنهم غير صاغرين إلى الإيمان، وتهيئة إلى نفسه، لتتحمل ما سيلقاه من عنادهم رأفة من ربه، ولذلك قال ﴿إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ بصيغة الفعل المضارع المقتضي الحصول في المستقبل، أي إن استمر عدم إيمانهم [6].

◈وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ

(1) انظر: تلوين الخطاب في القرآن الكريم دراسة في علم الأسلوب وتحليل النص: طه رضوان، ص 70. مكتبة معهد الإمام الشاطبي، مكتبة جامعة الإمام، مصر، 1428هـ، 2007م، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ج 3، 205.

(2)يوسف: (30).

(3) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج4، ص 270.

(4) اللباب في علوم الكتاب :، ج 11، ص 78.

(5) الكهف: (6).

(6) انظر: التحرير والتنوير: ج 16، ص 255.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾[1] الفعل ﴿يُؤْمِنْ﴾ و ﴿يَكْفُرْ﴾ مستعملان للمستقبل، أي من شاء أن يوقع أحد الأمرين ولو بوجه الاستمرار على أحدهما المتلبس به الآن، فإن العزم على الاستمرار عليه تجديد لإيقاعه[2]، لأن معنى الآية أن من شاء الله له الإيمان آمن، ومن شاء له الكفر كفر[3].

◈وقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾[4]" لفظ الفعل ﴿يَتَّخِذُوا﴾للمستقبل، أي بمعنى أحسبوا أن يتخذوا عبادي أولياء يوم القيامة كما اتخذوهم في الدنيا، فصيغ الاتخاذ بصيغ المضارع للدلالة على تجدده منهم وأنهم غير مقلعين عنه "[5].

(1) الكهف: (29).
(2) التحرير والتنوير: ج 15، ص 307.
(3) انظر :اللباب في علوم الكتاب: ج 12، ص 474.
(4) الكهف: (102).
(5) التحرير والتنوير: ج 16، ص 44.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الرابع

التعبير عن المفرد بصيغة الجمع

ظاهرة الإفراد والجمع في النص القرآني في أغلب السور، ظاهرة أسلوبية تستدعي الوقوف عندها، والمتأمل فيها يجد طرافة في تحليل النص الأدبي والتي تتكشف من خلال دراسته وتتحقق من خلال انسجام فيما بينها وبين النص الأدبي بشكل عام لطائف بلاغية.

ومن المتفق عليه اختلاف دلالة المفرد عن دلالة الجمع، ولكن النص القرآني ولحكمة يقتضيها الاستعمال بشكل يتناسب مع المعنى والمقام، تتبادل الصيغ فيما بينهما، فيستخدم الجمع والمشار إليه (الدلالة) للمفرد، والعكس مع المفرد، فيعدل عن الاستعمال الأصلي في اللغة إلى ما يقتضيه السياق، فيشكل عنصر لفت انتباه المتلقي إلى ما وراء السياق الظاهري إلى معاني المعاني[1]، وهذا من ضمن مجال دراستي في صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر في القصص القرآني، ومن هذه الصور:

◈قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[2]﴿فَنَذَرُ.. لِقَاءَنَا﴾ في هذه الآية السابقة كما تحدثت من قبل أن فيها التفاتاً رائعاً بما حمل في طياته من حكمة بلاغية رائعة، بالإضافة إلى ذلك أن الآية الكريمة احتوت على ضمير الجلالة ﴿نَا﴾[3]، بمعنى "فنحن نَذَر الذين لا يرجون لقاءنا يعمهون، أي نتركهم في مدة تأخير العذاب متلبسين بطغيانهم، أي فرط تكبرهم وتعاظمهم "[4]، "ونظراً لهذا الطغيان والتكبر الذي كانوا فيه يعمهون " جاء ضمير الجلالة لتعظيم الأمر وتهويله "[5].

(1) انظر: من بلاغة القرآن: محمد علوان، ونعمان علوان، ص 104.
(2) يونس: (11).
(3) انظر: صفوة التفاسير: ج1، ص 535.
(4) التحرير والتنوير: ج 11، ص 108.
(5) صفوة التفاسير: ج1، ص 535.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

◈وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾[1] في الآية السابقة لفظ ﴿آيَاتِنَا.. رُسُلَنَا..﴾ كانت بضمير الجمع ﴿نَا﴾ بنون العظمة للتعظيم [2].

◈وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[3] في الآية السابقة " لفظ ﴿كُنَّا﴾ بصيغة الجمع للمبالغة في شهادته على كل شيء، وعالم بكل شيء "[4].

يستنتج مما سبق أن التعبير بصيغة الجمع هنا يفيد المبالغة، لتسلية الرسول ﷺ على ما يلاقيه من المشركين من تكذيب وأذى، لأن اطلاع الله على ذلك وعلمه بأنه في مرضاته في التسلية.

◈وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[5] " لفظ ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ للتعظيم، وتفيد التخصيص، والتأكيد أن القرآن من عند الله "[6]، " وأن التوكيد بحرف إن متوجه إلى خبرها وهو أنزلناه، وكان بطريقة الجمع للرد على أولئك المشركين الذين أنكروا أن يكون هذا القرآن من عند الله "[7].

◈وقوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾[8] في الآية الكريمة جاء لفظ ﴿نَحْنُ نَقُصُّ﴾ بصيغة الجمع فمعناها أننا نقص عليك أحسن ما يقص من الأحاديث التي ليست في غيرها [9]، " حيث افتتحت الجملة

---

(1) يونس: (21).
(2) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ج 9، 101.
(3) يونس: (61).
(4) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): ج17، ص 273.
(5) يونس: (2).
(6) التحرير والتنوير: ج 12، ص 203.
(7) التفسير الوسيط للقرآن الكريم: ج 1، ص 2274.
(8) يونس: (3).
(9) انظر:التحرير والتنوير: ج 12، ص 203، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ج2، 441، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج4، ص 251، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ج 6، 105.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بضمير العظمة للتنويه بالخبر " [1]، فالحديث بصيغة الجمع أفاد التعظيم وأفضى ظلالاً على اختصاص الله ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ يفيد الاختصاص [2] وهذا يتطلب علماً، حكمة، قدرة، وإمكانات.

يظهر مما سبق **أن** الحق سبحانه وتعالى حينما يتحدث عن فعل من أفعاله، ويأتي بضمير الجمع، فسبب ذلك أن كل فعل من أفعاله يتطلب وجود صفات متعددة، أما لفظ ﴿أَوْحَيْنَا﴾ جاءت بصيغة الجمع لتحقيق أن القص ليس بطريق الإلهام أو الوحي غير المتلو، وإما لظهوره من سؤال المشركين بتلقين علماء اليهود لأنه قد اقتص على أبدع الطرائق والأساليب الرائعة الرائقة، وأعجب الأساليب الفائقة اللائقة [3].

◈وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[4] ورد في الآية الكريمة لفظ ﴿قُلْ فَأْتُوا﴾ بصيغة الجمع، رغم أن الحديث كان عن سيدنا محمد ﷺ أنهم قالوا: أن محمداً قد افترى القرآن إذ لا نبي معه ولا بعده [5].

ولم يبتعد القرطبي كثيراً عن هذا إذ يرى أنه من الممكن " تحويل المخاطبة من الإفراد إلى الجمع تعظيماً وتفخيماً، وقد يخاطب الرئيس بما يخاطب به الجماعة " [6].

وهذا رأي ابن قتيبة حيث قال: " وأكثر من يخاطب بهذا الملوك ؛ لأن مذاهبهم أن يقولوا نحن فعلنا، يقوله الواحد منهم يعني نفسه فخوطبوا بمثل ألفاظهم " [7].

وهناك رأي آخر ورد في التفسير الكبير وهو أن مجيء الخطاب الأول بلفظ المفرد، والخطاب الثاني بلفظ الجمع، هو أن الخطاب الأول كان مع الرسول ﷺ وحده بقوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا

---

(1) التحرير والتنوير: ج 12، ص 202.
(2) التحرير والتنوير: ج 12، ص 203، وتفسير الشعراوي – الخواطر: ج 11، ص 6830.
(3) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج4، ص 251، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ج2، 441، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج3، ص 154.
(4) هود: (13).
(5) انظر: الإتقان في علوم القرآن: ج3، ص 101، وتفسير الشعراوي – الخواطر: ج 10، ص 6376.
(6) انظر:الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، ج9، ص 12.
(7) تأويل مشكل القرآن: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ج 1، ص 175،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، جامع البيان في تأويل القرآن: ج 15، ص 260.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بِعَشْرِ سُوَرٍ﴾ والخطاب الثاني كان مع جماعة الكفار بقوله تعالى: ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ﴾ خطاب الجماعة [1].

وهناك آراء مختلفة حول هذا الخطاب فقد قيل إن هذا الخطاب موجه إلى النبي ﷺ، وقيل إلى أصحابه رضوان الله عليهم، وقيل إلى السامعين إطلاقا [2].

إن الخطاب لو كان موجه للرسول ﷺ فقد استخدم لفظ ﴿فَأْتُوا﴾ بصيغة الجمع فيه نوعاً من التعظيم و التشريف للرسول ﷺ وعظم الرسالة التي يريد أن يبلغها إياهم، وكذلك أيضاً يحمل صيغة الجمع نوع من التحدي للكفار، وتقرير عجزهم عن الاستجابة إلى هذا التحدي، وإلزامهم بالإسلام، كأنه يقول لهم لا أريد من شخص واحد أن يأتي بمثل هذا القرآن، وإنما أريد أن كلهم بمثله، فلم يبق بعد ذلك كلام، وهذا يكون أعلى تحد، بالإضافة إلى ذلك أنه يتحداهم وهو يعلم أنهم لا يستطيعون أن يأتوه بمثله، وهنا يثبت الله – سبحانه – أنه منزل القرآن.

◈وقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[3]جاءت في الآية السابقة معنى احمل في السفينة من آمن من قومك، وأفرد الأهل منهم لمزيد العناية بهم [4].

◈وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾[5]وكذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ﴾[6] ظهرت نون العظمة هنا في الألفاظ التالية ﴿أَمْرُنَا﴾ و ﴿نَجَّيْنَا﴾ و ﴿جَعَلْنَا﴾ في معرض الانتقام من هؤلاء الكافرين المعادين، والآيات تتحدث عن نجاة قوم لوط عليه السلام بعد أن قام جبريل عليه السلام بإدخال جناحه تحت مدائن قوم

(1) انظر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): ج17، ص 325.
(2) انظر: التفسير الحديث: ج3، ص 509.
(3) هود: (40).
(4) فتح القدير: ج 2، ص 566.
(5) هود: (66).
(6) هود: (82).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لوط واقتلعها ورفعها حتى سمع صوت أهل السماء الدنيا صراخ الديكة ونباح الكلاب ثم أرسلها معكوسة، اتبعهم حجارة من السماء، وأن مدينة واحدة نجت هي مدينة لوط عليه السلام[1].

يظهر مما سبق أن صيغة الجمع كانت مناسبة للصور التي ذكرت في الآيات الكريمة السابقة بنون العظمة، لتدلل على قدرة الخالق الخارقة وعظمته جل جلاله.

◈وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[2] لقد جرى على هذا في نسبة الكيد إليهن جميعاً، فقال: وإلا تصرف عني كيدهن، أما الكيد من امرأة العزيز فما قد قصه الله سبحانه في هذه السورة، وأما كيد سائر النسوة فهو ما تقدم من الترغيب له في المطاوعة والتخويف.

" وكان خطاب امرأة العزيز بما يصلح الخطاب جماعة النساء تعظيماً لها، أو عدولاً عن التصريح إلى التعريض" [3].

◈وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما رَأَوُا الْآياتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾[4] ورد في الآية الكريمة لفظ ﴿بَدا لَهُمْ﴾ بصيغة الجمع، حيث ورد أنه جمع الضمير في لهُم والساجن الملك وحده من حيث كان في الأمر تشاور. وفيما أظن أن اللفظ جاء بصيغة الجمع للتشديد على سجنهم، وغضب الملك منهم.

◈وقوله تعالى: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[5] في الآية الكريمة السابقة لفظ﴿نَرْفَعُ، نَشَاءُ﴾وهنا جاءت نون العظمة بمعنى أي لنا من العظمة، وكان الأصل: درجاته، ولكنه عمم لأنه للدلالة على العظمة، وكان الأليق بمظهرها[6]، "لإظهار رفعة شأن يوسف، حيث رفعه سبحانه درجات عالية من العلم والحكمة"[7].

---

(1) انظر:أنوار التنزيل وأسرار التأويل:ج3، ص143، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:ج3، ص 193.
(2) يوسف: (33).
(3) فتح القدير: ج 2، ص 29 – 28.
(4) يوسف: (35).
(5) يوسف: (76).
(6) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ،ج10،ص 187، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ج 3 ،226
(7) تفسير الشعراوي – الخواطر: ج 11، ص 7028.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يتضح بعد اطلاعي على بعض التفاسير أن مجيء لفظ ﴿نَرْفَعُ، نَشَاءُ﴾بصيغة الجمع مبالغة بأن العلم أشرف المقامات، وأعلى الدَّرجات لأنه تعالى لما هدى يوسف إلى هذه الحيلة مدحه لأجل ذلك فقال: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾.

◈وقوله تعالى: ﴿مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[1]

الآية الكريمة السابقة جاء فيها لفظة ﴿ نُوحِي ﴾ بصيغة الجمع تمشياً مع لفظة ﴿أَرْسَلْنَا﴾ بالإضافة إلى ذلك للمبالغة في معنى نوحي إليهم بما تحمله من معنى فيه رد على من أنكر أن يكون النبي من البشر، أو زعم أن في النساء نبيات [2].

" أما بالنسبة إلى لفظ ﴿أَرْسَلْنَا﴾ بالنون مبنياً للفاعل اعتباراً لقوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا﴾، وهذا ما تم الموافقة عليه من قِبل الأخوان، ﴿نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾ في الأنبياء على ما سيأتي إنشاء الله "[3].

◈وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾[4] ورد في الآية الكريمة قوله ﴿رَبَّنَا﴾ وفيه ضمير الجماعة رغم أن الدعاء من سيدنا إبراهيم ليشعر بأن إبراهيم لم يرد نفسه فقط، بل أراد جميع العباد، فكأن المعنى، أن الله سبحانه يعلم بكل ما يظهره العباد وبكل ما لا يظهرونه [5].

يظهر مما سبق أن ضمير الجماعة يلفت النظر إلى أن الله سبحانه وتعالى يعلم بسرنا وعلننا ليس هذا فحسب، إنما بجميع خفايا الملك والملكوت.

---

(1) يوسف: (109).

(2) انظر :صفوة التفاسير: ج1، ص 64.

(3) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ج 10، 246، والتحرير والتنوير: ج 13، ص 68.

(4) إبراهيم: (38).

(5) انظر: فتح القدير: ج 3، ص 135، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج5، ص 53.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

◈وقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾[1] في الآية السابقة "جاءت لفظة ﴿آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ بصيغة الجمع، وهنا "جمع نفسه للأمر"[2]، وكذلك " من بين آياتنا التي من جملتها ما ذكرناه من جعل ما على الأرض زينة لها الحكمة " [3].

وقيل " لإظهار أن سائر آيات الله أعظم من قصتهم " [4].

◈وقوله تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾[5] في الآية السابقة جاءت لفظ ﴿ضَرَبْنَا﴾ بصيغة الجمع يؤتي ما يسمى ضمير التعظيم، ويستعمل إذا كان المقام مقام توحيد أو عقوبة، فما يلاحظ أن بعد ضمير التعظيم يأتي ما يدل على الإفراد حتى يزيل أي شك من شائبة الشرك [6].

وقيل " يفيد استخدام صيغة الجمع في لفظ ﴿ضَرَبْنَا﴾ القوة في الضرب على آذانهم حيث أنامه نومة مستثقلة مانعة من وصول الأصوات إلى الآذان بضرب الحجاب عليها " [7].

يستنتج من الآراء السابقة أن صيغة الجمع في قوله تعالى: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ ﴾ لبيان القوة في الضرب، والدليل على ذلك أن معنى الآية أننا ضربنا عليهم حجاباً يمنع السماع بمعنى أنمناهم إنامة لا تنبههم فيها الأصوات وهذا دليل قاطع على قوة الضرب.

◈وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾[8] في الآية الكريمة صيغة الجمع في لفظ ﴿ بَعَثْنَاهُمْ ﴾ وهذا اللفظ جاء بضمير التعظيم ﴿نَا﴾ حيث يستعمل

---

(1) الكهف: (9).
(2) البحر المحيط في التفسير: ج7، ص142.
(3) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود، ج7، ص 205، وروح البيان: ج 5، ص 219.
(4) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ج1، ص 654، والجواهر الحسان في تفسير القرآن: ج5، ص 580.
(5) الكهف: (12).
(6) انظر: الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ: محمد أمين الخضري، ص 63، مصر، مطبعة الحسين الإسلامية، 1413هـ، 1993م.
(7) البحر المحيط في التفسير: ج7، ص144، ومحاسن التأويل: ج7، ص 879، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ج2، ص 207، وفتح القدير: ج 2، 32 3.
(8) الكهف: (13).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أيضاً إذا كان المقام تعظيماً، " أي أيقظناهم من تلك النومة الثقيلة الشبيهة بالموت ﴿لِنَعْلَمَ﴾ بنون العظمة " [1].

" وقرئ بالياء مبنياً للفاعل على طريق الالتفات، وأيا ما كان فهو غاية للبعث لكن لا يجعل العلم مجازاً من الإظهار والتمييز أو بحمله على ما يصح وقوعه غاية للبعث الحادث من العلم الحالي الذي يتعلق به الجزاء " [2].

كما " تفيد صيغة الجمع في ظهور علم الله سبحانه وتعالى " [3]، وقيل إنه جاء لفظ ﴿لِنَعْلَمَ﴾ بصيغة الجمع لإظهار أن الله تعالى عالم بذلك لأن المراد ما تعلق به العلم من ظهور الأمر لهم ليزدادوا وليكونوا لطفاً لمؤمني زمانهم وآية بينة لكفاره [4].

◈وقوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ [5]

يتضح مما سبق أن الآيات السابقة متفقة لهذه الآية أنها كانت مشتملة على ضمير المتكلم الذي يعود على الله سبحانه وتعالى، والله واحد لا شريك له في الملك مختص وعليم في ملكه وعلمه وخلقه ومشيئته، ويتلازم مع هذا الضمير العائد ضمير دال على الجمع ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ﴾ ﴿هُمْ﴾، مما يوحي ذلك التعظيم للذات الإلهية والقدرة والتمكين والاختصاص والمقدرة والرحمة.

" فهذه رحمة من الله سبحانه وتعالى وعلم منه، حيث كان يقلبهم بأيدي الملائكة ذات اليمين وذات الشمال، كي لا تأكل الأرض ما يليها من أبدانهم على طول الزمان " [6].

---

(1) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ج 12، 30، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج5، ص207، والدر المنثور: ج4، 447.

(2) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج5، ص 207، والدر المنثور: ج4، 447.

(3) فتح القدير: ج 3، 323.

(4) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج 2، ص 288.

(5) الكهف: (18).

(6) التحرير والتنوير: ج 15، ص 280، وروح البيان: ج 5، ص 225، والجواهر الحسان في تفسير القرآن: ج5، ص 514.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكذلك لبيان اختصاص الله سبحانه وتعالى بالعلم ومعرفة حاجاتهم إلى التقليب كي لا تؤثر الأرض بأضلاعهم وجوانبهم، فكان يقلبهم وقت حاجتهم إلى التقليب ذات اليمين وذات الشمال[1].

◈وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا﴾[2] " لفظ ﴿ينصرونه﴾ هي فئة الجماعة، ينصرونه من دون الله عند هلاكها، ممتنعاً بقوته على انتقام الله منه، هنالك في ذلك المقام أو تلك الحال أو يوم القيامة " [3].

" أما سيبويه فقد أجاز لفظ ﴿يَنْصُرُونَهُ﴾ على معنى فئة تنصره، أي معناها أقوام، ولو كان اللفظ لقال، ولم تكن فئة تنصره، أي فرقة وجماعة يلتجئ إليهما " وما كان منتصراً " أي ممتنعاً " [4].

◈وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾[5] في الآية السابقة ورد لفظ ﴿نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾ بصيغة الجمع وهي كما قرأها الجمهور بنون العظمة أن الله سبحانه وتعالى تحدث عن هذه المعجزة التي تبهر عقول البشر، وتقتضي منهم التسليم لما فيها من انفكاك نظام هذا العالم الدنيوي، وإتيان العالم الآخروي [6].

"ولهذا أتت النون التي يسميها النحاة نون العظمة "، لتؤكد صدق هذه المعجزة، فالمتصدي لهذا العمل هو ﴿ ربك﴾ الذي لا يعجزه شيء مهما يعظم شأنه [7].

وفيما يبدو أن لفظ ﴿نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾ بصيغة الجمع وهي بمعنى إزالتها، فيه إجلال وتعظيم لقدرة الله سبحانه وتعالى على تسيير الجبال، فهو أمر ليس بسيطاً، ولا يقدر عليه أحد ".

---

(1) انظر :الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية: نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان، ج 1، ص 474، دار ركابي للنشر، الغورية، مصر، ط1، 1419 هـ - 1999م.

(2) الكهف: (42).

(3) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: وهبة بن مصطفى الزحيلي، ج 10، ص 250.

(4) وفتح القدير: ج 3، 342، التفسير الميسر: نخبة من أساتذة التفسير، ج 1، ص 298، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - السعودية، ط 2، 1430هـ - 2009 م، والجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): ج10، ص 410، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ج 12، 30.

(5) الكهف: (47).

(6) انظر. البحر المحيط في التفسير: ج7، ص 187.

(7) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ج 3 ،520، والبحر المحيط في التفسير: ج7، ص 187.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

◈وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾[1] إن التعديل عن المفرد إلى الجمع في قوله تعالى: ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ وهذا فيما يختص بالذات الإلهية، إذ تدل صيغة الجمع على التعظيم، وغالباً ما تكون على شكل ضمير المتكلم، فدلالة الجمع هنا تضفي ظلالاً من التعظيم والهيبة مع طبيعة الحدث ﴿الهلاك﴾، فتكرر الضمير ليزيد من هول الموقف والتصور.

◈وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾[2] في الآية الكريمة ظهر ضمير الجماعة في قوله تعالى ﴿فَخَشِينَا﴾، وهو عائد إلى متكلم بإظهار أنه مشارك لغيره في الفعل، وهو الخضر، لأن الله عز وجل أعلمه وأطلعه على سرائر أمره، وأمره بقتله كاختزامه لمفسدة عَرَفها في حياته [3].

" وهذا الاستعمال يكون من التواضع هنا لا من التعاظم لأن المقام مقام الإعلام بأن الله أطلعه على ذلك وأمره فناسبه التواضع، فقال ﴿فَخَشِينَا﴾ " [4].

" وقيل: إنه أسند الضمير إلى خضر وأصحابه الصالحين الذين أهمهم الأمر وتكلموا " [5].

◈وقوله تعالى: ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾[6] في الآية الكريمة ورد لفظ ﴿أَرَدْنَا﴾ بصيغة الجمع لأن الخضر عليه السلام علم أنه المقتضى للمجيء بنون العظمة كما تفضل الله به عليه من العطايا العظيمة والمواهب الجسيمة التي من جملتها العلم الذي فضله الله به حين أخبر موسى عليه السلام لما سأله في الأرض أعلم منه [7].

---

(1) الكهف: (59).
(2) الكهف: (80).
(3) انظر: التحرير والتنوير :، ج 16، ص 13، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ج2، 741، والبحر المحيط في التفسير: ج7، ص142، الجواهر الحسان في تفسير القرآن: ج3، ص 538.
(4) التحرير والتنوير: ج 16، ص13، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج5، ص 238.
(5) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج5، ص 238.
(6) الكهف: (81).
(7) انظر: فتحُ البيان في مقاصد القرآن: ج8، ص 95.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

◈وقوله تعالى: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾[1] في الآية الكريمة ورد لفظ ﴿وَعَرَضْنَا﴾ بصيغة الجمع لتحقيق أنه جمع حقيقي، وعرض حقيقي ليسا من المجاز وفي تنكير الجمع والعرض تهويل [2].

◈وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[3] ورد في الآية الكريمة لفظ ﴿أَقْلَامٌ﴾ بصيغة الجمع بدل المفرد " وذلك لقصد التكثير، وهو من وقوع المفرد موقع الجمع " [4].

وهنا إشارة إلى الإخبار بكثرة كلمات الله، والمراد اتساع علمه ومعنى الآية: أن شجر الأرض لو كانت أقلاما، والبحر لو كان مدادا يصب فيه سبعة أبحر صبّا دائما وكتبت بذلك كلمات الله لنفدت الأشجار والبحار ولم تنفد كلمات الله، لأن الأشجار والبحار متناهية، وكلمات الله غير متناهية[5].

يظهر مما سيبق أن لفظ الجمع في قوله تعالى: ﴿أَقْلَامٌ﴾ يلفت إلى تصور أن كل ما في الأرض من شجر كان أقلاما، وأن كل مياه البحار قد أصبحت مدادا.. ثم أخذت هذه الأقلام تستملى من هذا المداد، وتكتب من غير توقف، ما نفدت كلمات الله أي معلوماته، التي يكتبها بتلك الأقلام بذلك المداد ولا بأكثر من ذلك، لأن معلوماته تعالى غير متناهية. إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ لا يعجزه شيء. حَكِيمٌ لا يخرج شيء عن علمه وحكمته.

---

(1) الكهف: (100).

(2) انظر: التحرير والتنوير: ج 16، ص42.

(3) لقمان: (27).

(4) فتح القدير: ج 4، ص 272، واللباب في علوم الكتاب: ج 15، ص 458، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ج9، ص 71، التسهيل لعلوم التنزيل ،ج2، ص139.

(5) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل ،ج2، ص139.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الخامس

التعبير عن الجمع بصيغة المفرد

وهو من صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر، " حيث أن المتكلم جعل الجمع كالشيء الواحد لشدة الاتصال والتماسك، بحيث لا ينفصل أحدهما عن الآخر ولا يحدث بينهما تمايز أو افتراق، وهناك علل بلاغية أخرى ترجع إلى كل مثال على انفراد " [1].

ومن أمثلته في القصص القرآني:

◈قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[2] في الآية الكريمة السابقة ورد لفظ ﴿كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ وكلمة لفظ بصيغة المفرد وهنا يريد بها قضاءه وتقديره لبني آدم بالآجال المؤمنة، ويحتمل أن يريد " الكلمة " في أمر القيامة وأن العقاب والثواب إنما كان حينئذ [3].

◈وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾[4] " ورد لفظ ﴿ ضَيْفِي ﴾ هنا بلفظ المفرد الواحد وهو يريد به الجماعة " [5]، بمعنى لا تفضحوني في أضيافي، يريد أنهم إذا هجموا على أضيافه بالمكروه لحقتهم الفضيحة يعني المراد هنا ﴿ضَيْفِي﴾ الجمع أضيافي، وورد لفظ ﴿ضيفي﴾ قائم مقام الأضياف كما قام الطفل مقام الأطفال [6]، فالغرض البلاغي يتمثل في التعبير عن عمق العلاقة الحميمة بين لوط وأضيافه ، ولو قال أضيافي لتوزعت العلاقة بينهم ، وكان ذلك أضعف.

---

(1) من بلاغة القرآن: محمد علوان، ونعمان علوان، ص 104.

(2) يونس: (19).

(3) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ج 3، 112.

(4) هود: (78)

(5) تأويل مشكل القرآن: ج 1، ص 176.

(6) انظر :اللباب في علوم الكتاب: ج 15، ص 458.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

◈وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[1] ورد في الآية الكريمة لفظ ﴿مِثْلِهِ﴾ بما يوصف به الفرد، ولم يقل أمثاله، لأن المراد مماثلة كل واحدة من السور أو يقصد الإيماء إلى أن وجه الشبه ومداره المماثلة في شيء واحد وهو البلاغة البالغة حد الإعجاز [2].

◈وقوله تعالى: ﴿قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾[3] " ورد عن أخوة يوسف في الآية الكريمة ﴿قَالُوا نَفْقِدُ﴾ بضمير الجمع، وقوله تعالى ﴿وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ أي هنا وكفيل أوديه أليه، يعني أفرد الضمير للدلالة أنا لأنه في الأساس القائل واحد، وينسب القول إلى الكل لرضاهم إليه " [4].

◈وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾[5] عُبر في الآية الكريمة السابقة عن الجمع ﴿وفروعها﴾ " أي اقناؤها " [6]، بلفظ المفرد ﴿وَفَرْعُهَا﴾ في السماء في جهة العلو، وقيل " إنه يجوز أن يراد وفروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس عن الجمع لاكتساب الاستغراق من الإضافة " [7].

◈وقوله تعالى: ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾[8] ورد لفظ ﴿كَلِمَةً﴾ في الآية الكريمة بصيغة المفرد، حيث إن كلامهم من سقط المتاع وما ذكر منه، وما بقي، فالكلمة هنا تشمل عدة كلمات قالوها ﴿اتخذ الله ولدا﴾[9]. إن

---

(1) هود: (13).
(2) انظر :فتحُ البيان في مقاصد القرآن، ج 6، ص 150.
(3) يوسف: (72).
(4) التسهيل لعلوم التنزيل: ج10،ص 187.
(5) إبراهيم: (24).
(6) التفسير المظهري: ج6، ص 266.
(7) التفسير المظهري: ج6، ص 266، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج5، ص 43، والبحر المحيط في التفسير: ج6، ص 432.
(8) الكهف: (5).
(9) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ج 17، س 596.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التعبير عن الجمع بصيغة المفرد، جاء تهويناً وتحقيراً لشأن قائلها، وكأن كل كلامهم يعدل كلمة.

◈وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾[1] إن الخطاب كان في البداية للجميع متمثلاً في قوله تعالى ﴿رَبِّكُمْ﴾، فالله رب الجميع المؤمنين والكافرين، أما اختيار الإيمان والكفر فهو متعلق بكل واحد من البشر، ولذا جاء الخطاب للمفرد بعد أن كان للجمع.

◈وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾[2] في بداية الآية السابقة كان الحديث عن الأعمال الصالحات، وهو بالطبع جمع، وذلك لتحفيز المؤمنين على الإكثار منها، فينتقل إلى المفرد ﴿أَجْرَ﴾ فالأعمال الصالحات لها أجور ولكن سياق النفي الذي خص القليل فإنه يشمل الكثير، فإذا كان عند الله القليل من الصالحات فل يضيع لديه الكثير.

◈وقوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[3] ورد في الآية الكريمة السابقة لفظ ﴿الْكِتَابُ﴾ وهو بمعنى الصحائف وهنا أفرده لكون التعريف فيه للجنس، والوضع إما حسي بأن توضع صحيفة كل واحد في يده: السعيد في يمينه، والشقي في شماله، أو في الميزان، وإما عقلي: أي أظهر عمل كل واحد من خير أو شر بالحساب الكائن في ذلك اليوم[4].

ويرى الباحث أنه عُدل عن الجمع إلى المفرد لأمرين، أحدهما التماثلية بين الكتب فكلها تتصف بالدقة والشمول في ضبط أعمال البشر، والجانب الآخر صوتياً فلفظ المفرد أخف من الجمع (ووضعت الكتب).

---

(1) الكهف: (29).
(2) الكهف: (30).
(3) الكهف: (49).
(4) فتح القدير: ج 3، 346.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

◈وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾[1] في الآية جاء اللفظ الدال عليهم ﴿عَدُوّ﴾ بصيغة المفرد علماً أن عددهم كثير، ولكنه أفرده لكونه اسم جنس أو تشبيه بالمصادر [2] و"علماً أنه قال بصيغة الجمع لفظ ﴿قُلْنَا﴾ حيث عظم الله – سبحانه – شأن المؤمن، ويقلل من شأن الجماعة لكفرها، فإبليس وذريته وأعوانه أعداء للمؤمنين" [3]، "على اختلاف نوعهم من يهود أو نصارى أو مجوس أو غيرهم بلا اختلاف بينهم على عداء الإسلام فصاروا بمجموعهم عدو واحد لذا عبر عنهم بالمفرد"[4].

وقيل أنه جاء بلفظ المفرد " ليلفت انتباه المسلمين إلى أن أعداء الحق مهما تعددت مذاهبهم يلتقون حول هدف واحد هو القضاء على الحق وأهله" [5]، وكذلك أمرهم كشيء واحد قليل هين على الله، وكذلك لتمكين علاقة العدواة وكأنها بين عدوين لدودين ، وليس مع آخرين فتتوزع بينهم العداوة.

◈وقوله تعالى :﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾[6] في الآية السابقة في لفظ ﴿عَضُدًا﴾ عدول عن الجمع من باب الخفة لفظاً، والتقليل من شأن المضلين ﴿عَضُدًا﴾[7]، حيث السياق كان عن المضلين فيقتضي التعبير بالجمع، ولكنه عدل عن الجمع بالمفرد، لتحقيق لطائف بلاغية وصوتية مما يشكل وحدة انسجام، ويظهره حتى في الكلمة الواحدة من النص، فجمع عضد أعضاد، أفردها من باب التهوين في شأن هؤلاء المضلين، وأنهم مخلوقات ضعيفة [8].

---

(1) الكهف: (51).
(2) انظر: المرجع السابق: ج3، ص 369.
(3) انظر: فتح القدير: ج 3، 369، وروح البيان: ج 2، ص 255.
(4) انظر: فتح القدير: ج 3، ص 369.
(5)الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ: محمد أمين الخضري، ص 63، وروح البيان: ج 2، ص 255، والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: ج 15، ص 270.
(6) الكهف: (51).
(7) معنى عضدا: أعوانا / انظر: مختصر تفسير ابن كثير: (اختصار وتحقيق) محمد علي الصابوني، ج1، ص34، دار القرآن الكريم، بيروت، ط7، 1402 هـ، 1981 م، مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري، تحقيق: محمد فواد سزگين، ج1، ص406، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1381 هـ.
(8) انظر :الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ: محمد أمين الخضري، ص 63.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" وما أشهدت إبليس وذريته خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم، وما أشهدت بعضهم أيضاً خلق بعض منهم، فهنا جاء لفظ مفرد مناسب للمقام، وذلك لتحقيره والتقليل من شأنه"[1]، لقد كان مناسباً حتى من الناحية الصوتية لو نظرنا إلى لفظ الجمع لعضد (أعضاد)، نجد فيه صعوبة وعدم انسجام، أمام لفظ عضد فهو أخف على اللسان.

◈وقوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾[2] لقد خص الله الأمم السابقة بعذاب يتناسب مع طبيعة الإثم الذي كانوا يرتكبونه، فالعذاب مختلف ولكن التعبير عنه جاء بالمفرد ليدل على أن القاعدة والميزان واحد، فعدل عن الجمع (سنن) إلى المفرد، لبيان تلك القاعدة الواحدة التي لم تتغير قديماً ولن تتغير لاحقاً.

◈وقوله تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[3] لقد ذكر القرآن كلمة ﴿وَرَاءَهُمْ﴾ جمع، فما يناسب المقام كلمة الجمع سفن، " ولكنه عدل عن الجمع للخفة، وقد يكون ذكر المفرد في السياق أ لين عبارة وأخف مسلكاً، وأدق تعبيراً " [4].

" حيث كان الملك الظالم يستولي على السفن، ويأخذها غصباً"[5]، فذكر الله تعالى السياق مفرداً أخف من الجمع " فترك الجمع لتقارب مخارج حروفه، وثقل تتابع الضمة" [6]. أي ما يسمى في البلاغة العدول عن الجمع للخفة.

"وقيل ذكر لكلمة ﴿سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾عموم معناه الخصوص في الجياد والصحاح من السفن"[7].

---

(1) محاسن التأويل: ج7، ص 43، والإعجاز البياني في صيغ الألفاظ: ص 63.

(2) الكهف: (55).

(3) الكهف: (79).

(4) الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ: ص 85.

(5) التفسير القرآني للقرآن: ص665، ومعاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، ج 3، ص345، عالم الكتب، بيروت، ط 1، 1408 هـ - 1988 م.

(6) التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم يونس الخطيب، ص85.

(7) التسهيل لعلوم التنزيل: ج1،ص 472.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

◈وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾[1] إن الكافرون على اختلاف بواعثهم ومذاهبهم متماثلون في قلوبهم نتيجة ضلالهم، وكأنهم جميعاً قد غطي على عيونهم بغطاء واحد فهم متماثلون ولا يبصرون شيئاً، ربما لذلك جاء لفظ ﴿غِطَاءٍ﴾ بصيغة المفرد.

وأن اللفظ ﴿غِطَاءٍ﴾ جاء مفرداً للتحقير من شأن الكافرين، والتعظيم لله سبحانه وتعالى حيث أن أمرهم هين ولا يأخذ الأمر معه سوى غطاء ليغطي كل أعينهم.

◈وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2] ورد في الآية الكريمة لفظ ﴿شَجَرَةٍ﴾ بصيغة المفرد وذلك لتفصيل كل شجرة وتقصيها شجرةً شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجرة الواحدة إلا قد بريت أقلاماً [3]، يعني أنه قال تعالى: ﴿شَجَرَةٍ﴾ بصيغة المفرد ولم يقل أشجار باسم الجنس الذي يقتضي العموم لأنه أراد تفصيل الشجرة إلى شجرة شجرة حتى لا يبقى واحدة منها[4]. وورد في تفسير أبي السعود" أن توحيد الشجرة المراد منها تفصيلُ الآحاد " [5].

يظهر مما سبق وفي قوله تعالى: ﴿ مِنْ شَجَرَةٍ ﴾ إشارة إلى استغراق كل ما في الأرض، شجرة شجرة، من كل جنس، وكل صنف من أصناف الشجر.. وأنه لو جاء النظم القرآني﴿من شجر﴾ بالجمع بدلا ﴿من شجرة﴾ بالإفراد، لما دلّ على هذا الاستغراق، الذي يشمل كل شجرة في الأرض ولكان فيه احتمال يتناول بعض الشجر دون بعض، أو الشجر الذي تستعمل منه الأقلام دون غيره مثلا.. والله أعلم.

◈وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾[6] ورد لفظ ﴿مَوْجٌ﴾ بصيغة المفرد، وورد أنه " أفرده لأنه لشدة اضطرابه وإتيانه شيئاً في أثر شيء متتابعاً يركب بعضه بعضا كأنه شيء واحد "[7]

---

(1) الكهف: (101).
(2) لقمان: (27).
(3) فتح القدير: ج 4، ص 272، واللباب في علوم الكتاب: ج 15، ص 458، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ج 11، ص 129.
(4) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ج2،ص 139، التفسير القرآني للقرآن: ج 11، 583.
(5) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج25، ص 128.
(6) لقمان: (32).
(7) نظم الدرر: ج 15، ص 207.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث السادس

التغليب

التغليب لغة:

من غلب، أي قهره، وغُلب على صاحبه: حُكم عليه بالغلبة، وتغلب على بلد كذا: استولى عليه قهراً، وغلبت أنا عليه تغليبا [1].

والتغليب اصطلاحاً:

"هو ترجيح أحد المغلوبين على الآخر، وإطلاق لفظه عليهما " [2]، قال تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[3]، وقوله تعالى ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[4] وهنا لفظ ﴿تَجْهَلُونَ﴾ بالتاء، حيث غلب المخاطبون على الغيب [5].

أقسام التغليب [6]:

أولاً: تغليب المذكر على المؤنث ومن أمثلته في القصص القرآني :

◈قوله تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ﴾[7] في الآية الكريمة ورد لفظ ﴿رَجُلٍ﴾ وهذا من باب تغليب المذكر على المؤنث[8]،ومن دواعي إفراد كل جنس

(1) انظر: لسان العرب: ج1، ص 651.
(2) البرهان في علوم القرآن: ج 3، ص 302.
(3) ص : (72 -73).
(4) النمل: (55).
(5) انظر :التبيان في المعاني والبديع والبيان: ص 29.
(6) انظر: ص 68- 69.
(7) يونس: (2).
(8) انظر: البرهان في علوم القرآن: ج 3، ص 302.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على حدة في الخطاب الشرعي خصوصية السبب الذي نزلت من أجله الآيات الكريمة، ففي موضوع (الرسالة) خص – سبحانه – الرجال بالذكر ولم يذكر النساء، لأن الرسالة خاصة بالرجال، لأنهم الأصلح لها من حيث التكوين.

◈وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[1] هذه الجملة مستأنفة معطوفة عطف كلام على كلام وضمير أسروا عائد على كل نفس فيشمل نفوس المخاطبين مع غيرهم، وضمير أسروا عائد إلى كل نفس باعتبار المعنى مع تغليب المذكر على المؤنث [2].

وقوله تعالى:﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾ هنا "صفة لنفس، أي ولو أن لكل نفس ظالمة"[3] .

◈وقوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾[4] قال الله تعالى في الآية السابقة ﴿مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ ولم يقل من الخاطئات " لأنه لم يقصد بذلك قصد الخبر عن النساء، وإنما قصد به الخبر عمن يفعل ذلك فيها " [5]، " وتقديره من القوم الخاطئين " [6]، " وربما المتعمدين " [7].

وفيما يبدو أن هذا من باب تغليب المذكر على المؤنث، وله وجوه عدة ربما لأن يوسف عليه السلام هنا غير خاطئ، وقد وردت آيات خاصة به، وأنصفته، إلا أن الخاطئين في الأصل هم من الجنسين، وطالما وجد خليط من الذكور والإناث، خاصة أنه بصدد الحديث عن نماذج

---

(1) يونس: (54).

(2) انظر: التحرير والتنوير: ج 11، ص198.

(3) البرهان في علوم القرآن: ج 3، ص 302، والبحر المحيط في التفسير: ج6، ص 72، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج 2، ص 288، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ج3، ص 222.

(4) يوسف: (29).

(5) جامع البيان في تأويل القرآن: ج 16، ص 620.

(6) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج 2، ص 106، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج3، ص 161، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل :، ج2 ،ص 461، والكشف والبيان عن تفسير القرآن: ج5، ص 216، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ج 10، 70.

(7) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ج2 ،ص 461.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

، فيوسف نموذج للخير في مواجهة النماذج الشريرة من الخاطئين، لكن القاعدة أن يغلب المذكر على المؤنث .

وربما أن الخطأ المذكور " هو التحرش " وهو من عادة الرجال ويندر بالنساء، وبالتالي كان خطؤها متشبهاً بالرجال، فناسب الإتيان بجمع المذكر.

وهذا التغليب في صالح النساء وليس في صالح الرجال، حيث ذكر الرجال بجمع المذكر السالم، وستر النساء الخاطئات المشمولات به على سبيل التغليب " وهذا ما يعرف بتغليب المذكر على المؤنث " [1].

ثانياً: تغليب العاقل على غير العاقل ومن أمثلته في القصص القرآني :

◈قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[2]

"ختمت الآية الكريمة بقوله تعالى:﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾أي أفلا تتعظون بهذه الحجج والآيات"[3]، فينبهكم على أنه المستحق للربوبية والعبادة، لا ما تعبدونه فالتذكير يعني التأمل، وهذه الصيغة لا تطلق إلا على ذِكر العقل لمقولاته، أي حركته في معلوماته، فهو قريب من التفكر إلا أن التذكر لما كان مشتقاً من مادة الذكر التي هي في الأصل جريان اللفظ على اللسان، والتي يعبر بها أيضاً عن خُطور المعلوم في الذهن، وهذا خاص بالعقلاء [4]، وهنا ما يعرف " بتغليب العاقل على غير العاقل " [5].

---

(1) والبرهان في علوم القرآن: ج 3، ص 310.

(2) يونس: (3).

(3) جامع البيان في تأويل القرآن: ج 15، ص 19، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج3، ص 105.

(4) انظر: التحرير والتنوير: ج 11، ص 89.

(5) البرهان في علوم القرآن: ج 3، ص305، وانظر: أسلوب التغليب في القرآن الكريم: محمود عبد العظيم صفا، ص 113، مطبعة الأمانة، مصر، ط1، 1983م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

◈وقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1] لقد استفتحت الآية الكريمة بقوله تعالى ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّماواتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي بالملك والإحاطة، وغلب من يعقل في قوله مَن إذ له ملك الجميع ما فيها ومن فيها، وإذ جاءت العبارة ب " ما " فذلك تغليب للكثرة إذ الأكثر عددا من المخلوقات لا يعقل، فـ﴿مَنْ﴾ تقع للصنفين بمجموعهما، "وما" كذلك، ولا تقع لما يعقل إذا تجرد من الصفات والأحوال " [2].

◈وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾[3] هذه الآية إجابة على تقدير سؤال وقع جواباً له، كأن يعقوب عليه السلام قال له عند قوله ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ كيف رأيتها سائلاً عن حال رؤيتها ؟ فقال رأيتهم ساجدين، وهنا أجريت مجرى العقلاء قوله تعالى ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾، لأنه لما وصفها بما هو خاص بالعقلاء وهو السجود، أجرى عليها حكمهم كأنها عاقلة [4]، فلما كانت الحالة المرئية من الكواكب والشمس والقمر حالة العقلاء، "وهي حالة السجود نزلها منزلة العقلاء، فأطلق عليها ضمير (هم) وصيغة جمعهم" [5].

يظهر مما سبق أنه وضع في الآية السابقة لفظ ﴿رَأَيْتُهُمْ﴾ وهي للعقلاء بدلاً من رأيتها وهي لغير العقلاء، وذلك بسبب وصف القمر والشمس والكواكب بصفة ظاهرها في العقلاء ﴿سَاجِدِينَ﴾ من باب تغليب صفة العقلاء واستعمل خطاب العقلاء ﴿رَأَيْتُهُمْ﴾ بدلاً من ﴿رأيتها﴾ لغير العقلاء.

---

(1) يونس: (55).

(2) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ج 6، 146، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ج 2 ،130، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ج 3 ،223.

(3) يوسف: (4).

(4) انظر :الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ج2 ،444ص، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج4، ص 252، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ج 10، ص 6، والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: ج 12، ص 204.

(5) التحرير والتنوير: ج 11، ص208.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

◈وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾[1] لفظ ﴿حَشَرْنَاهُمْ﴾ الحشر المذكور شامل العقلاء وغيرهم من أجناس المخلوقات، وقوله ﴿حشرناهم﴾ يعني جميعاً، وأنه لم يغادر منهم أحدا [2].

ثالثاً: تغليب الأب على الأم ومن أمثلته في القصص القرآني :

◈وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[3] ﴿أَبَوَيْكَ﴾ " أردا بالأبوين الجد وهو إسحاق، وأبا الجد وهو إبراهيم – عليهما السلام – وكانا أبوين لأنهما في حكم الأب من حيث الأصالة " [4].

وقد عبر عنهما بأبوين ليوسف، مع أن إبراهيم جد أبيه وإسحاق جده، للإشعار بكمال ارتباطه بالأنبياء عليهم السلام، وللمبالغة في إدخال السرور على قلبه، بالإضافة إلى أن هذا الاستعمال موجود فعلاً في لغة العرب [5].

أو لربما أن النعمة التي يريد أن يتمها عليه أو التي حصل عليها امتياز إبراهيم وإسحاق من سائر الناس ليس إلا النبوة، فوجب أن يكون المراد بإتمام النعمة: هو النبوة، وعلى هذا فيلزم الحكم بأن أولاده يعقوب كلهم كانوا أنبياء [6].

◈وقوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[7]

---

(1) الكهف: (47).
(2) انظر :أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ج3، ص 284.
(3) يوسف: (6).
(4) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج 2، ص 96، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم: ج 7، ص 320.
(5) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم: ج 7، ص 320.
(6) انظر :اللباب في علوم الكتاب: ج 11، ص 29.
(7) يوسف: (100).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عبرت الآية بلفظ ﴿أَبَوَيْهِ﴾ أي الأب والأم، وقيل الخالة، ولم يقل الوالدين ربما لأن في قصة يوسف لم يرد ذكر الأم مطلقاً، وإنما ذكر الأب، وربما لأن العرش عادة ما يكون للملوك ومن في حالهم، وهؤلاء عادة الرجال، لذلك عند الرفع على العرش ثنى بالأبوين.

" وهذا من باب التغليب " [1]، " فالرفع مؤخر عن الخرور، وإن تقدم لفظاً للاهتمام بتعظيمه لهما، أي سجدوا له ثم أجلس أبويه على عرش الملك " [2].

" وهذه تحية قبلهم، وكان بها يحيي بعضهم بعضاً "، فهذه سجدة لشرفه كما سجدت الملائكة لآدم وليست سجدة عبادة " [3]، فهذه الأمور كانت جائزة في عقيدتهم، محرمة في شريعتنا.

◈وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ [4]

"لفظ ﴿أَبَوَاهُ﴾ فيه تغليب حيث المقصود بأبويه أبوه كازير وأمه سها وهم مؤمنين وهو كافر"[5] وهذا على طريق التغليب، " وقيل يراد بها الأب والخالة وهذا أقرب" [6].

◈قوله تعالى:﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [7] كلمة ﴿الوالدين﴾ في اللغة مثنى يقصد به الوالد والوالدة من " باب تغليب المذكر على المؤنث" [8].

يظهر مما سبق أن القرآن الكريم لم يذكر ﴿ووصينا الإنسان بأبويه﴾ لأن كل سورة لقمان لم يذكر أبداً لفظ أب، وإنما ذكرت الأم الحامل والولادة....

---

(1) اللباب في علوم الكتاب: ج 11، ص 213، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ج3، ص 558.
(2) انظر: المراجع السابقة.
(3) جامع البيان في تأويل القرآن: ج 16، ص 269، والدر المنثور: ج4، 588، وزاد المسير في علم التفسير: ج 1، 474.
(4) الكهف: (80).
(5) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج 2، ص 252، والتفسير الميسر: نخبة من أساتذة التفسير، ج 1، ص302، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – السعودية ،ط 2، 1430هـ – 2009 م، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ج7، ص 537.
(6) البحر المحيط في التفسير: ج7، ص 214.ج7، وصفوة التفاسير: ج2، ص 184، والبرهان في علوم القرآن: ج 3، ص 321، والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: ج 16، ص 6.
(7) لقمان: (14).
(8) البرهان في علوم القرآن: ج3، ص 302.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهنا غلب المذكر على المؤنث بصفة المؤنث لأن الكلمة تؤخذ من الولادة، والولادة للمرأة، وهنا يشير إلى حق الأم [1].

رابعاً: تغليب الموجودين على غير الموجودين ومن أمثلته في القصص القرآني :

◈قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [2]في لفظ ﴿مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾فهنا محكمة البعث يحدث فيها الجزاء على الأعمال المتفرقة في الحياة الدنيا، إذ أرسل الناس على أعمالهم بغير جزاء على الحسن والقبيح لاستوى المحسن والمسيء وربما كان بعض المسيئين في هذه الدنيا أحسن فيها حالاً[3].

" فكان من الحكمة أن يلقي كل عامل جزاء عمله، وقدم جزاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات لشرفه ولياقته بذلك العالم، ولأنهم قد سلكوا في عالم الحياة الدنيا ما خلق الله الناس لأجله ولم يتصرفوا فيه، وهنا تغليب الصلاح على الفساد" [4] ، وهذا من باب تغليب الموجودين على غير الموجودين .

◈وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ [5] وردت الألفاظ التالية في الآية السابقة ﴿أَجْمَعُوا﴾ و ﴿أَمْرَهُمْ﴾ و﴿وَهُمْ﴾ تحتوي على ضمائر عائدة إلى كل من صدر منه ذلك في هذه القصة من الرجال والنساء على طريقة التغليب، ويشمل أخوة يوسف عليه السلام والسيارة وامرأة العزيز، ونسوتها [6].

" فمثلاً كلمة ﴿أَجْمَعُوا﴾ عائدة إلى إخوة يوسف حين عزموا على إلقائه في غيابة الجب، وهم في هذه الحالة يمكرون به " [7].

---

(1) انظر: التفسير المظهري : ج7، ص 255.
(2) يونس: (4).
(3) انظر: التحرير والتنوير: ج 12، ص 92.
(4) المرجع السابق: ج 12، ص 92.
(5) يوسف: (102).
(6) انظر: التحرير والتنوير: ج 14، ص 61، وروح البيان: ج 4، ص 328.
(7) فتح القدير: ج 3، 69.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

◈وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1] ورد في قوله تعالى لفظ ﴿كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ وهي تطلق على كل موجود واستعمل اللفظ للتعبير عن الموجودات الأعظم والأشرف، وهي جمع قلة مع الإضافة إلى اسم الذات إلى زيادة العظمة بالعجز عن ذلك القليل، فيفهم العجز من الكلم من باب الأولى [2].

" وورد بلاغة لفظ ﴿كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ بجمع الكثرة أبلغ لأنه إذا لم تنفد الكلمات مع أنه جمع قلة، فكيف ينفد الجمع الكثير " [3].

إن لفظ ﴿كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ بصيغة الجمع يدل على التكثير والمبالغة وليس التغليب، حيث تفهمنا الآية معنى أن كلمات الله لا تفي بكتبتها البحار، فكيف بكلمه والله أعلم.

خامساً: تغليب الأكثر على الأقل ومن أمثلته في القصص القرآني :

◈قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[4] جاء في الآية السابقة " لفظ ﴿الْأَرْضِ﴾ لسعة مدلولها، ما يشعر بعظم ذلك التمكين، فالأمر ليس متعلقاً بمدينة أو قرية أو مملكة، بل الأرض كلها، وحتى لو كان المراد بالأرض أرضاً خاصة[5].

يستنتج مما سبق أن ورود لفظ ﴿الْأَرْضِ﴾ بهذا الشكل من التعميم والشمولية أضفى ظلالاً كبيراً على دلالة السعة، وعظم تمكين الله – سبحانه – له.

---

(1) لقمان: (27).

(2) انظر :نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ج 15، 197.

(3) التسهيل لعلوم التنزيل ،ج2، ص 139، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج4، ص 216.

(4) يوسف: (21).

(5) جماليات النظم القرآني في قصة المراودة في سورة يوسف: عويض بن حمود العطوي، ص 43، مكتبة الملك فهد الوطنية، المملكة العربية السعودية، الرياض، 1431هـ، 2010م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

◈وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾[1] التغليب جاء في قوله تعالى ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾ أي أكثر الناس، حيث شملت الكلمة لكل ما تدل عليه من ناس عرب وعجم...[2]، " للدلالة على كثرة الناس المقرين بأن الله خلق السموات والأرض وهم مشركون بعبادة الوثن" [3].

" وهذا بحكم تغليب الأكثر على الأقل بأن ينسب إلى الجميع وصف يختص بالأكثر " [4].

◈وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾[5]

" لا يمتنع أن يكون الاستثناء متصلاً تغليباً للملائكة الذين هم ألوف مؤلفة على إبليس الذي هو فرد واحد بين أظهرهم " [6]، وهو لم يكن من الملائكة فهو أصل الجن كما أن آدم أصل الإنس [7].

" وقد يكون للتقليل من شأنه، كأن قائلاً قال: ما له لم يسجد ؟ فقيل: كان من الجن ففسق عن أمر ربه " [8].

لقد غلب الملائكة على إبليس للكثرة لأنه كان جنياً واحداً بين أظهر الألوف من الملائكة، مغموراً بهم فغلبوا عليه في قوله تعالى ﴿ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾، ثم استثنى منهم استثناء واحداً منهم.

وهذا نوع من أنواع التغليب الذي يسمى بتغليب الجنس الكثير الأفراد على فرد من غير هذا الجنس مغمور فيما بينهم، بأن يطلق اسم الجنس على الجميع [9].

---

(1) يوسف: (106).
(2) زهرة التفاسير: ج2، ص 3869.
(3) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج 2، ص 138.
(4) البرهان في علوم القرآن: ج 3، ص 309.
(5) الكهف: (50).
(6) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ج2 ،ص 727.
(7) انظر مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج 2، ص 305، وتفسير القرآن العظيم: ج5، ص 67، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي): ج5، ص 178.
(8) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ج2 ،ص 727.
(9) انظر: البرهان في علوم القرآن: ج 3، ص 310، والإشارات والتنبيهات في علم البلاغة: ص 69.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

◈وقوله تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[1] ورد في الآية السابقة لفظ ﴿السَّفِينَةُ﴾ التي خرقها ﴿فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ﴾ لضعفاء لا يقدرون على مدافعة الظلمة، وقيل كانت لعشرة إخوة، خمسة منهم ذوو عاهات لا قدرة لهم، وخمسة يعملون في البحر [2].

" وإسناد العمل إلى الكل حينئذ إنما هو بطريق التغليب " [3]، أو لأن عمل الوكلاء بمنزلة عمل الموكلين ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ أي اجعلها ذات عيب ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ﴾ أي أمامهم وقد قرئ به أو خلفهم وكان رجوعهم عليه لا محالة [4]، وهذا التغليب يسمى " بتغليب الأكثر على الأقل، فينسب فيه إلى الجميع وصف يختص بالأكثر " [5].

سادساً : تغليب الموصوف على غير الموصوف ومن أمثلته في القصص القرآني :

◈قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[6] " مقتضى السياق في الآية السابقة – إنما بغيهم على أنفسهم، فلفظ ﴿أَيُّهَا النَّاسُ﴾ المقصود بهم أولئك الباغين" [7]، ولكنه سبحانه وتعالى جعل النداء عاماً لكل الناس لعلمه السابق بأن النفس أمارة بالسوء، فخاطب الناس بهذا النداء ليحذرهم جميعاً " وليعلم الجميع أن لكل فعل مقابلاً من ثواب أو عقاب " [8]، وهذا من باب " تغليب الموصوف على غير الموصوف [9].

---

(1) الكهف: (79).
(2) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج : ج12، ص6، والتسهيل لعلوم التنزيل: ج2،ص 472.
(3) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: ج 12، ص 6.
(4) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج5، ص 235.
(5) البرهان في علوم القرآن: ج 3، ص 309.
(6) يونس: (23).
(7) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ج 6، 93.
(8) تفسير الشعراوي – الخواطر: ج 10، ص 5858.
(9) البرهان في علوم القرآن: ج 3، ص 308.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

◈وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾[1] في قوله تعالى ﴿أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ﴾ قيل في تفسير هذه الآية " أنه أهلك من ظلم ومن لم يظلم، فما يعلم من أهلك من الظلمة أنه إنما أهلكهم لظلمهم، أو أهلك لصلاح من لم يظلم " [2].

" ويكون القرن في الزمنية، ولذلك يحسب كل قرن مائة سنة، والبشر الذين يجتمعون في مائة سنة يسمونها قرناً، أو القرن جماعة يقترنون في شيء يجمعهم، مهما يطل بهم الأمد" [3]، "فالإهلاك لجميع من كان من قبلهم"[4] .

◈وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[5] في قوله تعالى ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ تعميم للخطاب إثر تخصيصه بمقتدى الكل، وقد رُوعي في كل من المقامين ما يليق به حيث ذكر أولاً من الأعمال ما فيه فخامة وجلالة [6].

وفيما أظن أنه عمم الخطاب مع الكل؛ لأن تخصيصه وإن كان في الظاهر مختصاً بالرسول ﷺ، إلا أن الأمة داخلون فيه، لأن رئيس القوم إذا خوطب دخل قومه في ذلك الخطاب [7] .

◈وقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[8] في قوله تعالى: ﴿قُلْنَا احْمِلْ

---

(1) يونس: (13).
(2) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): ج6، 17.
(3) تفسير الشعراوي – الخواطر: ج 9، ص 5784،
(4) البرهان في علوم القرآن: ج 3، ص 309.
(5) يونس: (61).
(6) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج4، ص 157، ومفاتيح الغيب (التفسير الكبير): ج17، ص 272، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج3، ص 117.
(7) اللباب في علوم الكتاب: ج 10، ص 363.
(8) هود: (40).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ " أمر بالركوب كل من أمر بحمله من الأزواج والأهل والمؤمنين، ولا يمتنع أن يفهم خطابه من لا يعقل من الحيوانات، وممكن هذا على طريق التغليب " [1].

◈وقوله تعالى: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾[2] جاء فجامع المعجز في قوله تعالى : ﴿تِلْكَ آيَاتُ﴾ أي البين في نفسه، الجامع لجميع المرادات... والذي لا يشتبه على العرب بوجه، والموضح لجميع ما حوى، وهو جميع المرادات لمن أمعن التدبر وأنعم التفكير [3].

وقيل آيات الكتاب المبين لمن تلاه وتدبر فيه من حلاله وحرامه ونهيه، وسائر ما حواه من صنوف معانيه ؛ لأن الله جل ثناؤه أخبر أنه مبين، ولم يخص إبانته عن بعض ما فيه دون جميعه، فذلك على جميعه إذ كان جميعه عما فيه [4] .

◈وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[5] لفظ ﴿قُرْآنًا﴾ الذي ورد في الآية السابقة " اسم جنس يقع على الكل وعلى البعض، وعلى تقرير أن المراد بالكتاب كل القرآن، فتكون تسمية قرآناً واضحة عربياً صفة لقرآناً " [6]، " وهذا ما يسمى بتغليب المتصف بالشيء على ما لم يتصف به " [7].

إن الخطاب ولو كان للعرب، فإن القاعدة أن العبرة بعموم اللفظ، بمعنى أن الفهم السليم لكتاب الله لا يكون بغير اللغة الأصل وهي العربية، لما احتوته من التأصيل والتفريع والتعقيد، بحيث تساعد أهل العلم على استنباط درر إعجازه وأنوار هدايته.

◈وقوله تعالى: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ

---

(1) فتح القدير: ج 2، ص 566.
(2) يوسف: (1).
(3) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ج 10، 5.
(4) انظر :جامع البيان في تأويل القرآن: ج 15، ص 550.
(5) يوسف: (2).
(6) فتح القدير: ج 3، 6.
(7) البرهان في علوم القرآن: ج 3، ص 308.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[1] ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ حيث عبر عن جنس المتفوق في العلم بوصف عليم باعتبار نسبته إلى من هو فوقه إلى أن يبلغ إلى العليم المطلق سبحانه وتعالى[2]، "عظيم العلم" [3].

" وظاهر تنكير عليم أن يراد به الجنس فيعم كل موصوف بقوة العلم إلى أن ينتهي إلى علم الله تعالى، فعموم هذا الحكم بالنسبة إلى المخلوقات لا إشكال فيه " [4]، وهذا من باب تغليب المتصف بالشيء على ما لم يتصف به [5] .

◈وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[6] في الآية السابقة تغليب في قوله تعالى: ﴿أَهْلِ الْقُرَى﴾ حيث إنهم أعلم وأحلم، وأن أهل البوادي فيهم الجهل والجفاء [7].

يظهر مما سبق أن التغليب وقع في لفظ ﴿أَهْلِ الْقُرَى﴾ حيث إنه لم يبعث الله نبيًّا من أهل البادية ولا من الجن ولا من الملائكة لغلظهم وجفاهم وقسوتهم.

◈وقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾[8] وتقديرها أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي الصالحين آلهة

---

(1) يوسف: (76).
(2) انظر: التحرير والتنوير: ج 12، ص 33، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج 2، ص 126، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ج 2 ،266، والتسهيل لعلوم التنزيل: ج1،ص 393.
(3) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ج 10، 178.
(4) التحرير والتنوير: ج 13، ص33.
(5) البرهان في علوم القرآن: ج 3، ص 308.
(6) يوسف: (109).
(7) انظر: فتح القدير: ج 3، ص27، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج 2، ص 138، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج3، ص 179، وجامع البيان في تأويل القرآن، ج 16، ص 393، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ج2 ،ص 509، ومحاسن التأويل :، ج6، ص 234، وأوضح التفاسير: ج1، ص 290 والجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): ج10، ص 274.
(8) الكهف: (102).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تستنصرون بهم من دوني أو تعبدونهم من دوني، وقال عبادي غالباً للتشريف والتكريم [1].وقيل " إن المقصود من عبادة الملائكة كعيسى مثلاً ابن مريم " [2].

وقيل "هم الشياطين يوالونهم ويطيعونهم، وقيل هي الأصنام سماهم عباداً كقوله: عبادٌ أمثالكم"[3].

وقيل " ﴿عِبَادِي﴾ هنا صادق على الملائكة والجن والشياطين ومن عندهم من الأخيار"[4].

سابعاً : تغليب المخاطب على الغائب ومن أمثلته في القصص القرآني :

◈قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآَ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[5] وهنا تغليب المخاطب على الغائب في قوله تعالى: ﴿بُيُوتَكُمْ﴾ لأنها إشارة إلى أن الإضافة للعهد، وقوله مصلى، يعني تلك البيوت المتخذة إن كانت للسكنى فمعنى اتخاذها أن تكون محلاً للصلاة فيها، فالقبلة مجاز عن المصلى، وكان موسى عليه السلام يصلي بها [6].

◈وقوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[7] في الآية الكريمة تغليب الخطاب على الغيبة في لفظ الأمر[8].

وفيما يبدو أنه عندما غلب الخطاب على الغيبة في الآية السابقة كان مناسباً للمقام حيث يوجه الله هذا الخطاب للنبي ﷺ حيث يأمره بالثبات والدوام على الاستقامة، وذلك من أكبر العون على النصر، كما ينبهه بعدم البغي والظلم على أحد حتى لو كان مشركاً وهذا يحتاج إلى خطاب لينبه بتشديد الأمر وأنه أمر من الله سبحانه وتعالى موجه إليه ووجب تنفيذه.

---

(1) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم: ج 8، ص 582.
(2) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج5، ص 248، ومفاتيح الغيب (التفسير الكبير): ج21، ص 501، والتسهيل لعلوم التنزيل: ج1،ص475.
(3) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): ج21، ص 501، والتحرير والتنوير: ج 17، ص 43.
(4) المرجع السابق: ج 17، ص 43
(5) يونس: (87).
(6) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ج6، ص 160، وحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي المسماة: ج 5، ص 7575.
(7) هود: (112).
(8) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ج 6، ص 347.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

◈وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1] " في قوله تعالى ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾تغليب تاء الخطاب على المخاطب وهذا ما قرأه نافع، وأبو عامر، وحفص... "[2]، " أي أنت وهم مجازون كلاً منك ومنهم بموجب الاستحقاق عن رسول الله ﷺ "[3].

إن تغليب المخاطب على الخطاب كان مناسباً للمقام من حيث إنه لا يوجد تهديد أبلغ من العلم، فالله يعلم كل صغيرة وكبيرة، وأنه سيجازي كلاً على عمله، والله أعلم.

◈وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾[4] في الآية السابقة غلب فيها المخاطب على الغائب في قوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ- يَرْجُمُوكُمْ - يُعِيدُوكُمْ﴾ للمبالغة في محل المبعوث على الاستخفاء وحث الباقين على الاهتمام بالتوصية في محاض النصح أُدخل في القبول والاهتمام بشأن نفسه[5]، " وهذا من باب تغليب المخاطب على الغائب "[6].

ثامناً : تغليب ما وقع بوجه مخصوص على ما وقع بغير هذا الوجه ومن أمثلته في القصص القرآني :

◈قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[7] ورد في الآية السابقة بفظ ﴿قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ وهي ليست بمعنى القطع، إنما بمعنى جرحتها بما في أيديهن من السكاكين لفرط دهشتهن وخروج حركات

(1) هود: (123).
(2) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ج 6، ص 347، ومحاسن التأويل: ج6، ص 143، والبحر المديد في تفسير القرآن المجيد: ج2، ص 569.
(3) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ج4، ص 333.
(4) الكهف: (20).
(5) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج5، ص 215.
(6) البرهان في علوم القرآن: ج 3، ص 303.
(7) يوسف: (31).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جوارحهن عن منهاج الاختبار والاعتياد، " لما رأين عليه من نور النبوة وبهاء الرسالة، والإنابة والهيبة " [1].

" بينما عبر عن الجرح بالقطع، حيث قام النسوة بتحزيز أصابعهن حزاً حزاً " [2]، " وهذا من باب تغليب ما وقع بوجه مخصوص على ما وقع بغير هذا الوجه" [3]، حيث ذكر قطع الأيدي للمبالغة فحصل الجمع بالواقع (الأيدي).

وربما عبر عن الجرح بالقطع، للدلالة على كثرة جرحهن ومع ذلك لم يبالين ولم يشعرن به [4]. وهذا استنتاجي أيضاً حيث يوحي لفظ ﴿قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ إلى المبالغة في الجروح التي وقعت على أصابع النسوة، والله أعلم.

تاسعاً : تغليب الإسلام ومن أمثلته في القصص القرآني :

◈قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ* وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾[5]لقد بدأ في الأول بإعطاء النعمة، وإذاقة الرحمة، ولم يبدأ في الثاني بإذاقة الضر على نمطه تنبيهاً على سبق رحمة الله على غضبه، وقيل المراد أذقنا ومست، واختلافهما تخصيص الأول بالنعماء، والثاني بالضراء، وهنا تغليب جانب الرحمة [6].

وقوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آَمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾[7] في الآية السابقة آثر الإظهار على الإضمار لتحقيق حالهم بتغليب جانب الله على جانب أهويتهم في حال شبابهم، فقالوا ربنا أي من ربانا بنعمة الكهف لمفارقة الكفار رشداً وهو توحيدك وعبادتك [8] " وهذا نوع من أنواع التغليب ما يعرف بتغليب الإسلام " [9].

---

(1) جامع البيان في تأويل القرآن: ج 16، ص 78.
(2) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج4، ص 272.
(3) البرهان في علوم القرآن: ج 3، ص 84.
(4) اللباب في علوم الكتاب: ج 11، ص 85.
(5) هود: (9 -10).
(6) انظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي المسماة: ج 5، ص 7575.
(7) الكهف: (13).
(8) محاسن التأويل: ج7، ص 8.
(9) البرهان في علوم القرآن: ج 3، ص 311.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

◈وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [1]

" في قوله تعالى ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ تعليل لعدم الجزاء، وقوله بالثواب والعقاب ففي الوعد تغليب" [2]، أي بتغليب الوعد على الوعيد أو هو بمعناه اللغوي حق ثابت متحقق لا يخلف وعد إخلاف الوعد بالثواب مما لا كلام فيه، وأما عدم إخلاف الوعد بالعقاب ففيه كلام والحق أنه لا يخلف أيضاً [3].

(1) لقمان: (33).

(2) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني :ج 11، ص 105، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي المسماة: ج 7، ص 144.

(3) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ج 11، ص 105

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث السابع
الأسلوب الحكيم

مقدمة:

الأسلوب الحكيم يقوم على مراعاة مقتضى الحال، بخروج الكلام عن مقتضى الظاهر، أو كما يقول الجاحظ رحمه الله كلامي ذهب السامع منه إلى معاني أهله، وإلى قصد صاحبه [1]، "وهو أول من أشار إلى هذا النوع البلاغي"[2].

وجاءت إشارة عرضية إلى الأسلوب الحكيم في كلام عبد القاهر الجرجاني رحمه الله فيها من الإبهام شيء، وخاصة في التسمية، جاء في معرض كلام له قوله" :وكقول الذي قال له الحجاج :لأحملنك على الأدهم" يريد القيد، فقال على سبيل المغالطة": ومثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب " يريد الأسود والأبيض وما أشبه ذلك مما لا يقصد فيه بـ " مثل "إلى إنسان سوى الذي أضيف إليه، ولكنهم يعنون أن كل من كان مثله في الحال والصفة كان من مقتضى القياس وموجب العرف والعادة أن يفعل ما ذكر أو ألا يفعل[3].

فأطلق على الأسلوب اسم (المغالطة) ويبدو أن هذه الكلمة من الجرجاني ليست من باب التسمية، إنما من باب الحكاية، والأمر فيها واسع، وإلا فإن هذه التسمية لا تليق على أسلوب ورد في القرآن الكريم، وأحاديث الرسول، ولا يسلم له أنه مغالطة [4].

وأول من جاءت لديه هذه التسمية بوضوح هو السكاكي رحمه الله، حيث قال: "ولهذا النوع أعني إخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر أساليب متفننة؛ وإنما من مقتضى كلام ظاهر؛ إذ ما من مقتضى كلام ظاهري إلا ولهذا النوع مدخل فيه بجهة من جهات البلاغة، ولكل من تلك الأساليب عرق في البلاغة يتشرب من أفانين سحرها، ولا كالأسلوب الحكيم فيها" [5]

---

(1) البيان والتبيين: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ: ج2، ص282، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1423 هـ.

(2) علم البديع: عبد العزيز عتيق، ص 45، دار النهضة العربية، بيروت، 1974.

(3) الإيضاحفيعلومالبلاغة: ص 163.

(4) انظر: مفتاح العلوم: أبو يعقوب يوسف السكاكي، تحقيق: أكرم عثمان يوسف، ص 140، منشورات جامعة بغداد _ مطبعة دار الرسالة، ط1،بغداد1402 هـ، 1982 م.

(5) انظر: دلائل الإعجاز في علم المعاني: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، ج13، 183. مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، ط 3، 1413هـ – 1992م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"والأسلوب الحكيم" "هو تلقي المخاطب بغير ما يرتقب تنبيهاً به على أنه أولى بالقصد"[1]، " أو السائل بغير ما يطلب، كما قال تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2] هذه الآية نزلت عندما سأل الصحابة الرسول ﷺ ما بال الهلال يبدو صغيراً ثم يكبر ثم يعود كما بدا ؟ كان سؤالهم عن السبب والعلة، لكن القرآن الكريم قال: ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ وهذه الإجابة ليست عن سبب تغير الهلال وإنما الحكمة منه[3]، " وهنا أجابهم بالحكمة التي كانت تلك الزيادة والنقصان لأجلها لكون ذلك أولى بأن يقصد السائل وأحق بأن يتطلع لعلمه " [4].

فيعرف الأسلوب الحكيم إذن بأنه " تلقي المخاطب بغير ما يترقب، بحمل كلامه على خلاف مراده، تنبيهاً على أنه الأولى بالقصد، أو السائل بغير ما يطلب، بتنزيل سؤاله منزلة غيره، تنبيهاً على أنه الأولى بحاله أو المهم له " [5].

ومن أمثلة الأسلوب الحكيم في القصص القرآني:

◈قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾[6] هؤلاء الكفرة المعاندين التي تتحدث عنهم هذه الآية يقولون معاجزين، وكأنه الأمر بيد رسول الله ﷺ– يفعل ما يشاء – هلا أنزل على محمد –ﷺ معجزة من ربه كما كان للأنبياء من قبل الناقة، والعصا، واليد، وما إلى ذلك من المعجزات..

فينبه القرآن الكريم هؤلاء المجرمين إلى أن أمر الغيب لله وحده، ولا يأتي بالآيات إلا الله – سبحانه – وأن الرسول ﷺ يبلغ ما أمره الله تعالى به، وينتظر قضاء الله فيما يريد، وما على

(1) التبيان في المعاني والبديع والبيان: ص259.
(2) البقرة: (189).
(3) انظر: البلاغة وفنونها وأفنانها (علم البيان والبديع): فضل حسن عباس، ص 289، دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع، عمان.
(4) فتح القدير: ج 1، 281.
(5) التبيان في المعاني والبديع والبيان: ص431.
(6) يونس: (21).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الرسول إلا البلاغ المبين [1].

يستنتج مما سبق أن معنى الآية كأنه يقول لهم أفلا ترونه بشراً مثلكم يأكل مما تأكلون ويشرب مما تشربون وهذا ما ينبههم به الرسول ﷺ به أنه قد نشأ وتربى بينهم، وعلموا أنه لم يطالع كتاباً، ولم يتتلمذ لأستاذ، ثم إنه دفعة واحدة ظهر القرآن العظيم، وظهور مثل هذا القرآن لا يكون إلا بالوحي، فبهذا برهان قاهر على أن القرآن معجز قاهر ظاهر، وهذا بحد ذاته هو الأسلوب الحكيم.

◈وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2] تتحدث الآية السابقة إن إنجاء الله سبحانه وتعالى لهم من هذه البلية العظيمة، نسوا النعمة ورجعوا إلى ما ألفوه من العقائد الباطلة [3]، إذ هم يبغون في الأرض وما سواه تمهيد وإدماج للامتنان، أعقب التهديد على كفران النعمة بذكر نعم الله عليهم ثم ضراء تعقب النعمة للابتلاء والتذكر بخالقهم، ثم كيف تُفرج عنهم رحمة بهم فيكفر فريق منهم كلتا النعمتين ولا بتذكر...[4]

ولعل القول أن الحكمة من تنجيتهم إظهار أعظم الآيات على الوحدانية، وفي كل ذلك امتنان عليهم بالنعمة وهذا عين الأسلوب الحكيم.

◈وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ* قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[5]إن الجواب بقوله سبحانه: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ وارد على الأسلوب الحكيم لأنهم ما أرادوا بالسؤال إلا استبعاد أن الموعود من الله تعالى وأنه صلوات الله تعالى وسلامه عليه هو الذي يدعي أن ذلك منه فطلبوا منه تعيين الوقت

(1) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ج 6، ص 88، واللباب في علوم الكتاب: ج 10، ص 288، ومفاتيح الغيب (التفسير الكبير): ج17، ص 230

(2) يونس: (23).

(3) انظر: اللباب في علوم الكتاب: ج 10، ص 219، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج3، ص 109، والتحرير والتنوير: ج 11، ص 135.

(4) انظر: التحرير والتنوير: ج 11، ص 135، و
إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج4، ص 135.

(5) يونس: (48 – 49).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تهكما وسخرية فقيل في الجواب هذا التهكم إنما يتم إذا ادعيت بأني أنا الجالب لذلك الموعود: وإذا كنت مقرا بأني مثلكم في أني لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا كيف ادعي ما ليس لي بحق؟ ثم شرع في الجواب الصحيح ولم يلتفت ﷺ إلى تهكمهم واستبعادهم فقال: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ﴾[1] "وتعتبر الجواب الثاني عن قولهم ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، فقيل انه حاصل الجواب أن يقال لأولئك الكفار الذين يطلبون نزول العذاب بتقدير أن يحصُل هذا المطلوب وينزل هذا العذاب "[2].

إن الخطاب لسيدنا محمد ﷺ لهؤلاء المشركين من قومه: أرأيتم إن أتاكم عذابه ليلاً أو نهاراً وجاءت الساعة وقامت القيامة بمعنى أتقدرون على دفع ذلك عن أنفسكم ؟. الأسلوب الحكيم أن يجيب عن السؤال بشيء لا يتوقع السائل، وهنا ما حدث في الآية الكريمة حيث يتوقع الإجابة عنه ماذا سيحدث لو أتى عذاب الله ؟ لكن تلاه سؤال آخر ماذا يستعجل من نزول العذاب المجرمون الذين كفروا بالله، وهم الصالون بحره دون غيرهم، ثم لا يقدرون على دفعه عن أنفسهم، بمعنى ماذا تجني على نفسك، أو ألا آمنتم به وقد كنتم به تستعجلون؟ أي بالعذاب لأن استعجالهم كان على جهة التكذيب والاستهزاء.

◈وقوله تعالى: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ آلْآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾[3] تقدير هذه الآية: ثم إذا ما وقع، وليس المراد الاستفهام عن المهلة والمستفهم عنه هو حصول الإيمان في وقت وقوع العذاب، وهذا الاستفهام مستعمل في الإنكار بمعنى التغليط، وإفساد رأيهم، فإنهم استهزءوا بنزول العذاب، فوقع الجواب بمجاراة ظاهر حالهم وبيان أخطائهم، أي تؤمنون بالوعد عند وقوعه على طريقة الأسلوب الحكيم[4].

◈وقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾[5] هذه حكاية من أفانين تكذيبهم، فمرة يتظاهرون باستبطاء الوعد استخفافًا به، ومرة يقبلون على الرسول ﷺ في صورة المستفهم الطالب فيسألونه: أهذا العذاب الخالد، أي عذاب الآخرة وحق.

---

(1) انظر :روح المعاني، ج 6، ص 125، ومفاتيح الغيب (التفسير الكبير): ج17، ص 263، فتح القدير: ج 12، 513، وجامع البيان في تأويل القرآن: ج 15، ص 101، وفتح القدير: ج 12، 513.

(2) روح المعاني، ج 6، ص 125.

(3) يونس: (51).

(4) انظر: التحرير والتنوير: ج 12، ص 192.

(5) يونس: (53).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالجملة معطوفة على جملة ويقولون متى هذا الوعد، وجملة أحق هي استفهامية معلقة فعل يستنبئونك عن العمل في المفعول الثاني، والجملة بيان لجملة يستنبئونك لأن مضمونها هو الاستثناء والضمير يجوز كونه مبتدأ، و ﴿ لَحَقٌّ ﴾ خبر مقدم.

واستعمل الاستفهام تبالياً، وذلك اشتمل جواب المأمور به على مراعاة الحالتين، فاعتبر أولاً ظاهر حال سؤالهم، فأجيبوا على طريقة الأسلوب الحكيم بحمل كلامهم على خلاف مرادهم تنبيهاً على أن الأولى بهم سؤالهم تغليطاً لهم واغتناماً لفرصة الإرشاد بناء على ظاهر سؤالهم[1].

◈وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾[2] الآية الكريمة تتحدث عن جعل يوم آخر يبعث فيه الناس ليجزوا على أعمالهم في الدنيا، وهنا تنبيه للإنسان إلى أنه مكلف بعمل أحسن الأعمال في حياته من بر وعدل وحق، بذلك فقط حقق حكمة الله في خلقه ووجوده عن سائر الخلق، حيث يتكامل فيها العقل، وقد يكون مما انطوى في الجملة جواب على الأسلوب الحكيم على ما قد يتساءل الناس عنه من حكمة خلقهم وخلق الأكوان وبداية ذلك ونهايته وهذا التساؤل لا طائل من ورائه لأن ذلك سر الله عز وجل [3].

◈وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾[4] في الآية الكريمة رد على طريقة الأسلوب الحكيم على تساؤل كثير من الناس حيث احتوت تقرير كون اختلاف الناس وهو مظهر طبيعي وناموس من نواميس الله فيهم، ليسير كلامهم حسب قابليته واختياره، فلو شاء لخلقهم على جبلة واحدة ووتيرة واحدة، وحينئذ لا يتميزون عن سائر الحيوانات، ولا يكون معنى لما اقتضته حكمة الله من جعلهم أهلاً للتكليف وخلفاء في الأرض ليكونوا أولي الأمر والشأن فيها [5].

---

(1) انظر: التحرير والتنوير: ج 12، ص 127.

(2) هود: (7).

(3) انظر: التحرير والتنوير: ج 12، ص 7، والتفسير الحديث: ج3، ص 508، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1383 هـ.

(4) هود: (118).

(5) انظر: التفسير الحديث: ج3، ص 555.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" فلا شك أن حكمة الله اقتضت هذا النظام في العقل الإنساني لأن ذلك أوفى بإقامة مراد الله تعالى من مساعي البشر في هذه الحياة الدنيا الزائلة إلى عالم الحياة الأبدية " [1].

◈وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[2] "

﴿إن ربك عليم حكيم﴾ مستأنفة لتأكيد ما سبقها من كلام، أي إن ربك عليم بمن يصطفيه بحمل رسالته، وبمن هو أهل لنعمته وكرامته " [3]، " حكيم في صنعه وتصرفاته حيث اختار الله سيدنا يوسف لهذه الرؤية الحسنة، فإن – سبحانه – يجتبيه ويختاره لأمور عظام في مستقبل الأيام، حيث وهبه صدق الحس، ونفاذ البصيرة، ما يجعله يدرك الأحاديث إدراكاً سليماً، ويعبر الرؤى تعبيراً صحيحاً صادقاً " [4].

يستنتج مما سبق أن الآيات الكريمة قد نوهت بشأن القرآن الكريم، وساقت بأسلوب حكيم ما قاله يعقوب لابنه – عليه السلام – بعد أن قص ما رآه في المنام، ثم حكى – سبحانه – بعد ذلك حالة إخوة يوسف وهم يتآمرون عليه وحالتهم وهم يجادلون أباهم في شأنه.

◈وقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾[5]معنى الآية السابقة "أن أباهم أخبرهم أنه ليحزن لغيبة يوسف عنه لفرط محبته له، وخوفه عليه وقلة صبره عليه... أن يأكله الذئب " [6]، " قال يعقوب هذا تخوف عليه منهم، فكنى عن ذلك بالذئب حيث يعلم أبوهم قد كان علم منهم إرادتهم الخبيثة في جهة يوسف " [7]، فاعتذر إليهم بأن ذهابهم به ليحزنه وأن الذئب سيأكله إذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم [8].

---

(1) التحرير والتنوير: ج 12، ص 188.
(2) يوسف: (6).
(3) التفسير الوسيط للقرآن الكريم: ج 7، ص 320، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ج 6، 377، ومحاسن التأويل: ج6، ص 148.
(4) التفسير الوسيط للقرآن الكريم: ج 7، ص 320، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ج 10، 18.
(5) يوسف: (13).
(6) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:ج4، ص257، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ج3 ،223.
(7) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ج 10، 27، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج4، ص 257.
(8) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج4، ص 257، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج3، ص 157، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج 2، ص 98.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وما نلاحظه أننا عندما نوجه النقد لشخص الإنسان، فإننا بذلك تهيئه وتحط من كرامته، ولن نجني من ذلك سوى الكراهية والحقد... بينما إذا حولنا نقدنا لسلوكه بأسلوب لبق لا تجريح فيه ولا مهانة، سنجد أننا قد كسبنا محبته واحترامه وهذا ما وجد في الآية السابقة وما يعرف بالأسلوب الحكيم.

◈وقوله تعالى: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[1] قيل في هذين الشخصين " أن أحدهما كان ساقي الملك، والآخر كان خبازه، وكان سبب حبس الملك إياهما أنه توهم أنهما تمالا على سمه في طعامه وشرابه " [2].

فلما رواه أعجبهما سمته وهديه وطريقته وقوله وفعله وكثرة عبادته لربه، وإحسانه إلى خلقه، فهكذا يجب أن يكون حامل الدعوة في حله وترحاله عابداً محسناً مطيعاً لله، يتحلى بالأخلاق الحميدة والصفات العالية... فجاءوا إليه، لما علموا صدقه وعلمه وإحسانه وسألوه عن تفسير رؤيا كل واحد منهما... وهنا سلك الأسلوب الحكيم في الدعوة إلى الله ثم شرع بتفسير الحلم لما أعطاه الله علم تعبير الرؤى، وكشف بعض الغيبيات [3].

فاستخدم ذلك في دعوة السجناء معه إلى توحيد الله، وإلى دينه الحق، فكل منهما أخبره بالرؤية فقال الأول: إني أراني أعصر خمراً أي عنباً، وقال الآخر وهو الخباز إني أراني في مطبخ الملك أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل منه الطير، فطلبا بعد ذلك من سيدنا يوسف أن ينبأهما بتأويله وتفسير ما قصصناه عليك من مجموع المرئيين [4].

◈وقوله تعالى: ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[5] " قال إخوة يوسف له حين قال لهم ذلك يوسف ﴿أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ﴾ فقال: نعم أنا يوسف، و ﴿وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾[6]، بأن جمع بيننا بعد ما فرقتم بيننا، وكأنه يقول لهم " إنه من يتق الله بأداء فرائضه واجتناب

(1) يوسف: (76).
(2) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج4، ص257.
(3) انظر: روح البيان: ج 4، ص 257.
(4) انظر: فتح القدير: ج 3، 31، وفتح القدير: ج 3، 31.
(5) يوسف: (90).
(6) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ج1، ص 559.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

معاصيه" [1]، فإن الله لا يضيع أجر المحسنين، " وأن الله لا يبطل ثواب إحسانه وجزاء طاعته إياه فيما أمره ونهاه " [2]، وهذا الأسلوب الحكيم بحد ذاته.

◈وقوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾[3] " الأسلوب الذي سيق في هذه الآية قريب من الأسلوب الحكيم، وهو تلقي السائل بغير ما يتطلب تنبيهاً على أن غيره أولى بحاله " [4].

وقيل إن " هذا سؤال استنكاري حيث استنكروا طول نومهم " [5]، وقيل إن من الممكن أن يكون الغرض من بعثهم أن يتساءلوا ويتنازعوا، وذلك لأنهم إذا تساءلوا انكشف لهم من قدرة الله تعالى أمور عجيبة وأحوال غريبة، وذلك الانكشاف أمر مطلوب لذاته [6].

وورد أنه يفيد الاستدلال على عظم قدرة الله ويزدادوا يقيناً وشكراً لله – سبحانه – على ما أنعم الله به عليهم [7].

يتضح مما سبق أنه قد يترتب على سؤال بعضهم لبعض وما فصل من الحكم والمبالغة، أن يتعرفوا على حالهم وما صنع الله بهم، فيزدادوا يقيناً على كمال قدرة الله، ويستبصروا أمر البعث، ويشكروا ما أنعم الله به عليهم.

◈وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾[8] في هذه

(1) جامع البيان في تأويل القرآن: ج 16، ص 144، والوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ج1، ص 559، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ج 7، ص47.
(2) جامع البيان في تأويل القرآن: ج 16، ص 144.
(3) الكهف: (19).
(4) التحرير والتنوير: ج 15، ص 284.
(5) معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي): ج5، ص 159.
(6) انظر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): ج21، ص 445.
(7) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج 2، ص 291، ومحاسن التأويل: ج7، ص 13، والبحر المديد في تفسير القرآن المجيد: ج3، ص 257.
(8)الكهف: (50).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآية تشنيع للمفتخرين واستقباح بصنيعهم، حيث قرر ذلك بأنه من سنن إبليس أو لما بين حال المغرور بالدنيا والمعرض عنها، وكان سبب الاغترار بها حب الشهوات وتسويل الشيطان، وكان زهدهم في زخارف الدنيا بأنها عرضة للزوال...أما الأعمال الصالحة خير وأبقى، ثم بعد ذلك نفرهم عن الشيطان بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة [1].

" وذكر الله – سبحانه – قصة إبليس وقصة تحقيق السجود طاعة لأمر الله وامتثالاً لطلبه وأنه أبى واستكبر ولم يسجد، وجملة كان من الجن مستأنفة لبيان سبب عصيانه " [2].

يظهر مما سبق أنه سأل في أسلوب استنكاري ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ﴾ يعني أهذا الذي عصى ربه ورفض السجود لآدم تحية وإكراماً له، أيقبل أن تتخذوه هو وذريته أولياء ويطاع ويعصى الله، ولكن سأل الله هذا السؤال بعدما بين القصة وسببها وهذه بلاغة القرآن الكريم وأسلوبه المتمثلة في الأسلوب الحكيم.

◈وقوله تعالى:﴿وَأَمَّا مَنْ آَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [3]

أي من مما نأمر به يسراً، وتقديره ذا يسر وأطلق عليه المصدر للمبالغة، والمعنى إما أن نعذب بالقتل، وإما أن تحسن إليهم بإبقاء الروح والأسر، وما حكي من الجواب على هذا الوجه قيل من الأسلوب الحكيم لأن الظاهر أنه تعالى خيره في قتلهم وأسرهم وهم كفار، فقال أما الكافر فيراعى فيه قوة الإسلام، وأما المؤمن فلا يتعرض له إلا بما يجب، وهذا ما فيه من نكتة تقديم جانب الرحمة من الله تعالى [4].

(1) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج3، ص 384.
(2) فتح القدير: ج 3، 346.
(3) الكهف: (88).
(4) انظر روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ج 8، ص 357.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمة

الحمد لله الذي أعانني على إنجاز هذه الدراسة في استخراج صور خروج الكلم عن مقتضى الظاهر – وتحليلها تحليلاً بلاغياً والوقوف على أسراها البلاغية، متمثلاً في الالتفات بكل صوره، والتعبير عن المفرد بصيغة الجمع، والتعبير عن الجمع بصيغة المفرد، والتعبير عن المستقبل بلفظ الماضي، والتعبير عن المستقبل بلفظ المضارع، والتغليب، وكذلك الأسلوب الحكيم، وبعد هذا المشوار الطويل والممتع الذي تنقل فيه الباحث بين كتب البلاغة والتفاسير يجدر بالباحث أن يسجل أهم ما وصل إليه من نتائج.

أولاً : النتائج :

1- أن القصص القرآني موسوعة أسلوبية، ومعجماً للفنون البلاغية.

2- أن القصص القرآني ببديع نظمه، وعجيب تناسقه، وروعة اتساقه، وسحر بيانه، وعظيم بديعه، يكشف عن الإبداع الإلهي المعجز، والدقة البالغة في تركيب النص القرآني.

3- أن تعريفات القصة الفنية التي تواضع عليها كثير من رجال فنها لا تنطبق كل الانطباق على مفهوم القصة القرآنية، فهي ليست لوناً من ألوان الأقصوصة، أو القصة، أو الرواية، أو الحكاية، المعنى المتواضع عليه.

5- يتفوق القصص القرآني تفوقاً ظاهراً في استعمال الصور البلاغية لظاهرة خروج الكلام عن مقتضى الظاهر.

6- أن أسلوب الالتفات أخذ حيزاً كبيراً في القصص القرآني عن باقي الصور الأخرى لظاهرة خروج الكلام عن مقتضى الظاهر، لأنه من أجل علوم البلاغة، ومن الأساليب البلاغية المهمة التي تناولها علماء التفسير والبلاغة، وما يملكه في إيصال تلك المعاني العظيمة بأوضح صورة إلى ذهن السامع والقارئ.

7- أن دراستي لهذه الظاهرة كشفت عن الأسرار الفنية التي من أجلها جاء الالتفات، وكذلك كل صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر من تغليب، وأسلوب حكيم ....

8- يكثر التعبير بالفعل الماضي عن المستقبل في تفسير الأمور المهولة التي تثير الرعب في القلب، وخاصة الغيب كمشاهد يوم القيامة أو العذاب، وذلك للتنبيه على تحقيق وقوع الفعل، وأنه حاصل لا محالة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

9- إن ظاهرة الإفراد والجمع في النص القرآني في أغلب السور، ظاهرة أسلوبية تستدعي الوقوف عندها، والمتأمل فيها يجد طرافة ومعاني تحلل النص الأدبي تتكشف من خلال دراسته وتتحقق من خلال انسجام فيما بينها وبين النص الأدبي بشكل عام لطائف بلاغية، ويشكل كذلك عنصر لفت انتباه المتلقي إلى ما وراء السياق الظاهري إلى معاني المعاني.

10- أن التغليب ظاهرة لغوية بارزة في القصص القرآني، ووردت في التراث اللغوي أيضاً.

11- أن أول من جاء بتسمية واضحة للأسلوب الحكيم هو السكاكي رحمه الله.

12- أن معظم التفاسير يحدد صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر، ولا يبين السر البلاغي الذي جاء من أجله.

ثانياً: التوصيات:

1- توجيه عناية الطلبة والباحثين إلى دراسة البلاغة العربية والتخصص فيها لما في ذلك من إحياء للتراث وحفظ للغة، بالإضافة إلى أن هذا العلم من أشرف العلوم وأجلها، لارتباطها بكتاب الله سبحانه وتعالى.

2- توجيه الدراسات نحو بلاغة القرآن، فإنه جامع لكثير من الأساليب البيانية والألوان البيانية.

3- أوصي القائمين على دراسة اللغة العربية والمتخصصين في تدريسها بإكمال دراستي التي تناولت (ظاهرة خروج الكلام عن مقتضى الظاهر في القصص القرآني - دراسة بلاغية) لما تفيض القصص القرآني بالأساليب البلاغية، والأسرار الفنية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفهارس العامة

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

ثانياً: فهرس المصادر والمراجع

ثالثاً: فهرس المحتويات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	الصفحة
الفاتحة		
﴿ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾	1	97
البقرة		
﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى ... ﴾	73	64
﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ . . . ﴾	189	204
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ ... ﴾	243	65
﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ... ﴾	259	64
آل عمران		
﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾	62	62-31-21
المائدة		
﴿ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ ... ﴾	27	42
الأنعام		
﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ... ﴾	115	70
الأعراف		
﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴾	7	9
﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ ... ﴾	11	38
﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾	60	66

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ .. ﴾	66	67
﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَّ ... ﴾	85	67
﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ ... ﴾	150	42
﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾	176	18-9
يونس		
﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ ... ﴾	2	186-129
﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُّ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي ... ﴾	3	170 - 121 188
﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللهِّ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ... ﴾	4	192
﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا ... ﴾	5	145
﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللهُّ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ ... ﴾	11	164 – 145 169
﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ ... ﴾	13	101 - 97 195-109
﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ ... ﴾	14	110
﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾	18	80
﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا ... ﴾	19	180
﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا ... ﴾	21	146 – 121 204 -170

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا ... ﴾	22	98 – 97 146 - 110
﴿ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ... ﴾	23	195 – 122 205
﴿ فَذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ... ﴾	32	112
﴿ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ... ﴾	41	157
﴿ **وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً...** ﴾	45	165
﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ... ﴾	46	164 - 130
﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾	48	205
﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا... ﴾	50	113
﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ آلْآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾	51	164
﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ... ﴾	54	187 - 158
﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ ... ﴾	55	188-123
﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ ... ﴾	61	170- 130 196-
﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ ... ﴾	68	150-123
﴿ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ ... ﴾	69	147
﴿ **فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا ...** ﴾	76	209

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا ... ﴾	87	199
﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ ... ﴾	93	131
﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ ... ﴾	94	132
﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا ... ﴾	98	133
هود		
﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ... ﴾	7	207
﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ ... ﴾	8	158
﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ ... ﴾	9	200
﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ ... ﴾	13	180-171
﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ ... ﴾	15	158
﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ ...** ﴾	18	149
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾	25	65
﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ ... ﴾	40	196-173
﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ ... ﴾	49	22
﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ ... ﴾	56	106
﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ ... ﴾	57	124

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ ... ﴾	64	148
﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ ... ﴾	66	173-134
﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴾	74	165
﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴾	75	166
﴿ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ ... ﴾	76	148
﴿ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا ... ﴾	78	180
﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا ... ﴾	82	173-134
﴿ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾	83	135
﴿ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ ... ﴾	85	72-52
﴿ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾	90	106
﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ ... ﴾	91	66
﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ ... ﴾	98	166-159
﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ... ﴾	104	199-135
﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾	118	208
﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ ... ﴾	120	71-59-24
﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ ... ﴾	123	199

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآية	رقمها	الصفحة
يوسف		
﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾	1	197
﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾	2	197-101
﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا ...﴾	3	50 -26 - 20 75 -63
﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ...﴾	4	189
﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ ...﴾	5	114-21
﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ...﴾	6	208-190
﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ﴾	7	27
﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ ...﴾	13	208
﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ ...﴾	15	124
﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾	16	43-40
﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ ...﴾	21	-135-105 193
﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ ...﴾	22	149
﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي...﴾	26	89
﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ ...﴾	29	187
﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا ...﴾	30	167

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ ... ﴾	31	200
﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ... ﴾	33	173
﴿ ثُمَّ بَدا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما رَأَوُا الْآياتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ ﴾	35	173
﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي ... ﴾	36	102
﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ ... ﴾	39	62
﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي... ﴾	42	44
﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا ... ﴾	69	125
﴿ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴾	72	181
﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ ... ﴾	76	-151 -136 -173-165 197
﴿ قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ ... ﴾	90	209
﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا ... ﴾	100	190
﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ ... ﴾	102	192 -114
﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾	106	193
﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا ... ﴾	107	69
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ... ﴾	109	-174 -125 198

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآية	رقمها	الصفحة
﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾	111	60-57-11
إبراهيم		
﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ ...﴾	1	137
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ...﴾	4	138
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ ...﴾	5	139
﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ ...﴾	22	115
﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ ...﴾	23	160
﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ...﴾	24	181
﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا ...﴾	30	151
﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى ...﴾	38	174-116
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ ...﴾	39	126
﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ...﴾	45	140
﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ...﴾	48	160
الحجر		
﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾	49	64
الإسراء		
﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ ...﴾	88	ج ، 1
﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾	105	73

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ... ﴾	111	99
الكهف		
﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ ... ﴾	5	178
﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا ... ﴾	6	167
﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا.... ﴾	9	71 – 117 - 174
﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا ... ﴾	10	38 - 127
﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾	12	141-175
﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا ... ﴾	13	31 -13 – 72 140 - 201
﴿ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ ... ﴾	14	152
﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ فَأْوُوا إِلَى ... ﴾	16	118
﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ... ﴾	17	118-152
﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ... ﴾	18	119 -176
﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ.. ﴾	19	103 -141 210
﴿ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ ... ﴾	20	200 -201
﴿ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ ... ﴾	21	65 -142
﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ ... ﴾	28	107

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ ... ﴾	29	167 -108 182
﴿ إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ . . . ﴾	30	182
﴿ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آَتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ ... ... ﴾	33	53-175
﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا ... ﴾	34	153
﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ ... ﴾	35	161-153
﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللهُ لَا قُوَّةَ ... ﴾	39	158 - 52
﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ ... ﴾	42	177 - 40
﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ ... ﴾	47	161 – 103 189 -177
﴿ وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا ... ﴾	48	162 - 104
﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ... ﴾	49	182
﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ... ﴾	50	-119 -104 -143 – 127 211 -194
﴿ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ ... ﴾	51	182 -105 183
﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ ... ﴾	52	151
﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا ... ﴾	55	184
﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ... ﴾	56	181

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴾	59	177
﴿ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾	64	144 -9 -8
﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا ... ﴾	65	67
﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا ... ﴾	74	76
﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ ... ﴾	79	162 – 154 194 -184
﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ..... ﴾	80	163 -155 191
﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾	81	178
﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ ... ﴾	82	128
﴿ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ ... ﴾	88	211
﴿ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ ... ﴾	96	120
﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ ... ﴾	99	163
﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴾	100	178
﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا ... ﴾	101	184
﴿ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا ... ﴾	102	198-186
مريم		
﴿ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ... ﴾	17	48

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ... ﴾	18	77
﴿ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾	19	78
﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ ... ﴾	23	78
﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴾	88	99
طه		
﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ ... ﴾	72	97
﴿ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ ﴾	99	21
﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾	114	ب
الأنبياء		
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا ... ﴾	25	58
﴿ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا ... ﴾	59	61
الحج		
﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ ... ﴾	73	55
النمل		
﴿ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ ... ﴾	37	48
﴿ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ ... ﴾	42	77
﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ ... ﴾	55	186
القصص		

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ ... ﴾	3	71
﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ ... ﴾	11	7
﴿ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ ﴾	25	9
الروم		
﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ ... ﴾	46	97
لقمان		
﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ ... ﴾	14	188
﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ ... ﴾	27	192 -185
﴿ مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ... ﴾	28	129
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ ... ﴾	30	155-120
﴿ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ... ﴾	32	185
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ .. ﴾	33	201
فاطر		
﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ ... ﴾	9	99
يس		
﴿ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾	22	98
ص		
﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾	73	186

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآية	رقمها	الصفحة
غافر		
﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا ... ﴾	34	82
﴿ النار يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا ﴾ .	46	159
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا ... ﴾	78	37
فصلت		
﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ... ﴾	11	99
﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ... ﴾	42	26
الشورى		
﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ... ﴾	13	58
الدخان		
﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ... ﴾ .	4	98
الأحقاف		
﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ... ﴾	35	85
الرحمن		
﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾	13	80
الملك		
﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾	14	116
القلم		
﴿ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ . ﴾	17	76

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ ... ﴾	18	53
﴿ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴾	21	77
الحاقة		
﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴾	4	38
﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾	20	54
نوح		
﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ ... ﴾	1	51، 65
النبأ		
﴿ لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾	38	135
الأعلى		
﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾	16	59
الزلزلة		
﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾	4	22

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

أولاً: الكتب والمراجع

1. اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: فهد عبد الرحمن بن سليمان الرومي، إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1407هـ – 1986م.
2. الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية للكتاب، 1932 هـ، 1974م.
3. الأثر الفني للقصة القرآنية في بناء قصة يوسف: مظهر مقدمي فر، جميرا حميدي، العدد الخامس، إضاءات نقدية محكمة، السنة الثالثة، ربيع 1391هـ .
4. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبو السعود): أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
5. أسلوب الالتفات دراسة تاريخية مبينة: عبد الحميد فراج، دار البيان، ط1، 1983م.
6. أسلوب التغليب في القرآن الكريم: محمود عبد العظيم صفا، مطبعة الأمانة، مصر، ط1، 1983م.
7. الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة: تصنيف محمد بن علي بن محمد الجرجاني، تحقيق عبد القادر حسين، دار نهضة مصر للطباعة، الفجالة، القاهرة.
8. أصول التفسير: محمد بن صالح بن عثيمين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، دار الفكر، بيروت، 1980م.
9. الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ: محمد أمين الخضري، مصر، مطبعة الحسين الإسلامية، 1413هـ، 1993م.
10. إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني: صلاح الخالدي، دار عمان للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1421هـ – 2000م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

11. الآفاق الفنية في القصة القرآنية " رؤية تربوية لإعداد الدعاة ": محمد ناجي مشرح، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، ميدان الجامعة، ط1، 1992م.

12. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط1، 1418 هـ.

13. أوضح التفاسير: محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب، المطبعة المصرية ومكتبتها، ط 6، رمضان 1383 هـ - فبراير 1964 م.

14. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط 5، 1424هـ/2003م.

15. الإيضاح في علوم البلاغة: محمد بن عبد الرحمن القزويني، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط3.

16. البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، ط 1420 هـ.

17. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، حسن عباس زكي، القاهرة، ط 1419 هـ.

18. البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه.

19. البلاغة العربية: عبد الرحمن بن حسن الدمشقي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط1، 1416 هـ - 1996م.

20. البلاغة وفنونها وأفنانها (علم البيان والبديع): فضل حسن عباس، دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع، عمان.

21. البيان القصصي في القرآن الكريم: إبراهيم عوضين، ط1، 1397هـ - 1977م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

22. البيان والتبيين: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ: دار ومكتبة الهلال، بيروت ،1423 هـ.

23. تأويل مشكل القرآن: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .

24. التبيان في المعاني والبديع والبيان: شرف الدين حسين بن محمد الطيبي، تحقيق هادي عطية مطر هلالي، مكتبة النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط 1، 1407هـ – 1987م.

25. التحرير الأدبي: حسين علي محمد حسين، مكتبة العبيكان، ط5، 1425هـ – 2004م.

26. التحرير والتنوير (حرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد): محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي: الدار التونسية للنشر – تونس ،1984 هـ.

27. تذوق الأدب طرقه ووسائله: محمود هني، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر هترمة للطبع والنشر.

28. التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها: عاطف السيد.

29. التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الشرعية16، 1423هـ – 2002م.

30. تفسير ابن كثير: إسماعيل ابن كثير، دار القرآن الكريم، بيروت، ط 7، 1402هـ.

31. التفسير الحديث: ج3، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة،1383 هـ.

32. تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط 2، 1420هـ – 1999 م.

33. التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر.

34. تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية ،بيروت، لبنان، ط 1، 1426 هـ – 2005 م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

35. تفسير الماوردي (النكت والعيون): أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، تحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002م.

36. تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط 1، 1365 هـ - 1946 م.

37. التفسير المظهري: المظهري، محمد ثناء الله،تحقيق: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية، الباكستان، ط 1412 هـ.

38. تفسير المنار: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م.

39. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2، 1418هـ.

40. التفسير الميسر: نخبة من أساتذة التفسير، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - السعودية، ط 2، 1430هـ - 2009 م.

41. التفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة.

42. تلوين الخطاب في القرآن الكريم دراسة في علم الأسلوب وتحليل النص: طه رضوان: مكتبة معهد الإمام الشاطبي - مكتبة جامعة الإمام، مصر، 1428هـ، 2007م.

43. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط 1، -2000 م.

44. جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1420 هـ - 2000 م.

45. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط2، 1384هـ - 1964 م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

46. جماليات النظم القرآني في قصة المراودة في سورة يوسف: عويض بن حمود العطوي، مكتبة الملك فهد الوطنية، المملكة العربية السعودية، الرياض، 1431هـ، 2010م.

47. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، ج1، المكتبة العصرية، بيروت.

48. حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي المسماة: عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي ،دار صادر، بيروت.

49. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

50. الدر المنثور: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت.

51. دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل للنشر والتوزيع .

52. دراسات قرآنية: محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1425 هـ – 2004م.

53. دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ: شحاتة محمد صقر، دار الفرقان للتراث، البحيرة، 1998م.

54. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق، علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت الأولى، 1415 هـ.

55. زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1422 هـ.

56. زهرة التفاسير: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، دار الفكر العربي.

57. السراج المنير في الإعانة على معرفة معاني كلام ربنا الحكيم: شمس الدين محمد بن أحمد الشربيني الشافعي، مطبعة بولاق، القاهرة، 1285 هـ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

58. سياحة الوجدان في رحاب القرآن: إبراهيم أحمد، ومنهج الإمام الطاهر بن عاشور في التفسير: نبيل أحمد صقر، ص 208، الدار المصرية، القاهرة، ط2، 1422 هـ - 2001م.

59. السيرة النبوية (عرض وقائع وتحليل أحداث): علي محمد محمد الصلابي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط7، 1429 هـ - 2008م.

60. شاهد على العصر: محمد متولي الشعراوي، حوار عمر بطيشه، الجيزة، مصر، دار الفاروق للاستثمارات الثقافية، ط2، 2012م.

61. الشخصية القرآنية: نزيه محمد اعلاوي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 6، 1426هـ - 2006م.

62. شرح المقاصد في علم الكلام: سعد الين بن عمر التفتازاني، دار المعارف النعمانية، باكستان، 1401هـ - 1981م.

63. الصحة النفسية دراسات في سيكولوجية التكيف: مصطفى فهمي، مكتبة الخافجي، القاهرة، ط3، 1415 هـ - 1995.

64. صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1417 هـ - 1997م.

65. الصناعتين: الكتابة والشعر: تصنيف أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تحقيق وضبط مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1401هـ - 1981م.

66. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم اليمني، ضبطه وحققه جماعة من العلماء، ص 131، دار الكتب العلمية.

67. علم البديع: عبد العزيز عتيق دار النهضة العربية، بيروت، 1974م.

68. علوم القرآن الكريم: نور الدين عتر، مطبعة الصباح، دمشق، 1414هـ - 1993 م.

69. الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم: عبد الراضي محمد عبد المحسن، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

70. فتحُ البيان في مقاصد القرآن: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي، قدّم له وراجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، 1412 هـ – 1992 م.

71. فتح القدير الجامع بين فن الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق :عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، 1415هـ –1994م.

72. الفروق اللغوية: أبي هلال العسكري، أحد أعلام القرن الرابع هجري، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة.

73. الفن القصصي في القرآن الكريم: محمد أحمد خلف الله، دار سينا للنشر، بيروت، القاهرة، ط4، 1999م.

74. الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية: نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان، دار ركابي للنشر، الغورية، مصر، ط1، 1419هـ – 1999م.

75. في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط 17، 1412 هـ.

76. في النقد الأدبي: شوقي ضيف، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط1، وأسرار القصة القرآنية: فهد خليل زايد، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2007م.

77. في النقد الأدبي: محمد السمرة، الدار المتحدة للنشر، ط1، 1974م.

78. القراءات وأثرها في علوم العربية: محمد سالم محيسن، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1404هـ، 1984م.

79. القصة في القرآن – مقاصد الدين وقيم الفن: محمد قطب، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مدينة العاشر من رمضان، المنطقة الصناعية، 2001م.

80. القصة في القرآن الكريم(معالم وتحليل): محمد خير محمود العدوي، دار الفرقان للنشر، عمان، الأردن، 2009م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

81. قصص الأنبياء: أحمد جاد المولى. محمد أبو الفضل إبراهيم. علي البجاوي وآخرون، مكتبة الاستقامة، القاهرة، مصر، ط2، 1358 هـ - 1939 م.

82. قصص القرآن الكريم " صدق حدث- وسمو هدف - وإرهاف حِس وتهذيب نفس ": فضل حسن عباس، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2، 1427هـ - 2007م.

83. قصص القرآن: لجنة المؤلفين: محمد أحمد جادولي - السيد علي محمد البجاوي، دار الفكر، بيروت.

84. القصص القرآني (عرض - وقائع - تحليل الأحداث): صلاح الخالدي. ج 1، الدار الشامية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ - 1998م.

85. القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم، ويوسف: عبد الكريم الخطيب، ص 36، دار الفكر العربي، القاهرة.

86. القصة في القرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، المنطقة الصناعية الرابعة، مدينة السادس من أكتوبر، 1996م.

87. القصة في القرآن الكريم: مريم عبد القادر السباعي، مكتبة مكة لتوزيع المطبوعات، ط1، 1407هـ -1987م.

88. كتاب البديع: عبد الله بن المعتز، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجة، دار الجيل، بيروت، لبنان،
ط 1، 1410هـ - 1990م.

89. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، دار الكتاب العربي - بيروت، ط 3 1407 هـ.

90. الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق: تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان ،ط 1، 1422، هـ - 2002 م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

91. اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419 هـ -1998م.

92. لسان العرب: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري الرويفعي الإفريقي، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة – مصر.

93. مباحث في علوم القرآن: مناع القطان، مكتبة المعرف للنشر والتوزيع، الرياض.

94. المبادئ التربوية والأسس النفسية في القصص القرآني: شاهر ذيب أبو شريخ، دار النفائس للنشر والتوزيع، ط 1، 1427هـ - 2007م.

95. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: أبي الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الكريم (ابن الأثير الموصلي)، تحقيق وضبط محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، 1416 هـ - 1995م.

96. مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري، تحقيق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجى، القاهرة، ط 1381 هـ.

97. محاسن التأويل: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت ط1 - 1418 هـ.

98. محاضرات في علوم القرآن: فضل حسن عباس، دار النفائس للنشر والتوزيع، 1427هـ - 2007 م.

99. المحاور الخمسة للقرآن الكريم: محمد الغزالي دار نهضة مصر، ط1.

100. المحكم والمحيط الأعظم: ابن سيده علي بن إسماعيل " أبو الحسن ": تحقيق عبد الستار أحمد فرج: ط 1، 1377هـ -1958 م.

101. مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، طبعة منقحة وكاملة، إخراج دائرة المعاجم في مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح، بيروت، 1989م.

102. مختصر تفسير ابن كثير: (اختصار وتحقيق) محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، ط7، 1402 هـ، 1981 م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

103. مدارك التنزيل وحقائق التأويل: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط 1، 1419 هـ - 1998 م.

104. مدخل إلى البلاغة العربية (علم المعاني - علم البيان - علم البديع): يوسف أبو العدوس، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2007م - 1427هـ.

105. المدخل إلى علوم القرآن الكريم: محمد فاروق النبهان، ص251، دار عالم القرآن، حلب، ط1، 1423 هـ - 2005م.

106. المدخل لدراسة التفسير وعلوم القرآن: أحمد أبو الحاج، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1433هـ - 2012م.

107. مصابيح الضياء من قصص الأنبياء من تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد العزيز العقيل، اعتنى بإخراجها: عيسى بن محمد القرعاني، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، الرياض، السعودية، ط2، 1429هـ.

108. المصباح المنير- معجم عربي عربي: أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1421هـ - 2001م.

109. مع الأنبياء في القرآن الكريم (قصص ودروس وعبر من حياتهم): عفيف طبارة، دار النفائس للنشر والتوزيع، ط1، 1427هـ - 2007م.

110. معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي): محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط 4، 1417 هـ - 1997م.

111. معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، عالم الكتب، بيروت، ط 1، 1408 هـ - 1988 م.

112. المعجزة القرآنية - حقائق علمية قاطعة: أحمد عمر أبو شوفة، دار الكتب الوطنية، ليبيا.

113. المعجزة الكبرى القرآن: محمد بن أحمد مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، دار الفكر العربي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

114. معجم البستان – معجم لغوي مطول: عبد الله البستاني، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح، بيروت، لبنان، ط1، 1920م.

115. معجم مصطلح العرب: بلاغية وتطورها: أحمد مطلوب، مكتبة لبنان ناشرون.

116. المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى – أحمد الزيات وآخرون، أشرف على طبعه: عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، ط1.

117. المعجم الوسيط: لجنة من العلماء: إبراهيم أنيس– عبد الحكيم، دار الفكر، بيروت 1415هـ.

118. مفتاح العلوم: أبو يعقوب يوسف السكاكي، تحقيق: أكرم عثمان يوسف، منشورات جامعة بغداد _ مطبعة دار الرسالة، ط1، بغداد، 1402 هـ، 1982 م.

119. المفردات في غريب القرآن: الأصفهاني، راجعه وائل عبد الرحمن، المكتبة التوقيفية، القاهرة،2003م.

120. مقاييس اللغة: ابن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ط2، 1979م.

121. من بلاغة القرآن: محمد علوان، ونعمان علوان، ط3، 1426هـ – 2005م .

122. المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره: محمد علي الحسن، قدم له: محمد عجاج الخطيب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1421هـ – 2000م.

123. منهج الفن الإسلامي: محمد قطب، دار الشروق، بيروت، ط6، 1403هـ – 1983م.

124. موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة: علي بن نايف الشحود، دار القرآن والسنة.

125. الموسوعة القرآنية: مؤسسة سجل العرب، ط 1405 هـ.

126. الموسوعة القرآنية، خصائص السور: جعفر شرف الدين، تحقيق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت، ط1، 1420 هـ.

127. نظرات في القرآن: محمد الغزالي، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط6، 2005م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

128. النقد الأدبي، أصوله ومناهجه: سيد قطب، دار الشروق.

129. الواضح في علوم القرآن: مصطفى ديب البغا – محيي ديب مستو، دار الكلم الطيب العلوم الإنسانية، دمشق، ط2، 1488هـ، 1988م .

130. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، ط 1، 1415 هـ.

131. الوحدة الفنية في القصة القرآنية: محمد الدالي، ط1، 1414هـ – 1993م.

132. وظيفة الصورة الفنية في القرآن: عبد السلام أحمد راغب، دار فصلت للدراسات والترجمة والنشر، حلب، ط1، 1422هـ، 2001م.

133. وقفات على الطرق: علي بن نايف الشحود، ط2 مزيدة ومنقحة، 1421 هـ – 2010 م.

ثانياً: الرسائل الجامعية

134. آداب التعامل في ضوء القصص القرآني "دراسة موضوعية": منار عمر درويش الحلو، أطروحة ماجستير مقدمة لنيل شهادة الماجستير، الجامعة الإسلامية، كلية أصول الدين، قسم التفسير، غزة، 1423هـ – 2011م.

135. اتجاهات التأليف ومناهجه في القصص القرآني: سليمان محمد علي الدقور، رسالة أعدت لنيل شهادة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، كلية الشريعة، جامعة اليرموك، الأردن، نشرت، 1426هـ –2005م.

136. الجانب الفني في قصص القرآن الكريم: عمر محمد باحاذق، أطروحة ماجستير مقدمة لنيل شهادة الماجستير، دار المأمون للتراث، دمشق، ط1، 1413هـ – 1993 م.

137. الصورة الفنية في القصة القرآنية– قصة سيدنا يوسف عليه السلام نموذجا: بلحسيني نصيرة، رسالة أعدت لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي، نظرية الأدب وعلم الجمال، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، لم تنشر، 1426هـ – 1427هـ، 2002–2006م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

138. القصص القرآني: إبراهيم محمد بلبول عبده، أطروحة أعدت لنيل درجة الدكتوراه في التفسير، جامعة الأزهر الشريف، نشرت، القاهرة– مصر.

ثالثاً: الدوريات والمجلات العلمية

139. البلاغة القرآنية في تفسير الشوكاني: محمد علوان، مجلة الزهراء، جامعة الأزهر، عدد 15.

140. قصص القرآن وقصص القصاص: أحمد علي المجدوب: مجلة الوعي الإسلامي: مجلة إسلامية – ثقافية، العدد 123، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية -الكويت الشركة للتوزيع، بيروت، لبنان، (رمضان 1402، يوليو 1982م).

141. المقصدية الجمالية أهم مقاصد القصة القرآنية: رشيد اركيبي: مجلة علمية – ثقافية، العدد36، تصدر عن جامعة شعيب الدكالي ،كلية الآداب، المغرب،16– مايو – 2012م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثاً: فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
آية	ب
الإهداء	ت
شكر وتقدير	ث
ملخص الدراسة باللغة العربية	ج
Abstract	خ
المقدمة	1
أولاً : أهمية البحث	2
ثانياً: أسباب اختيار البحث	2
ثالثاً : أهداف الدراسة	3
رابعاً : الصعوبات التي واجهت الباحث	3
خامساً : الدراسات السابقة	4
سادساً: خطة البحث	4
سابعاً : منهج البحث	5
التمهيد **تعريف القصة وبدايتها في الحياة العربية**	
أولاً: تعريف القصة لغةً واصطلاحاً	7
ثانيا: مفهوم القصة الفنية	12
ثالثا: بداية القصة في الحياة العربية	14
رابعاً: القصص القرآني في اصطلاح العلماء	18

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الموضوع	الصفحة
القصة القرآنية	19
الفصل الأول **القصص القرآني**	
المبحث الأول بين القصة القرآنية والقصة الأدبية	24
المبحث الثاني عناصر القصص القرآني	34
أولاً: الشخصية	34
ثانياَ: الحوادث	39
ثالثا: الحوار	41
رابعاً: الزمان	43
خامساً: المكان	45
سادساً: الأسلوب	46
سابعاً: العقدة	48
المبحث الثالث أنواع القصص القرآني	50
أنواع القصص القرآني من حيث اعتبار شخصيات القصة من أنبياء وغيرها	50
أنواع القصص القرآني من حيث الطول والقصر	51
أنواع القصص القرآني من حيث المضمون	52
المبحث الرابع أهداف القَصَص القرآني	57
المبحث الخامس خصائص القصص القرآني	69
المطلب الأول: الخصائص الذاتية للقصص القرآني	69
المطلب الثاني: الخصائص الفنية للقصص القرآني	73

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الموضوع	الصفحة
أولاً: تنوع طريقة العرض	74
ثانياً: تنوع طريقة المفاجآت	76
ثالثاً: الفجوات بين المشهد والمشهد	79
رابعاً: العرض التصويري	80
المطلب الثالث: التكرار في القصص القرآني	81
فوائد التكرار والحكمة منه	84
المبحث السادس التربية بالقصص القرآني	88
الفصل الثاني **دراسة تحليلية لمواضع خروج الكلام عن مقتضى الظاهر في القصص القرآني**	
مقدمة	95
المبحث الأول الالتفات	96
فوائد الالتفات	99
أقسام الالتفات	101
المطلب الأول: الالتفات من التكلم إلى الخطاب	101
من أمثلته في القصص القرآني	101
المطلب الثاني: الالتفات من الخطاب إلى التكلم	106
المطلب الثالث: الالتفات من الخطاب إلى الغيبة	109
المطلب الرابع: الالتفات من الغيبة إلى الخطاب	121
المطلب الخامس: الالتفات من التكلم إلى الغيبة	129
المطلب السادس: الالتفات من الغيبة إلى التكلم	145

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الموضوع	الصفحة
المبحث الثاني التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي	158
المبحث الثالث التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل	165
المبحث الرابع التعبير عن المفرد بصيغة الجمع	170
المبحث الخامس التعبير عن الجمع بصيغة المفرد	181
المبحث السادس التغليب	187
المبحث السابع الأسلوب الحكيم	204
مقدمة	204
الخاتمة	213
أولاً : النتائج	213
ثانياً: التوصيات	214
الفهارس العامة	215
أولاً: فهرس الآيات القرآنية	216
ثانياً: قائمة المصادر والمراجع	231
ثالثاً: فهرس المحتويات	244

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com